الفصل الرابع

مصر كنانة الله في أرضه

إطلالة

مصر كنانة الله في أرضه، وقد حماها الله من كل اعتداءٍ غاشمٍ يَمَسُّ إرادة شعبها، وحدودها، لأنها أرض الأنبياء والمرسلين، وأرض العلماء الربانيين، وبها أقدم جيشٍ نظاميٍّ ثابتٍ في العالم، والذي بدأ أول حروبه المجيدة من أول توحيد مصر على يد الملك "مينا" عام ٣٤٢٥ ق.م، وعلى مدى هذا التاريخ الطويل اتَّصَفَ بصفاتٍ قد ميزته عن أَيِّ جيشٍ في العالم، لأنه لم يقم بالاعتداءِ، أو احتلالِ، أو اغتصابِ أيَّ أرضٍ من أراضِي الغيرِ، أو أخذِ أيِّ حقٍّ من حقوقهم، بل كان قوةً من أجل دعم السلام وفرضه إذ تطلب الأمر، كما كان طوال فترة تاريخه الطويل مدرسةً للقيم الإنسانية النبيلة في أوقات السلم والحرب على السواء، ولذلك ستظل مصر آمنة، كما قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام حين آوى إليه أبويه، أي: أباهُ وأمهُ إلى مصر، فقال لهما: ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ (يوسف: ٩٩).

الْمَبَاحِثُ

الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ: مِصْرُ فِي قَبْضَةِ الْإِخْوَانْ.

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: وَطَنِيَّةُ الْإِخْوَانِ، وَوَطَنِيَّةُ الْأَقْبَاطْ.

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: مِصْرُ الْآمِنَةُ.

obeikan.com

الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ:
مِصْرُ فِي قَبْضَةِ الْإِخْوَانْ

اعتقد مرسي وجماعته، في فترة حكمه القصيرة والتي لم تتعد الـ ٣٦٨ يوماً الماضية في الفترة من ٣٠ يونيو ٢٠١٢ إلى ٣ يوليو ٢٠١٣ أن مصر أصبحت مستباحةً لهم، وأنه سيتم إحكام السيطرة على شعب مصر بجميع طوائفه وسلطاته التشريعية والتنفيذية بقبضةٍ من حديدٍ وذلك بسن بعض القوانين وسلقها وتمريرها من خلال بوابة مجلس الشورى حيث كانوا يُحكمون قبضتهم على ذلك المجلس في تلك الآونة، ولأن الباطل أقدامه ضعيفةٌ وأعينه عمياء، فكلما أرادوا أن يطبخوا قانوناً تصدت لهم المحكمة الدستورية، وأسود رجال القضاء، ليفسدوه ويبطلوه بالقانون، لا بالعنترية الجوفاء، وتخيلوا أنهم أصبحوا قادرين على تنفيذ الأجندة الأمريكية، والتركية، والإيرانية، والقطرية من خلال منبر الجزيرة الكذوب والتحرك على الأرض بقيادة ميليشيات حماس الإخوانية، وتخيلوا من خلال تصورهم المريض أن يحكمون هذا الشعب بإرادتهم هم، وليس بإرادة الشعب نفسه، بل ويلتفون عليه ليسيطروا على معنوياته، بِدسِّ المكائد، والإيقاع بين جميع طوائف الشعب وإطلاق الشائعات حتى يجعلوه في حوزتهم، ويجبرونه على الدخول في قبضتهم الحديدية حتى لا يستطيع الفكاك منها، ليحكموه كما يزعمون ٥٠٠ عام، وأنهم سيقيمون على أرضها الخلافة الإسلامية والتي تصبح مركزها القدس، فقاموا بتقويض هذا الشعب وإرهابِ وإرعابِ كل من ليس معهم، وقد حاولوا من خلال هذا الحاكم بأمره أن لا ترد له كلمةً، ولا يبدل لَه قرارًا تحت غطاء شرعية الصناديق والشريعة، والشرعية الدستورية، ولم

يعلمون جيداً أن الشريعة، أو الشرعية غطاءٌ يتسع لكل لأفراد الأمة، ولا يتحيز الراعي، أو ولي الأمر، أو الرئيس لأيَّ فصيلٍ من الفصائل، بل يكن تحيزه لكل أفراد شعبه على السواء، وذلك مما أدى إلى سقوطه هو وجماعته في فترةٍ قصيرةٍ، بل تُعَدُّ أقصرَ فترةٍ تولى فيها رئيس جمهورية على أرض مصر، لأنه لم ينظر إلى أعين الشعب كله نظرةً شموليةً تشمل كل طوائفه، بل نظر بعينٍ واحدةٍ إلى حزبه، ومن ينتمون إلى حزبه، ولذلك فقد سقطت شرعية الرئيس «محمد مرسي» للأسباب التالية:

(١) لقد سقطت سلطة الرئيس الشرعية والدستورية بتراجعه عن قراراته أكثر من مرة، وقد علم الشعب أن من يحكمه رئيسٌ مهزوزٌ، ومثل هذا يُسْقِطُ أيَّ رئيسٍ، لأن وِلاَةَ الأمرِ يجب أن تكون قراراتهم نافذة ،ولا يُصدرُ أيَّ قرارٍ إلا بالدراسةِ والتمحيصِ واستشارةِ أصحابِ الرأيِ من المعهودِ بهم في النزاهة في ذلك، وفي أقل من ستة أشهر من مدة تولي «مرسي» الحكم أي، من شهر يوليو إلى ديسمبر ٢٠١٢ بلغ عدد الاحتجاجات والمليونيات بنحو ٤٠ مليونية و٢٤٠٠ احتجاجٍ على القرارات التي يُصدرها «مرسي» ثم يتراجع فيها.

(القرارات وعكسها)

– *إصدار القرار:* في ٨ يوليو، قرر الرئيس «محمد مرسي» سحب القرار رقم ٣٥٠ لسنة ٢٠١٢ باعتبار مجلس الشعب منحلاً اعتباراً من يوم الجمعة ١٥ يونيو الماضي، وعودة المجلس المنتخب لعقد جلساته وممارسة اختصاصاته المنصوص عليها من المادة ٣٣ من الإعلان الدستوري الصادر بتاريخ ٣٠ مارس ٢٠١١.

= *تراجعه:* في ١١ يوليو، أعلن الرئيس "مرسي" تراجعه عن قرار عودة مجلس الشعب وأكد التزامه بأحكام المحكمة الدستورية العليا في ١٠ يوليو قراراً جديداً بحل مجلس الشعب وعدم دستوريته، وأكدت رئاسة الجمهورية على احترامها للدستور

والقانون، وتقديرها للسلطة القضائية، والتزامها بالأحكام التي تصدر للقضاء المصري وحرصها البالغ لإدارة العلاقات بين سلطات الدولة ومنع أي صدام.

- في ١١ أكتوبر، أصدر "مرسي" قراراً بتعيين المستشار "عبد المجيد محمود" سفيراً لمصر في دولة الفاتيكان، وَكَلَّفَ أحد مساعديه بالقيام بعمله، لحين تعيين نائب جديد، عقب قرار محكمة جنايات القاهرة بتبرئة جميع المتهمين في موقعة الجمل.

= تراجعة: في ١٢ أكتوبر، اتفق "مرسي" خلال لقائه مع المستشار "عبد المجيد محمود" على أن يبقى الأخير في منصبه لتنتهي الأزمة بين مؤسسة الرئاسة والقضاء، وقالت النيابة العامة إن اللقاء الذي جمع "مرسي، ومحمود" انتهى باتفاقٍ على أن النائب العام باقٍ في موقعه، وهناك سوء فهم بشأن تعيينه سفيراً لمصر لدى الفاتيكان.

= تراجعة: وعاد "مرسي" في قراره للمرة الثالثة في ٢١ نوفمبر ليُقيلَ "عبد المجيد محمود" مرةً أخرى من منصبه، ويعين بدلاً منه " طلعت عبد الله" وذلك كجزء من الإعلان الدستوري الذي ألغاه مساء السبت وأحل محله إعلاناً جديداً، لكن بقيت القرارات الصادرة عن الإعلان الأول نافذةً.

- إصدار القرار الثالث: هذا القرار كان بمناسبة 'غلق المحال'، وفي ٣٠ أكتوبر، أصدرت الحكومة قراراً بإغلاق المحال في الساعة العاشرة مساءً، وأعلنت وزارة التنمية المحلية أن القرار لا رجعة فيه.

= تراجعة: في ٣١ أكتوبر، أعلن اللواء "أحمد زكي عابدين" وزير التنمية المحلية، تأجيل تطبيق قرار إغلاق المحال التجارية من الساعة العاشرة مساءً، لدراسة تشديد العقوبات التي ستقع على المخالفين ولحين إقرار لائحة تنفيذية له.

= تراجعة: لكنه في ٢٠ نوفمبر، قال: إن قرار إغلاق المحال التجارية مازال جارياً ومن المتوقع تفعيل القرار في أول ديسمبر وغير صحيح أن الحكومة تراجعت عن

القرار بعد ضغوط وسائل الإعلام ولم يتم تطبيقه حتى الآن.

- في ٢١ نوفمبر ٢٠١٢: أصدر مرسي إعلاناً دستورياً يتضمن إعادة محاكمة رموز النظام السابق، حسب قانون حماية الثورة، بالإضافة إلى قرارات بتعيين نائب عام جديد بَدَلاً من "عبد المجيد محمود" النائب العام السابق، وتحصين اللجنة التأسيسية للدستور ومجلس الشورى، وتحصين الإعلانات الدستورية والقوانين والقرارات الصادرة عن رئيس الجمهورية، بحيث تكون غير قابلة للطعن عليها بأي طريق وأمام أي جهة، وهو ما تُطالب قوى المعارضة بإلغائه، وبعد تظاهر عشرات الآلاف من المواطنين اعتراضاً على الإعلان الدستوري، وتهديدات القضاة برفض الإشراف على الدستور الجديد في ٩ ديسمبر ٢٠١٢، قرر "مرسي" إلغاء الإعلان الدستوري الصادر في ٢١ نوفمبر، وإصدار إعلان جديد، وإجراء الاستفتاء على الدستور في موعده.

- وفي ٩ ديسمبر ٢٠١٢، أقر "مرسي"، مساء الأحد، بصفته ممثلاً للسلطة التشريعية، زيادة أسعار السجائر، والغاز، والخمور، والمياه الغازية، والكهرباء.

= *تراجعه*: وبعد ساعات قليلة، من فجر الاثنين ١٠ ديسمبر، قال بيان صادر عن رئاسة الجمهورية إن الرئيس قَرَّرَ وقف قرار زيادة الأسعار.

هذه القرارات التي أُخِذَتْ في حينها، وقد تم التراجع فيها، مما أحدثت غلياناً عند غالبية جماهير الشعب المصري، وقد فتحت مجالاً للرأي العام المصري بعدم أخذ الكثير من قرارات "مرسي" بالجدية والاهتمام، لأن القرارات التي يُصدرها، يتم إلغاؤها بعد ذلك بوقتٍ قصير، مما أدى إلى إصابة الكثير من جماهير الشعب المصري بالإحباطِ الشديدِ على هذا المتردِّدِ الذي اختاروه بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، مما أثار مزيداً من الفوضى وإراقة الدماء، وفتحت مجالات للبلطجية باللعبِ بمقدرات مصر، وأمنها، فإذا كان عيباً على الرجل مِناً أن يتكلم بكلمة، أو يأخذ عهداً على نفسه، ثم

يتراجع فيه، فيكون الردُّ البليغُ عنهُ مِمن استمعوا له، أو جلسوا في حضرته (أَنَّه رَجُلٌ عَيِّلٌ، يَقُولُ الْكَلِمَةَ وَيَرْجِعُ فِيهَا)، إما أن يُصدر "مرسي" قراراته ويتراجع فيها أمام شعبٍ تعدادهُ أكثر من ٩٠ مليوناً، فهذا ليس عيباً فقط، ولكنه تدنٍ وسقوطٍ، وتراجع، وخذلانٍ، فإذا كان هذا التَّردِّي يُؤْخَذُ عَيْبًا على الرجلِ العاديِّ مرةً واحدةً، فَيُصْبِحُ عيْبًا من رأس الدولة ورئيسها ملايين المرات؛ لأن ذلك التراجع مُعْلَنٌ على المستوى المحلي، والدولي في الصفحات المقروءة، والقنوات المنظورة والمسموعة، وعلى شبكات التواصل الاجتماعي، أي يُصبح ذلك مُعْلَنًا في كل بيت.

(مرسي وجماعته يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يقولون)

= في يوليو ٢٠٠٥ صرح "مهدي عاكف" أثناء مقابلة صحفية بمجلة آخر ساعة (نؤيد ترشيح "مبارك" لفترة رئاسة أخرى، وأتمنى الجلوس معه).

= وفي يناير ٢٠١٢ أدلى "مهدي عاكف" بتصريحاتٍ صحفيةٍ أن (الرئيس " مبارك" كان نائماً على سرير الصهاينة، وطالبت "جمال، وسوزان مبارك" بالرحيل عن مصر).

= في إبريل ٢٠١٠ صرح "محمد بديع" أثناء لقاءٍ لَهُ على قناة دريم قائلاً: ("مبارك" والد كل المصريين، ولا مانع من ترشح "جمال مبارك" للرئاسة بشروط).

= في إبريل ٢٠١١ أدلى "محمد بديع" أثناء مؤتمرٍ جماهيريٍّ بدمنهور قائلاً: (مبارك ديكتاتور ونظام حكمه مستبد: وحاول الوقيعة بين الجيش والإخوان بالمحاكمات العسكرية).

= في ديسمبر ٢٠١٢ أدلى "خيرت الشاطر، وصفوت حجازي، وياسر برهامي" فتوى بتحريم تهنئة الأقباط بأعيادهم من خلال الهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح.

= وفي ديسمبر ٢٠١٢ في الصفحة الرسمية 'لجماعة الإخوان' على 'تويتر' تُهنئ جميع المسيحيين في العالم بعيد الميلاد المجيد 'الكريسماس'.

= في يناير ٢٠١١ صرح "عصام العريان" المتحدث باسم 'جماعة الإخوان': (الإخوان لن تشارك في مظاهرة ٢٥ يناير التي دعت إليها حركة ٦ إبريل، لأن المشاركة تحتاج إلى تخطيط واتفاق بين كافة القوى السياسية قبل النزول إلى الشارع).

= وفي يناير ٢٠١٣ صرح "العريان" نائب رئيس حزب الحرية والعدالة أن: (الجماعة شاركت في مظاهرات الثلاثاء ٢٥ يناير ٢٠١١ وتم تكليف النواب والنقابيين والرموز بالنزول أمام دار القضاء العالي والشباب بميدان التحرير).

= في يوليو ٢٠٠٣ صرح "مرسي" أن: (أقساط قروض الصندوق الدولي تتضمن فوائد، والتعامل بالفوائد ربا والربا محرم لا يجب الحصول عليه)، وقد صرح "السيد عسكر"، عضو مجلس الشعب المنحل قائلاً: (أنا لن أوافق على أيِّ قرضٍ أبداً).

= وفي أكتوبر ٢٠١٢ أعضاء جماعة الإخوان يُصرحون: (فوائد قرض صندوق النقد مصاريف إدارية وليست ربا.

= فى سبتمبر ٢٠٠٩ صرح «مرسى» عضو مكتب جماعة إرشاد جماعة الإخوان: (زيارة الوزير الصهيونى «نتنياهو» لمصر مرفوضة، لأن يد الصهاينة ملطخة بدماء العرب وفلسطين وسوريا).

= وفي يوليو ٢٠١٢ "مرسي" رئيس الجمهورية، في رسالة إلى الرئيس الإسرائيلي "شيمون بيريز": (إلى عزيزي وصديقي العظيم رئيس دولة إسرائيل صديقك الوفي محمد مرسي).

= في ١١ فبراير ٢٠٠٤ طالب "مرسي" بإلغاء قانون الطوارئ وإلغاء المحاكم الاستثنائية، لأنها حسب رأيه تمثل: (أفظع أشكال التعدي على حقوق الإنسان وحريته، وإلغاء هذه الأحكام الخطوة الأولى الحقيقية نحو الديمقراطية الفعلية).

= في ٢٩ إبريل ٢٠٠٦ أكد "مرسي": (أن قوانين الطوارئ تُستخدم لحماية اللصوص لكي يستتب وضع المستبد واستمرارٍ لحالة التخلف).

= وفي ٢٧ يناير ٢٠١٣ فرض "مرسي" حظر التجول، وأعلن حالة الطوارئ بمدن القناة بعد أحداث العنف التي شهدتها في ظل موجات الاحتجاج المتزايدة ضد سياسته في أنحاء مصر.

= في مايو ٢٠١٢ قال "مرسي": (إذا خرجت مسيرات حاشدة بميدان التحرير، والميادين المختلفة تُطالب بإسقاطي، فأنا أول من ينزل بناءً على إرادة الشعب).

= وفي يناير ٢٠١٣ مظاهرات تندلع ضد "مرسي" في جميع المحافظات في الذكرى الثانية للثورة، فما كان منه سوى التجاهل، وإعادة آلة القمع من جديد.

= في يونيو ٢٠١٢ قال "مرسي": (أتعهد بأن لا تمس حرية الإعلام، ولا تغلق أي صحيفة، أو قناة، أو يمنع أي رأي، أو يقصف قلم).

= وفي يوليو ٢٠١٢ صدر قرار إداري بوقف 'قناة الفراعين' ٤٥ يوما وإنذارها بسحب ترخيصها إذا استمرت في تجاوزاتها ضد رئيس الجمهورية[١].

وعند زيارة وفد الكونجرس الأمريكي، والمكون من "سينسيا لوميز، وستيف ستوكمان، وبول كوك، وروورا باكار، ولوريتا سانشيز" بعد إعلان نتيجة الاستفتاء على دستور مصر ٢٠١٤ يوم السبت ١٧ ربيع أول ١٤٣٥هـ-١٨ يناير ٢٠١٤م، حيث أدلى "رورا باكار" أحد أعضاء وفد 'الكونجرس الأمريكي' تصريحه في مؤتمر صحفي: (أن "مرسي" رغم أنه كان منتخباً، إلا أنه كذب على الشعب، فخرج الناس مطالبين بعزله)[٢].

وهذه شهادة ممن حالفوه، وأيدوه بالأموال، وآزروه بكثير من المراسلين الأجانب، وغيرهم حتى أوصلوه لكرسيِّ الرئاسة، فما بالك بشهادة من أذاقوهم

(١) جريدة الوطن-الاثنين ٢٢ ربيع الأول ١٤٣٤هـ-٤ فبراير ٢٠١٣م السنة الأولى-العدد: (٢٨١) ص: (١٠-١١).

(٢) جريدة الأخبار-الاثنين ١٩ ربيع أول ١٤٣٥هـ-٢٠ يناير ٢٠١٤م-الطبعة الثانية-العدد: (١٩٢٧٤) -السنة: (٦٢) ص: (٧).

العذاب، بالسحلِ، والضرب، والسبِّ، والقتلِ، والتفجيرِ، والإرهابِ، والإرعابِ، للآمنين من المصريين، وَعَطْفًا على ما سبق أَن "مرسي" قد هدد الإدارة الأمريكية في ١٩ يناير ٢٠١١، بأن الثورة ستهز عروش دول عربية كبرى لو لم ترضخ 'واشنطن' لطلبات الجماعة، والهدف من ذلك أن "جماعة الإخوان" أرادت أن تحكم قبضتها على الثورة من بدايتها، ولكنهم نزلوا إلى الشوارع في فجر ٢٨ يناير ٢٠١١ عقب تأكدهم من نجاح الثورة، وانهيار جهاز الشرطة، فبدأوا بعرض مطالبهم السبعة إلى واشنطن مقابل تدارك ثورة دموية في مصر هي:

أولاً: تنحي مبارك فوراً عن الحكم.

ثانياً: إقالة الحكومة وتولي 'جماعة الإخوان' تشكيل حكومة جديدة.

ثالثاً: دعوة رئيس الجمهورية إلى انتخابات رئاسية مبكرة.

رابعاً: حل مجلسى الشعب والشورى المصريين مع الدعوة إلى انتخابات نيابية عاجلة.

خامساً: تعديل دستور ١٩٧١ وإلغاء المواد ٧٦، ٧٧، ٨٨.

سادساً: الموافقة على إجراء جميع الانتخابات تحت إشراف قضائي شامل مع حضور منظمات المجتمع المدني المحلية والدولية للمراقبة.

سابعاً: تأمين نسبة ٥١٪ من مقاعد البرلمان المصري لصالح 'جماعة الإخوان'.

وتأكيداً على معلومات "دوجرو" أبرقت الضابطة "كيه بوخاري" مديرة عملية 'الملاءة الرطبة' الإقليمية من تل أبيب في تمام الساعة الخامسة، و٢٤ دقيقة، و٤٢ ثانية برقيتها برقم ٢٧٤٥٨٦٣ بتاريخ ١٩ يناير ٢٠١١ سجلت فيها باسم الدكتور "محمد مرسي عيسى العياط" ـ مواليد ٨ أغسطس ١٩٥١م، بأنه هدد فيها باسم جماعته أن ما سيحدث في مصر سيصيب عروش دول عربية كبرى في الشرق الأوسط، بعدها

أبرق "بي بارسلي" ضابط عملية 'الملاءة الرطبة' من القاهرة البرقية 'سري للغاية' رقم ١٠٩٨٩٤٣ بتاريخ ١٩ يناير ٢٠١١ في تمام الساعة الخامسة و٥٣ دقيقة و١٦ ثانية كشف فيها معلومات وردت إليه من 'جماعة الإخوان' المصرية أكدت أن الجماعة المصرية طلبت من فرع 'جماعة الإخوان الأردنية' الخروج على الملك "عبد الله الثاني بن الحسين"، وأن جماعة الإخوان المصرية أرسلت بتفاصيل خطة الثورة الأردنية إلى العاصمة 'عمان' على أن تبدأ فعالياتها صباح يوم ٢٥ يناير ٢٠١١ بالتزامن مع ما سيحدث في مصر ذلك اليوم ومن جانبه أبلغ الضابط (إم ويلسون) وهو ضابط برتبة مراقب بمجموعة (انكانفاس) canvas التي نفذت عملية 'الملاءة الرطبة' أبلغ فيها أن قيادته في واشنطن، بأن 'جماعة الإخوان الأردنية' أبلغته بقرار تكليف الدكتور "محمد مرسي" بملف الاتصالات السرية مع الإدارة الأمريكية بداية من ٣٠ يناير ٢٠١١ مؤكداً بأن معلومات وردت إليه من عدة مصادر موثوقٌ فيها قررت أن "مرسي" أصبح منذ ذلك التاريخ همزة الوصل الرسمية بين الجماعة المصرية والبيت الأبيض، حيث سجل معلومات وردت إليه من أحد أصدقاء واشنطن في 'جماعة الإخوان الأردنية' لم يُسَمِّهِ في البرقية لدواعي السرية، أفادت أن 'الجماعة الأردنية' طلبت من نظيرتها المصرية مهلة لخلع الملك "عبد الله"، وحتى تدرس ما ستسفر عنه الأمور في مصر بداية من الثلاثاء الموافق ٢٥ يناير ٢٠١١، كما نقل أيضاً في برقية له معلومات عن نفس المصدر المجهول بين السطور أكد فيها أن 'جماعة الإخوان المصرية' هددت صراحةً بإشعال الشوارع في مصر، إذا لم توافق واشنطن على مطالب الإخوان السبعة، وأنه علم من جماعة الإخوان الأردنية أن واشنطن وافقت على تسليم رئاسة الجمهورية المصرية إلى جماعة 'الإخوان المصرية' بشرط حفاظهم على 'مبارك رئيسا' وأن الجماعة وافقت على شرط الإبقاء على "مبارك" حتى نهاية فترته الرئاسية، كما تعهدت بضبط ثورة الشارع المصري، وبالرغم من ذلك التعهد، فقد أبلغ الضابط

اتصالاً من 'جماعة الإخوان المصرية' أبلغوه فيه قرارهم النهائي بالنزول إلى الشوارع المصرية مع فجر ٢٨ يناير ٢٠١١ عقب تأكدهم من نجاح الثورة وقرب سقوط نظام مبارك، وفي ذات الإطار كُتبت برقية إلى ضابط العملية "بي بارسلي"، أكد فيها مطالبة 'جماعة الإخوان' المؤسسة العسكرية المصرية بالتخلي عن "مبارك" ودعوتها لعدم التورط في الأحداث ضد الشعب الثائر في الشوارع، والعودة إلى الثكنات، ووثقت ضابطة العملية "كيه بوخاري" مديرة العملية الإقليمية نص رسالة تحذير رسمية وردت إليها سِرًّا من 'جماعة الإخوان' حتى تنقلها إلى البيت الأبيض حذرت فيها الجماعة واشنطن من ممارسة الضغوط السياسية عليها، حتى لا تجبر على مواجهة المؤسسة العسكرية، والسلطة العسكرية، والسلطة القضائية المصرية إذا وقفتا أمام حق مشروع الإخوان في حكم مصر على حد تعبير "بوخاري" نقلاً عن نص رسالة الجماعة، ثم عادت ووثقت أن جماعة 'الإخوان المصرية' تواصلت مع "مبارك" شخصياً صباح ٤ فبراير ٢٠١١ عن طريق هاتف الرئاسة الخاص بصيغة التهديد تصميمها على مطلب تنحيه عن السلطة ورفضها تولى نائبه ـ اللواء ـ "عمر محمود حسين سليمان الفحام" مهام الرئيس بالوكالة غير أن "مبارك" رفض التهديد وأغلق في وجه الجماعة خطوط نظامه، ومن برقية "بوخاري" إلى برقية ضابط العملية "بي بارسلي" والتي وثق فيها تفاصيل المكالمة الهاتفية بين "مبارك" وجماعة الإخوان، ونطالع لأول مرةٍ أن وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية ـ C.I.A ـ استخدمت في مكاتباتها السرية للغاية الاسم 'موبا' عند تبادل المعلومات بشأن الرئيس الأسبق "مبارك" وفي المتن نفاجئ حصريًّا أن جماعة الإخوان رفضت بشكلٍ قاطعٍ مجرد طرح فكرة تواجد اللواء "عمر سليمان" مدير جهاز الاستخبارات العامة المصرية على رأس الحكم بعد مبارك ولو حتى بالوكالة، وأن الجماعة هددت 'واشنطن' صراحةً في ذلك التاريخ أنها ستواجه "سليمان" على الأرض بجميع الوسائل، وأبلغت الجماعة أنها اعتبرت "سليمان"

عدوًا رسميًّا لجماعة الإخوان في مصر من لحظة تعيينه رسميا من قبل "مبارك" في منصب نائب الرئيس يوم ٢٩ يناير ٢٠١١، واللافت للنظر أن البرقية سجلت صحة التهديد، بأن "جماعة الإخوان" بدأت التعبئة والتحرك ضد "سليمان" انطلاقاً من 'ميدان التحرير'، وأن "سليمان" علم بالتهديد فدعا الجماعة رسميا للجلوس معه وَحَدَّدَ لهم موعدًا عاجلاً في التاسعة من صباح الثالث من فبراير ٢٠١١، وجماعة الإخوان بدورها وضعت أمام "سليمان" نائب الرئيس الجديد وقتها شرط تنحي "مبارك" أولاً، ورفضت الجماعة مناقشة مستقبل مصر معه، بل أخبرته شخصياً صراحةً أنه لا مكان له في هذا المستقبل، وأن عليه التفكير لنفسه، ولأسرته بشكلٍ عاجلٍ في منفى اختياري، وفي الواقع لم تسجل البرقية رَدَّ 'اللواء "سليمان" على تهديد الجماعة آنذاك، والمثير للدهشة أن "كيه بوخاري" سجلت في متن برقيتها معلومات حصلت عليها من عدة عناصر حذرت في ذلك التاريخ أن 'جماعة الإخوان المصرية' في طريقها لتشكيل قوة عظمى في الشرق الأوسط، وطبقًا لمعلومات مصادرها الموثوق بها أكدت "بوخاري" أن 'جماعة الإخوان' لديها خطة للسيطرة على العالم العربي حتى عام ٢٠٢٠، وحددت "بوخاري" بدقة أن خطة 'جماعة الإخوان' تُجاه دول الخليج الكبرى بدأت في ١٥ فبراير ٢٠١١ طبقًا لمعلومات مصادر وكالة الاستخباراتية المركزية الأمريكية ـ C.I.A ـ عندما عقدت 'الجماعة المصرية' يومها سرًّا في 'تركيا' أول اجتماع مغلق من نوعه لقادتها، بحثوا فيه ضرورة جيش إقليمي نظامي، وقوة شرطة إقيمية عملاقة تُدِينُ قواتها بالولاءِ التامِّ للجماعة وحدها، وفي برقية أثارت الفضول بعدما سجلت في خانة المحرر كلمة "لا أحد ـ NO ONE" الدالة على صدورها مباشرة عن قيادة وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية ـ C.I.A ـ كشفت أن 'جماعة الإخوان المصرية' أبلغت الإدارة الأمريكية في ذلك التاريخ صراحةً عزمها إنشاء 'حرب سياسي رسمي خاص بالجماعة' وثبت

في معلومات البرقية تأسيسه فعليًا بتاريخ ٢١ فبراير ٢٠١١ ونفاجأ أن الإدارة الأمريكية وافقت بالفعل على كل مطالب الجماعة بما فيها إنشاء ذلك الحزب السياسي، وأن موافقة واشنطن صدرت بعد ساعة واحدة من إعلان اللواء "عمر سليمان" البيان التاريخي لنتحي "مبارك" عن الحكم من القاهرة بتاريخ ١١ فبراير ٢٠١١، وتتوالى أسرار ملف عملية "الملاءة الرطبة" في برقية ضابطة العملية "كيه بوخاري" سري للغاية رقم ٢٧٤٠٥٧٦ التي حررتها في تمام الساعة الرابعة وسبع دقائق، و١٨ ثانية من 'تل أبيب' بتاريخ الأول من مايو ٢٠١١ أبلغت فيها قيادتها في واشنطن معلومات موثقة وردت إليها من القاهرة، أكدت عزم 'جماعة الإخوان المصرية' على طلب تعهد أمريكي جديد يضمن للجماعة تأمين نسبة ٥١ في المائة من مقاعد مجلس الشعب المصري الـ ٤٩٨، وقد كشفت معلومات لقاء سري للغاية جرى في القاهرة خلف الكواليس السياسية الملتهبة صباح ٢ أكتوبر ٢٠١١ بين عناصر إستخباراتية أمريكية وجماعة الإخوان المصرية وعلى ضوء معلومات البرقية شارك في اللقاء دبلوماسيين من السفارة الأمريكية بالقاهرة لم تذكرهم البرقية شهدوا على تعهد 'جماعة الإخوان' المسلمين كتابة بصيغة المستقبل بمحاربة العنف الإسلامي المتشدد في مصر، وقد انتهى اللقاء بتسلم 'جماعة الإخوان المصرية' ورقة رسمية موقعة من البيت الأبيض تضمنت موافقة واشنطن السيادية على قبول الجماعة بدايةً من ٢ أكتوبر ٢٠١١ كطرف سياسي فاعل داخل أسرة المجتمع الدولي، أما البرقية سري للغاية التي حررها "بي بارسلي" ضابط العملية في تمام الساعة التاسعة و٥٨دقيقة، و١٩ثانية من واشنطن تحت رقم ٤٠٣٩٦٣٩ بتاريخ ٢٠ نوفمبر ٢٠١١، فقد كشفت عن خلافات نشبت يومها بين 'جماعة الإخوان، والمؤسسة العسكرية المصرية' التي رفضت على حَدٍّ معلومات البرقية تهميش المرأة، ودور شباب الثورة وَسَعْي الجماعة للسيطرة على نسبة ٧٥ في المائة من مقاعد البرلمان، بالإضافة إلى رفض المؤسسة العسكرية المصرية

اتفاق 'جماعة الإخوان' الجانبي مع عدد من 'الأحزاب السلفية' على شَغْلِ نسبة الـ ٢٥ في المائة الباقية من مقاعد البرلمان المصري، الأمر الذي أقلق الإدارة الأمريكية بقوةٍ من تداعيات تقسيم مقاعد البرلمان المصري على الجماعات، والأحزاب الدينية وحدها، مع اعتراض 'البيت الأبيض' على تهديد رجال أعمال الإخوان المبالغ فيه لأعمال البورصة المصرية وسعيهم للسيطرة عليها[1].

(٢) عدم قدرته على إدارة شئون البلاد، وتهميش قراراته وعدم الاستجابة بتنفيذ حظر التجول في المحافظات الثلاثة 'بورسعيد، والسويس، والإسماعيلية'، وذلك بعد الحكم في قضية بورسعيد «ألتراس أهلاوي»، يوم السبت ٢٦ يناير ٢٠١٣م، والذي راح ضحيتها ٧٢شابا في عمر الزهور، وبالرغم من إصدار "الرئيس المعزول" قرار حظر التجوال في المحافظات الثلاث، إلا أن هذه المحافظات ضربت بقرار "المعزول" عرض الحائط، بل وتصدت لقراره ولم تفعله، وظهر على شاشات التلفازات أن بعض الجماهير كانت تُجري مباريات كرة القدم في الساعة الواحدة صباحاً من اليوم الذي يلي هذا القرار مباشرة، مما أثار الكثير من الجدل والسخرية في أنحاء المعمورة لضعف هذا «المعزول» وعدم قدرته على تفعيل قراراته، أو تطبيقها.

(٣) قام بالحجر على حرية الرأي، ولم ينظر إلى المعارضين، أو الأحزاب المعارضة نظرة التواضع، بل نظر إليهم هو وجماعته نظرة استعلاءٍ وتكبرٍ وتهميشٍ، بل رفع أنفه هو وجماعته على هذا الشعب وهذه الجماهير الغفيرة الصاخبة على كثرة التصريحات التي أصابت الكثرة من الجماهير الواعية المدركة بالخوف على مستقبل هذا الوطن، لأنه نظر لمعارضيه على أنهم أعداء للوطن وليسوا معارضين شرفاء، ومنافسين أوفياء يحبون مصر، ويريدون لها الخير والاستقرار والرخاء، أكثر مما يريده هو وجماعته، ولذلك مما توقع سقوطه السريع، لأنه لم يحاول الاستفادة من أهل

(١) جريدة الصباح ـ الاثنين ١٩ ربيع الأول ١٤٣٥هـ ـ ٢٠ يناير ٢٠١٤م ـ السنة الثانية ـ العدد: (٣٠) ص: (١١).

الخبرة والكفاءة، ولكنه لجأ إلى أهل الثقة والولاء له ولحزبه، ومكنهم من مفاصل الدولة من وزاراتٍ وإداراتٍ مختلفة، وتم التركيز في اختيار محافظين من فصيلهم للمحافظات التي لم تصوت لهم في الانتخابات الرئاسية، أو كانت نسبة التصويت ضئيلة وهذا نوع من الترويج لفكرهم ومنهجهم الخبيث الذي يريدون الترويج له لاكتساب ثقة الناس، وارتفاع شعبيتهم عند غالبية الجماهير في تلك المحافظات.

(٤) لم ينل "المعزول" الحب الجمعي كما ناله "ناصر والسادات"، ولم ينل أيضا شرعية الرضا الشعبي والتي سقطت أيضا بكثرة التظاهرات في جميع محافظات مصر، فأصبح الشعب يصفه بالكذاب، لأنه في مايو ٢٠١٢، قد صرح قائلا: إذا خرجت مسيراتٍ حاشدةٍ بميدان التحرير، والميادين المختلفة تُطالب بإسقاطي، فأنا أول من ينزل بناء على إرادةِ الشعبِ، ولكن الكذاب رأى بِعَيْنَيْ أُمِّ رَأْسِهِ الملايين الحاشدة في جميع المحافظات قبل ٣٠ يونيو ٢٠١٣، ولكنه لم ينظر إلى ذلك؛ لأن التعالي والكبرياء في تلك اللحظة قد حجب عن أعينهم الحق والحقيقة، والأدهى والأمر من ذلك وهو حروج الجماهير المصرية في ٣٠ يونيو ٢٠١٣ والتي بلغ تعدادها أكثر من ٣٠ مليونا ملأت ميادين جمهورية مصر كلها، حتى أصبحت الصحف العالمية تُصَرِّحُ بأن هذه الحشود من الجماهير لم يشهد لها التاريخ بمثلها قبل ذلك، وبالرغم من هذه التصريحات، فقد أعلنت 'جماعة الإخوان' بكذبها الممنهج، بأن هذا 'فوتوشوب ـ Photoshop' وقد ضربوا بهذه التظاهرات عرض الحائط ولم يستجيبوا لأي نداء من نداءاتِ أصحابِ الآراءِ الراجحةِ، والعقولِ المستنيرةِ، وتنحيه عن الحكم حفاظاً على دماء المصريين، إلا أنه أصر على كُرْسِيِّ الرئاسةِ محذرًا في خطابه الذي تلاه يوم ٢٨ يونيو ٢٠١٣ قائلا: (أنه سيحافظ على الشرعية بحياته، وأن من يبغي غير ذلك سيرتد عليه بغيه، وسيدخل البلد في نفق ضيقٍ مظلم، لا نعرف آخره، وندفع ثمنه كبيرا، وأنه لن يقبل بأن يخرج أحد ضد الشرعية، وَرَدَّدَ قَائِلاً: هذا مرفوضٌ، هذا

مرفوضٌ، هذا مرفوضٌ، وَكَرَّرَ قَائِلاً" إذا كان الحفاظ على الشرعية ثمنه دمي، فأنا مستعد أن أبذله رخيصا حسبة لله) فبهذا التصريحِ الدمويِّ قد سقط من عين المصريين جميعاً ما عدا جماعته، وقد سقط أيضا من أعينِ الكثيرين ممن هم خارج مصر من دول العالم، والذين يحبون الحرية ويرغبون في تحقيقها، لأنه لم يتعظ بتجربة الرئيس الفرنسي "شارلي ديجول" عندما وجد الاحتجاجات من بعض الشباب وظهورهم في مظاهراتٍ، فأعلن الاستفتاء وقال: (إذا لم تأتِ النتيجة باستفتائي بـ ٦٥٪ سأترك منصبي في الرئاسة على الفور، ولما جاءت نتيجة الاستفتاء بأقل من ذلك ترك منصب الرئاسة على الفور، وأصبح اسمهُ يخلدُ في سجلِّ عظماء التاريخ) لأنه بذلك قد أغلق باب الفتنة وصان دماء أهله وشعبه، أما "المعزول" فقد فتح باب الفتنة على مصراعيها وأهدر دماء المصريين الآمنين، وحراس الوطن أصحاب الأعين والساهرين على حدود الوطن والمواطنين، وبذلك سوف يسجل "مرسي وجماعته" في مزابل التاريخ.

(٥) لقد تعهد المعزول بعدم المساس بحرية الرأي لأي مصريٍّ، أو صحفيٍّ، أو منع أي قلم بالإدلاء برأيه مهما كانت التصريحات والنتائج، وكان ذلك في شهر يونيو ٢٠١٢، ولكنه سرعان ما تناسى تصريحاته وقام في شهر يوليو ٢٠١٢ بإصدار قرار إداري بوقف 'قناة الفراعين' لمدة ٤٥ يوما وأنذر القائمين عليها بسحب تراخيصها إذا استمرت في تجاوزاتها ضد "الرئيس المعزول" ولم يكتف الأمر بذلك بل حَرَّضَ أتباعه بالاحتشاد أمام المحكمة الدستورية لمنعهم من أداء عملهم، وخوفاً من أنهم يصدرون تشريعاً بإلغاء 'مجلس الشورى' كما تم في 'مجلس الشعب سابقاً'، ثم قام أنصار المعزول أيضا تحت مسمى 'حازمون' بالاحتشاد أمام مدينة 'الإنتاج الإعلامي' لإرهابهم وإرعابهم، والتعدي عليهم بالسباب، والتعرض لسيارات الإعلاميين وأشخاصِهم بما لا يليق بهم وذلك لتكميم أفواههم، ولكن هؤلاء الإعلاميين أَبَوْا إلا أن يقولون غير الحقيقة، فَكَبْتُ الحريات في عهد "المعزول" كان بمثابة 'الْقَشَّةِ الَّتِي

قَسَمَتْ ظَهْرَ الْبَعِيرِ، فأراد أن يُقَيِّدَ الحريات، ويجفف منابعها على أصحابها، وهذا ليس في الإسلام في شيء، بل إن الإسلام أطلق حرية الرأي، والاستماع إلى الرأي، والرأي الآخر، فقد كان محمدﷺ يستمع من غيره، ولا يحجر على أقوال الآخرين، وإذا أردت عزيزي القارئ أن تعرف ذلك جيداً فانظر إلى صلح الحديبية وقد تعرضنا له قبل ذلك، وكان من بعده صحابته الكرام، فقد ساروا على نهجه في هذا المجال، لأن الإسلام قد كفل للفرد حرية الرأي كفالةً تامةً، وقد كانت هذه الحرية مؤمنةً ومصانةً في عهد الخلفاء الراشدين، فكان «عمر بن الخطاب» يترك الناس يبدون آراءهم السديدة ولا يقيدهم ولا يمنعهم بما تكنه صدورهم، وكان النقد، أو النصح للحاكم في عهد "الفاروق" والخلفاء الراشدين مفتوحاً على مِصْرَاعَيْه، فقد قام الفاروق ـ رضي الله عنه ـ يخطب فقال: (أيها الناس، من رأى منكم فِيَّ اعوجَاجًا فَلْيُقَوِّمْهُ) فقام له رجلٌ وقال: والله لو رأينا فيك اعْوِجَاجًا لَقَوَّمْنَاهُ بسيوفنا، فقال عمر: (الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من يقوم اعْوِجَاجَ عمر بسيفه) واعتبر "عمر" ممارسة الحرية السياسية البناءة، أي: النصيحة تُعَدُّ وَاجِبًا على الرعية ومن حق الحاكم أن يُطالبَ بها، فكان يقول: (أيها الرعية إن لنا عليكم حَقًّا: النصيحة بالغيب، والمعاونة على الخير) وكان يرى أن من حق أَيِّ فَرْدٍ في الأمةِ أن يراقبَه وَيُقَوِّمُ اعْوِجَاجَهُ وَلَوْ بِحَدِّ السَّيْفِ إن هو حَادَ عن الطريق فقال: (أحب الناس إِلَيَّ من رفع إِلَيَّ عيوبي) وقال أيضا: (إني أخاف أن أُخْطِئَ، فلا يردني أحد منكم تَهَيُّبًا مِنِّي) وجاءه يوما رجل، فقال له ـ على رؤوس الأشهاد: اتق الله يا عمر، فغضب بعض الحاضرين من قوله وأرادوا أن يُسْكِتُوهُ عن الكلام، فقال لهم عمر: (لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فينا إذا لم نسمعها) ووقف ذات يوم يخطب في الناس، فما كاد يقول: (أيها الناس اسمعوا وأطيعوا) حتى قاطعهُ أحدهم قائلاً: لاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ يا عمر، فقال عمر بهدوء: (لم يا عبد الله؟) قال: لأن كُلاً مِنَّا أَصَابَهُ قَمِيصٌ واحدٌ من القماش لستر عورته، فقال له عمر: (مكانك،

ثم نادى ولده "عبد الله"، فشرح عبد الله، أنه قد أعطى أباه نصيبه من القماش ليكمل به ثوبه) فاقتنع الصحابة، وقال الرجل في احترام وخشوع: الآن السمع والطاعة يا أمير المؤمنين؛ وخطب ذات يوم، فقال: (لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية، وإن كانت بنت ذي القصة ـ يعني: "يزيد بن لحصين" ـ فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال) فقالت امرأة ـ معترضة على ذلك ـ: ما ذاك لك! قال: ولم؟ قالت: لأن الله تعالى قال: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (النساء: ٢٠) فقال عمر: (أصابت امرأة، ورجل أخطأ) وجاء في رواية أنه قال: (اللهم غفرًا! كل الناس أفقه من عمر) ثم رجع فركب المنبر فقال: (أيها الناس، إني قد نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم، فمن شاء أن يُعطي من ماله ما أحب وطابت به نفسه فليفعل)[1].

فحرية الرأي بالنسبة للأمور الحياتية، والسياسية مطلقة، وليست مطلقة في نظر الشريعة، فليس للإنسان أن يفصح في كل ما يشاء، بل هي مقيدة بعدم مضرة الآخرين بإبداء الرأي، سواء كان الضرر عامًّا، أو خاصًّا، وهذا مما منعه عمر ـ رضي الله عنه ـ وحظره وقيده[2].

وهذا مما لم يَسْتَوْعِبْهُ 'المعزول وجماعته'، فأراد أن يقسم ظهر المصريين بهذا الدستور المعيب، والذي طبخه في مكتب الإرشاد هو وجماعته، ووضعوا فيه قيودًا للشعب المصريِّ مَا وُضِعَتْ قبل ذلك في الدساتير منذ دستور ١٩٢٣ ولا قبل ذلك، وجيء بهذا الدستور بليل بعد ما طُبِخَ في 'مكتب الإرشاد' وَوَقَّعَتْ عليه لجنة المائة في 'مجلس الشورى'، مع العلم أنه لاقى بعض الاعتراضات من بعض من كانوا في اللجنة آنذاك، ولكن "الغرياني" استعجلهم في ذلك لِيُقَّروهُ رَغْماً عنهم ولكن إرادة الله غالبة، وكما يقول المثل الدارج عندنا في الفلاحين: (تيجي تصيده

(١) عمر بن الخطاب شخصيته وعصره ـ د ـ علي محمد محمد الصلاَّبي ص: (١٤٥-١٤٦) والأثر قاله أبو يعلي في مجمع الزوائد برقم: (٤/ ٢٨٣)، وإسناده جيد.

(٢) المصدر السابق ص: (١٤٧).

يصيدك) فكما أرادت جماعة الإخوان والرئيس المعزول أن تصيد الشعب في هذا الدستور المعيب ومواده الناسفة لجميع الحريات، وجعل المعزول دكتاتوراً، صادهم الشعب المصري في ٣٠ يونيو ٢٠١٣ ووضع غاليتهم في السجون قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (البقرة: ٢٥١) ولولا أن الله قد هيأ الأسباب لهذا الشعب العظيم، وأرشدهم إلى النزول في ساحات الميادين في أنحاء الجمهورية طولها وعرضها في ٢٧ محافظة بأعداد غفيرة بلغت أكثر من ٣٣ مليون وساندهم جيش مصر العظيم، وقيد لهذه الجموع رجل وطني حتى النخاع الفريق أول «عبد الفتاح السيسي»، ولولا هذا الرجل ومعه قادته المخلصين ما تزحزح الرئيس وجماعته قيد أنملة عن الحكم، لأن حياء ماء الوجه لا يصل إلى وجوههم، لأنهم جُبِلُوا على التهميشِ والتطنيشِ، والتجارب السابقة تدل على ذلك، فقد قامت مليونيات كثيرة قبل ذلك أمام المحافظات، فكانوا يتصدون لها بإرهابهم، وعندما يرون أعداداً غفيرةً يغلقون أبواب المحافظات ويتركونها وقد رأيت ذلك بعيني أم رأسي، فى محافظة كفر الشيخ بأن مبنى المحافظة قد ترك خالياً وأغلقت أبوابه بالجنازير وكثير من المحافظات كانت قد اتبعت ذلك الأسلوب عندما كانت الجماعة تُحس بنزول الجماهير الغفيرة في الشوارع وقد سبق أن الدكتور «توفيق عكاشة» قد ضرب المثل الأعلى في المليونيات فقد ذهب إلى ١٧ محافظة على فتراتٍ متتابعةٍ وقد جرأ حزب الكنبة على النزول للميادين، وأكون صادقاً في ذلك أنه فعل بروفةً حقيقيةً لـ ٣٠ يونيو وعلى أثرها تناغم الشعب بجميع طوائفه، فأزاحوا طغيان «جماعة الإخوان» الجارف على مصر وشعبها، وضربوا كل المتآمرين على أُمِّ رأسهم، بل على قفاهم كَفًّا ساخِنًا، ليعلمون أن الشعب المصري وجيشه في رباط إلى يوم الدين من أجل أوطانهم وحدودهم، وأعراضهم، وأراضيهم الطاهرة، فأيد الله لهذا الشعب المخلصين من رجاله الأسود الذين حموا عن عرينهم كل خائنٍ وجبانٍ، مما تسبب في فشل «المخطط الصهيو أمريكي والمسمى بالشرق الأوسط الكبير، أو لعبة الشيطان الأمريكي» ضد مصر والعالم العربي، وعوداً إلى دستور ٢٠١٢ المكبل والمقيد للحريات، بعد

ما دار الصراع ما بين (نعم)، و(لا) وأصبح هذا الصراع السياسي في استفتاء مارس ٢٠١١ ولم نر صراعاً سياسياً قبل ذلك على مستوى العالم خصوصاً في مصر حيث أطلقت عبارات الإيمان والجنة لمن قال (نعم)، والكفر والنار لمن قال (لا)، وقد جرى على (دستور الإخوان) في يومين، اليوم الأول السبت ١٥ ديسمبر ٢٠١٢، واليوم الثاني السبت ٢٢ ديسمبر ٢٠١٢، وقد جرى الاستفتاء على دستور الشعب في يومين، اليوم الأول الثلاثاء ١٤ يناير ٢٠١٤، واليوم الثاني الأربعاء ١٥ يناير ٢٠١٤، وكانت مصر في هذين اليومين كالعروس التي زُينت يوم زفافها، فقد ظهر التجانس والتناغم مع جميع طوائف الشعب، أطفالاً، وشباباً، وشيوخاً، ونساءً ترتسم البسمة والفرحة على وجوههم جميعاً وكأنهم في يوم عِيدٍ، ولم يبالوا جميعاً بتحذيرات (جماعة الإخوان الإرهابية) كاشفين صدورهم جميعاً لتفجيراتهم، وإرهابهم، وإرعابهم وَلَبَّوا نداء من أحبوهُ حُبًّا جَمْعيًّا، لأن الچينات المصرية رأت الفارسُ الوطنيُّ الذي تصدى لكل من خان أمن هذا الوطن، فأعطته قلوبها طواعيةً، ووهبت هي الأخرى أرواحها لكل حبة رملٍ من رمال مصرنا المحروسة، وإليك عزيزي القارئ نتيجة لاستفتائين:

استفتاء الدستور المصري ٢٠١٢			استفتاء الدستور المصري ٢٠١٤		
الاختيار	الأصوات	النسبة المئوية	الاختيار	الأصوات	النسبة المئوية
نعم (✓)	١٠,٦٩٣,٩١١	٦٣,٨٪	نعم (✓)	١٩,٩٨٥,٣٨٩	٩٨,١٪
لا (✓)	٦,٠٦١,١٠١	٣٦,٢٪	لا (✓)	٣٨١,٣٤١	١,٩٪
أصوات جائزة	١٦,٧٥٥,٠١٢	٩٨,٢٪	أصوات جائزة	٢٠,٣٦٦,٧٣٠	
أصوات فارغة أو ملغاة	٣٠٣,٣٩٥	١,٨٪	أصوات فارغة أو ملغاة	٢٤٦,٩٤٧	

مجموع الأصوات	١٧,٠٥٨,٣١٧	١٠٠٪	مجموع الأصوات	٢٠,٦١٣,٦٧٧	١٠٠٪
نسبة المصوتين		٣٢,٩٪	نسبة المصوتين		٣٨,٦٪
المصوتون	٥١,٩١٩,٠٦٧		المصوتون	٥٣,٤٢٣,٤٨٥	

وسنعرض الآن المواد المختلف عليها في دستور ٢٠١٢ حيث اعترض عليه قطاع كبير من الساسة والقادة، لأن الأنامل التي كُتبت وسُطرت لهذا الدستور، لا تحب الوطن، ولا ترعى مصالحه، ولا تحب لهذا الشعب الكريم أن يعيش في أمنٍ وسلامٍ وحسن جوارٍ، وقد بلغ عدد المواد التي تُحصن قرارات رئيس الجمهورية وتجعل منه دِكْتَاتُوراً يُحاسب الناس، ولا يجرؤ على حسابه أحد، ولذلك فقد تعددت المواد في الدستور والذي يتم فيها تناول صلاحيات الرئيس، فرئيس الجمهورية هو رئيس السلطة التنفيذية (مادة ١٣٢)، وهو يختار رئيس الوزراء (مادة ١٣٩)، ويضع السياسة العامة للدولة (مادة ١٤٠)، وهو المسئول عن الدفاع والأمن القومي، والسياسة الخارجية (مادة ١٤١)، ويرأس اجتماعات الحكومة التي يحضرها (مادة ١٤٣)، وَيُبْرِمُ المعاهدات الدولية (مادة ١٤٥)، وهو القائد الأعلى للقوات المسلحة (مادة ١٤٦)، وهو من يُعين الموظفين المدنيين والعسكريين ويعزلهم (مادة ١٤٧)، ويُعلن حالة الطوارئ (مادة ١٤٨)، ويعفو عن عقوبة المحكوم عليهم ويخففها (مادة ١٤٩)، ويدعو الشعب للاستفتاء (مادة ١٥٠)، وهو الذي يُعين عشرة في المائة من أعضاء مجلس الشورى (مادة ١٢٩)، ويُعين أعضاء المحكمة الدستورية العليا (مادة ١٧٦)، ويُعين رؤساء الهيئات الرقابية بعد موافقة مجلس الشورى (مادة ٢٠٢)، ويرأس مجلس الأمن القومي (مادة ١٩٣).

ومن أبرز المعترضين على هذه المواد المرشح الرئاسي السابق «عمرو موسى» والذي اعتبر أن هذه المواد تؤسس لحكم استبدادي، فيقول: (احتفظ بكل سلطات الرئيس في دستور ٧١، وزاد عليها سلطة تعيين رؤساء الهيئات والأجهزة الرقابية التي تراقب عليه) وهو ما وافق عليه أستاذ القانون الدستوري، والمنسحب من الجمعية

التأسيسية الدكتور «جابر نصار» معتبراً أن اختصاصات الرئيس زادت بشكل غير طبيعي خلال مسودة الدستور، لتصبح ٢٢ مادة، بزيادة نحو ١٠ مواد تشمل صلاحيات جديدة بخلاف الدساتير السابقة.

أما المادة (٢١٩)، فتقول: (مبادئ الشريعة الإسلامية تشمل أدلتها الكلية، وقواعدها الأصولية والفقهية، ومصادرها المعتبرة في مذاهب أهل السنة والجماعة) وجاءت هذه المادة مفسرةً للمادة الثانية، والتي تنص على أن الإسلام دين الدولة، وسبب الاعتراض في أنه لم يحدث في تاريخ الدساتير على مستوى العالم أن وُضِعَ في دستور مادة تفسيرية لمادة أخرى، ومن أبرز المعترضين عليها «جابر نصار»، والذي أوضح أن هذه المادة سوف تُؤدي إلى أزماتٍ شديدةٍ، لأن النظام القانوني المصري كان يأخذ بنظم قانونية متعددة، وكان يفتح آفاقاً على مذاهب إسلامية كثيرة، والمعترضين أيضا القيادي بحزب التجمع «حسين عبد الرازق»، والذي أوضح أن المادة (٢١٩) ستحول الدولة إلى دولة دينية، وتكاد تكون لبنةً أولى لدولة ولاية الفقيه.

مواد حرية الصحافة:

كان هناك عدة اعتراضات على المواد الخاصة بحرية الصحافة خاصة المادة رقم (٤٨) والتي تنص على: (حرية الصحافة والطباعة والنشر وسائر وسائل الإعلام مكفولة، وتؤدي رسالتها بحرية واستقلال لخدمة المجتمع والتعبير عن اتجاهات الرأي العام والإسهام في تكوينه وتوجيهه في إطار المقومات الأساسية للدولة والمجتمع، والحفاظ على الحقوق والحريات والواجبات العامة، واحترام حرمة الحياة الخاصة للمواطنين ومقتضيات الأمن القومي؛ ويحظر وقفها، أو غلقها، أو مصادرتها إلا بحكم قضائي، والرقابة على ما تنشره وسائل الإعلام محظورة، ويجوز استثناء أن تُفرض عليها رقابة محددة في زمن الحرب، أو التعبئة العامة).

ومن أهم أسباب الاعتراضات على مواد حرية الصحافة هي عدم النص على حظر عقوبة الحبس في جرائم النشر، وعدم تحديد المقصود بمقتضيات الأمن القومي، ومن أبرز المعترضين عليها الإعلامي "حمدي قنديل" والذي اعتبر أن المادة (٤٨) مليئة بعبارات غامضة تفتح الباب أمام البطش بحرية الصحافة، وأوضح القيادي الإخواني السابق "مختار نوح" أن الصحف ونقابة الصحفيين كان لا يجوز حَلِّهَا في دستور "٧١"، أما في الدستور الحالي، فيجوز حل الصحف بحكم قضائي، واعتبر الفقيه الدستوري "يحيى الجمل" أن مواد الصحافة بها نوعاً من العوار، فقد تم حذف السلطة الشعبية الخاصة بالصحافة كما أنها منعت حق تأسيس القنوات الفضائية بالفضائيات.

مادة (٣٥):

(فيما عدا حالة التلبس، لا يجوز القبض على أحد ولا تفتيشه ولا حبسه، ولا منعه من التنقل ولا تقييد حريته بأي قيدٍ، إلا بأمر قضائي مسبب يستلزمه التحقيق، ويجب أن يبلغ كل من تقيد حريته بأسباب ذلك كتابة خلال اثنى عشرة ساعة، وأن يقدم إلى سلطة التحقيق خلال أربع وعشرين ساعة من وقت تقييد حريته، ولا يجري التحقيق معه إلا في حضور محاميه؛ فإن لم يكن ندب له محام، ولكل من تقيد حريته، ولغيره، حق التظلم أمام القضاء من ذلك الإجراء والفصل فيه خلال أسبوع، وإلا وجب الإفراج حتماً، وينظم القانون أحكام الحبس الاحتياطي ومدته وأسبابه، وحالات الاستحقاق والتعويض عن الحبس الاحتياطي، أو عن تنفيذ عقوبة صدر حكم بات بإلغاء الحكم المنفذة بموجبه).

ومن أبرز المعترضين على هذه المادة (جبهة التحرير القومية) التي اعتبرت أن المادة تتيح للداخلية ضبط أي مواطن دون جريمة واضحة ويتم احتجازه لمدة ١٢ ساعة، ويتم خلالها إهانة كرامة المواطن والاعتداء عليه بكل الوسائل.

المواد الخاصة بالقوات المسلحة:

واجهت المواد الخاصة بالقوات المسلحة في الدستور عدة اعتراضات كان

أبرزها نصيب المادة (١٩٨) والتي تنص على: (أنه لا يجوز محاكمة مدني أمام القضاء العسكري إلا في الجرائم التي تضر بالقوات المسلحة؛ ويحدد القانون تلك الجرائم، ويبين اختصاصات القضاء العسكري الأخرى).

وسبب الاعتراض أنها تتعارض مع المادة (٧٥) والتي تنص على: (ألا يحاكم شخص إلا أمام قاضيه الطبيعي)، وتعترض أعداد من الأحزاب والحركات على هذه المواد من ضمنها حزب مصر القوية.

المواد الخاصة بالمحكمة الدستورية:

يعتبر حزب الجبهة أن مواد الدستور (١٧٦، ١٧٧، ١٧٨) تقلل من اختصاصها المحكمة الدستورية خصوصاً المادة (١٧٦) والتي تنص على (تشكيل المحكمة الدستورية العليا من رئيس وعشرة أعضاء، ويبين القانون الجهات والهيئات القضائية، أو غيرها التي ترشحهم، وطريقة تعينهم، والشروط الواجب توافرها فيهم، ويصدر بتعيينهم قرار من رئيس الجمهورية)

وقد تم تقلص عدد أعضاء المحكمة الدستورية العليا من ١٨ إلى ١١ عضواً، ويعينهم رئيس الجمهورية، وهو ما يعني بحسب الرافضين للمواد التعدي على الجمعية العمومية للمحكمة، ويقضي على استقلالية أغلى مراتب السلطة القضائية.

المادة (٧٠):

ونص المادة يقول: (يحظر تشغيل الطفل قبل تجاوزه سن الإلزام التعليمي في أعمال لا تتناسب معه، أو تمنع استمراره في التعليم) وهذه المادة قيل أنها تُخالف المواثيق الدولية لحقوق الطفل، ومن أبرز المعارضين لهذه المادة (الجمعية المصرية لمساعدة الأحداث وحقوق الإنسان، وحزب الجبهة الديمقراطي)؛ حيث يطالب

الحزب تحريم تشغيل الأطفال على الإطلاق[1].

لذا فقد كثرت التظاهرات، والاحتجاجات في جميع المحافظات والميادين وكان الاحتجاج الصادم أمام قصر الاتحادية بسبب دستور مرسي وجماعته المكبل لكل الحريات، فمن أجل ذلك تم دعوة عدد من الأحزاب والقوى السياسية، حيث انطلقت يوم الثلاثاء ٤ ديسمبر ٢٠١٢ مسيرات من مختلف مناطق القاهرة متجهة صوب القصر الرئاسي بمصر الجديدة، ترفع شعارات ضد الإعلان الدستوري الصادر من الرئيس "محمد مرسي" في يوم ٢١ نوفمبر ٢٠١٢، والذي حَصَّنَ قرارات الرئيس بما فيها الإعلانات الدستورية الصادرة عنه من الطعن أمام أي جهة قضائية، وأعطى الرئيس الحق للجوء لأية إجراءات استثنائية يراها ضرورية، كما أدانت مسيرات يوم الثلاثاء مشروع الدستور الذي استفتى عليه المواطنون لاحقاً في يومي ١٥ و٢٢ ديسمبر، من حيث المضمون والطريقة الإقصائية التي شُكلت بها الجمعية التأسيسية والمنهجية التي اتبعتها أثناء صياغة وإقرار مواد الدستور، ومع تزايد أعداد المتظاهرين بشكلٍ عفويٍّ، اضطرت قوات الأمن للتراجع وفتح الحواجز التي كانت قد أقامتها في الشوارع المؤدية للقصر الرئاسي، واحتشدت مئات الآلاف حول أسوار القصر مرددين هتافاتهم دون أن تُرصد أي مظاهر عنفٍ، أو محاولةٍ لاقتحام القصر الرئاسي حتى عقب انسحاب قوات الأمن التي كانت قد أعادت انتشارها بمحاذاة أسوار القصر، وبحلول الفجر وتناقص أعداد المتظاهرين عادت حركة المرور في الشوارع المحيطة بالقصر إلى طبيعتها، فيما قرر عشرات المتظاهرين بدء الاعتصام أمام بوابة القصر المطلة على شارع (الميرغني)، واتسم بالهدوء التام إلى أن تواترت الأنباء بحلول ظهر الأربعاء ٥ ديسمبر عن قيام مجموعات من أنصار "محمد مرسي"، وهم 'أعضاء جماعة الإخوان، وجماعات أخرى' بالاحتشاد للتوجه إلى مقر القصر الرئاسي، وأصدرت 'جماعة

(١) شبكة الإنترنت.

الإخوان' بياناً يدعو أعضاءها للتظاهر أمام القصر من أجل 'حماية الشرعية'، بينما صرح الدكتور "محمد سعد الكتاتني" رئيس حزب الحرية والعدالة أن: (الحزب سيشارك في التظاهرة التي تنظمها القوى الشعبية للتظاهر أمام مقر قصر الاتحادية عصر اليوم لدعم الشعرية التي انتخبها الشعب المصري)، وشهد باحثو المبادرة المصرية الذين تواجدوا بموقع الأحداث لرصد التطورات أنه بحلول الساعة الثانية ظهراً بدأ توافد المتظاهرين المؤيدين للرئيس بأعدادٍ كبيرةٍ، إلا أنه خلال الساعة الأولى وقف الجمعان، كل يطلق هتافاته ولا تفصلهما إلا أمتارٍ قليلةٍ، ولم تحدث اشتباكاتٍ إلا بعض المناوشات اللفظية والمشادات بالأيدي والتي حاول الطرفان في البداية السيطرة عليها، وفي حوالي الساعة الثالثة والنصف، وبعد تجمع الآلاف من مؤيدي الرئيس بدأوا بمهاجمة خيام الاعتصام وضرب المعتصمين والصحفيين الموجودين بمكان الحدث ضرباً مبرحاً باستخدام العصي، والشوم، والحجارة، مما أدى إلى إصابتهم بجروح، في غيابٍ تامٍّ لقوات الأمن، وأفاد عدد من شهود العيان أنه كان هناك ما يكفي من الشواهد، بأن التعليمات التي تلقاها المتظاهرون المؤيدون للرئيس كانت بإزالة الاعتصام المعارض بأيِّ وسيلةٍ ممكنةٍ، وهو ما يتسق مع تصريحات القيادي في حزب 'الحرية والعدالة' "عصام العريان" في اليوم ذاته بأنه: (إذا كانت أجهزة الدولة ضعيفة ومثخنة بجراح الفترة السابقة، فإن الشعب قادر على فرض إرادته، وسيكون أعضاء الحزب إن شاء الله في مقدمة الصفوف)، وهو ما يحمل في طياته تهديداً باستخدام قوات غير نظامية لقمع المعارضين، ومع غروب الشمس كان أنصار "الرئيس مرسي" قد سيطروا تماماً على محيط القصر الرئاسي طبقا لرصد المبادرة المصرية، وبدأت مجموعة من المعتصمين الذين انضم لهم مئات من المواطنين ـ كانوا قد هبوا لنجدة المعتصمين المعتدى عليهم في الاحتشاد للتوجه لمحيط القصر الرئاسي مجدداً، إلا أنهم أثناء توجههم لمحيط القصر حوالي الساعة السابعة، فوجئوا بمدنيين يحملون

أسلحة خرطوش ويصوبون عليهم، كما تعرضوا لإطلاق قنابل الغاز بشكل كثيف من قِبَلِ نفس المجموعات من المدنيين، وأفاد الدكتور "كريم سيدراك" الطبيب بمستشفى القصر العيني الفرنساوي، والذي تواجد بدءاً من الساعة السابعة من مساء الأربعاء في المستشفى الميداني التي أقيمت في الكنيسة الإنجيلية وعند سور نادي 'هيليو ليدو'، بأن أغلب الإصابات كانت بطلقات خرطوش في منطقة الرأس والرقبة، وأشار إلى أنه عالج بنفسه ٢٠ حالة كان نصفهم على الأقل مصابين بطلقات خرطوش، وأكد أن معظم الإصابات كانت في صفوف المتظاهرين المعارضين، وقد أسفرت هذه الأحداث عن مقتل عشرة أشخاص وإصابة '٧٤٨' طبقاً لوزارة الصحة، وأكدت تقارير الطب الشرعي أن الوفيات التي وقعت في صفوف كل من المؤيدين والمعارضين جاءت نتيجة الإصابات بالرصاص الحي والخرطوش، واستطاعت المبادرة المصرية التأكد من ثمانية منهم: محمود محمد إبراهيم (٣٥ عاما)، ومحمد ممدوح الحسيني (٣٠ عاما)، ومحمد خلاف (٣٥ عاما)، وهاني محمد سند الإمام (٣٢ عاما)، ومحمد محمد سنوسي علي (٢٢ عاما)، وعلاء محمد توفيق (٢٨ عاما)، والصحفي الحسيني أبو ضيف (٣٢ عاما)، وخالد طه أبو زيد (٢٥ عاما)، بينما أضافت مصادر حزب الحرية والعدالة اسمي، ياسر محمد إبراهيم (٣٤ عاما)، ومحمد سعيد سلام (٤٢ عاما)، وتؤكد أحداث يوم الأربعاء ٥ ديسمبر ٢٠١٢ على ارتكاب أفراد مدنيون انتهاكات جسيمة في حق المتظاهرين، تشمل التعذيب البدني، والاغتيال اللفظي، من سب وقذف بأفظع الألفاظ، وكان ذلك أمام أبواب قصر الاتحادية على مرمى ومسمع من أعين "مرسي" وحاشية قصره، وقد نقلت ساعتها شاشات التلفازات التعدي بالضرب والسب والسحل على المتظاهرين الذين ليس لهم أي ذنب، إلا أنهم كانوا يعبرون عن بعض آرائهم، وفي شهادة اللواء أركان حرب 'محمد أحمد زكي' قائد الحرس الجمهوري السابق والذي يُحمل "مرسي" ومساعديه مسئولية أحداث الاتحادية مثل

المهندس "أسعد الشيخة"، و"أحمد عبد العاطي" مدير مكتب رئيس الجمهورية، و"رفاعة الطهطاوي" رئيس ديوان الرئاسة السابق، و"أيمن هدهد" المستشار الأمني للرئيس المعزول في أيام ٣، و٥، و١٧ أغسطس ٢٠١٣، ويضيف قائد الحرس قائلاً: (أثناء الأحداث، تلقيت اتصالاً من قائد مجموعة التأمين العميد "خالد عبد الحميد"، وقال لي: إن هناك أشخاص مضروبة على بوابة رقم ٤، والمهندس "أسعد الشيخة" عايز يدخل الناس دي جُوَّه القصر، اتنرفزت جداً وأصدرت له أمراً بعدم دخول أي مخلوق للقصر أيًّا كان من سيصدر هذا الأمر حتى لو كان رئيس الجمهورية).

فأراد مرسي ومساعديه إدخال بعض المتظاهرين والمحتجزين عند البوابة رقم (٤) لإظهارهم أمام النيابة أنهم هم الذين تعدوا على قصر الرئاسة ودخلوه بالقوة وهذا يخرج القضية عن مدلولها، ولذلك قد تم إخلاء سبيل المتهمين في أحداث قصر الاتحادية برئاسة المستشار "مصطفى خاطر" المحامي العام لنيابة شرق القاهرة الكلية، لأن النيابة لم تجد مبرراً لاتهام هؤلاء.

أما الأنامل التي سطرت لدستور لشعب ٢٠١٤ فهي أنامل قد أحبت هذا الشعب، وأرادت له الاطمئنان والحرية، والعيش في أمن وأمان، مُلَبِّيَةً نداء ثورته المجيدة، عيش ـ حرية ـ عدالة اجتماعية ـ كرامة إنسانية، وإليك استعراض بعض المواد المنادية بذلك، لِتَعْلَمَ صِدْقَ مَا نَقُولُ: فالدستور يشمل ٥٠ مادة نافذة بذاتها في المقومات الأساسية والحقوق والحريات وسيادة القانون، وسنذكر بعضاً منها حتى نتجنب الإطالة:

- الكرامة الإنسانية: فقد نصت المادة رقم ٥١ على أن: (الكرامة حق لكل إنسان، ولا يجوز المساس بها، وتلتزم الدولة باحترامها وحمايتها).

- وأما المادة٥٢، فقد نصت على أن: (التعذيب بجميع صوره وأشكاله، جريمة لا تسقط بالتقادم) قالﷺ: (الْإِنْسَانُ بُنْيَانُ الرَّبِّ، مَلْعُونٌ مَلْعُونٌ مَنْ هَدَمَهْ).

- ونصت المادة ٥٣ على أن: (المواطنون لدى القانون سواء، وهم متساوون في الحقوق والحريات والواجبات العامة، لا تمييز بينهم بسبب الدين، أو العقيدة، أو الجنس، أو الأصل، أو العرق، أو اللون، أو الإعاقة، أو المستوى الاجتماعي، أو الانتماء السياسي أو الجغرافي، أو لأي سبب آخر، والتمييز والحض على الكراهية جريمة، يُعاقب عليها القانون، وتلتزم الدولة باتخاذ التدابير اللازمة للقضاء على كافة أشكال التمييز، وينظم القانون إنشاء مفوضية مستقلة لهذا الغرض)

تُعَدُّ المساواة في الدين الإسلامي من أقدس الواجبات وأهمها، ونظر الدين الإسلامي على أن الناس متساوون، الحاكم والمحكوم، الرجال والنساء، الغني والفقير، الأبيض والأسود، العرب والعجم، لذلك فإنه ألغى الفوارق بين الناس جميعاً بسبب الأجناس، والأنساب، والألوان، والطبقات، والحكام والمحكومين، كلهم في نظر الشرع سواء، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

ويوافق نص المادة ٥٥، المادة ٥٢، حيث جاء فيها: (كل من يُقبض عليه، أو يُحبس، أو تُقيد حريته تجب معاملته بما يحفظ عليه كرامته، ولا يجوز تعذيبه، ولا ترهيبه، ولا إكراهه، ولا إيذاؤه بدنياً، أو معنوياً، ولا يكون حجزه، أو حبسه إلا في أماكن مخصصة لذلك، لائقةً إنسانياً وصحياً، وتلتزم الدولة بتوفير وسائل الراحة للأشخاص من ذوي الإعاقة، ومخالفة شيءٍ من ذلك جريمة يُعاقب مرتكبها وفقًا للقانون، وللمتهم حق الصمت، وكل قول يُثبت أنه صدر من محتجز تحت وطأة شيءٍ مما تقدم، أو التهديد بشيء منه يُهْدَرُ وَلاَ يُعَوَّلَ عَلَيْهِ).

وجاء نص المادة ٥٨، بأن: (للمنازل حرمة، وفي ما عدا حالات الخطر، أو الاستغاثة لا يجوز دخولها، ولا تفتيشها، ولا مراقبتها، أو التنصت عليها، إلا بأمرٍ

قضائيٌّ مسبب، يُحدد المكان، والتوقيت، والغرض منه، وذلك كله في الأحوال المبينة في القانون، وبالكيفية التي ينص عليها، ويجب تنبيه من في المنازل عند دخولها، أو تفتيشها، واطلاعهم على الأمر الصادر في هذا الشأن).

وهذا من الحقوق الواجبة لأي إنسانٍ على السواء، فقد حرص المجتمع الجاهلي في مكة على عدم التعدي على البيوت، ولنا شاهدٌ في ذلك، فلما اختارت مكة من كل قبيلة شاباً قويًّا لقتل محمدﷺ ووقفوا أمام بيته انتظاراً لخروجه لصلاة الفجر، ولم يَجْرُؤْ أحدًا منهم على الوثب على جدار بيت النبي والذي لا يتعدَّ ارتفاعه مترًا ونصفًا، لأن العرب كانت تَعُدَّ ذلك سُبَّةً، أَوْ مَعَرَّةً، وحرص الإسلام على صيانة البيوت والحضِّ عليها، والتصدى بكل قوة لمن يتعدى عليها بدون إذن أصحابها حيث قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النور: ٢٧) فقد حث الإسلام على شرعية هذه الآداب، حيث أَدَّبَ اللهُ عبادهُ المؤمنينَ في الاستئذان في الدخول في بيوتٍ غير بيوتهم، إلا أن يستأذن صاحبها ثلاث، فإن أُذِن له، وإلا انصرف على لفور لحديث أبي داود، عن أبي موسى أن رسول اللهﷺ قال: (إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَنْصَرِفْ)[1].

وفي رواية أخرى قال رسول اللهﷺ: (إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ)[2].

فالاستئذان مَا جُعِلَ إلا لعدم اطِّلَاعِ العينِ على عوراتِ البيوتِ، لأن النظر بَرِيدُ

(١) إسناده صحيح لشواهده: أخرجه البخاري في لأدب المفرد (١٠٧٨) (٢/ ٥١٣)، وله شاهد عند أبي دواد برقم: (٥/ ٣٦٧).

(٢) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، والإمام مالك، والبخاري، ومسلم، وأبي داود، عن أبي موسى، وأبي سعيدٍ معاً، وجاء في الطبراني الكبير، والضياء، عن جندب البجلي ـ رضي الله عنه ـ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٣١٨).

الزِّنَا، لذلك فقد قال رسول اللهﷺ: (إِنَّمَا جُعِلَ الاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ)[1].

ولذلك فلا دية ولا قصاص، لمن فَقَئَتْ عَيْنُهُ، عند اطلاعه في بيتٍ من بيوتِ قوم بغير إذنهم، فما بَالُكَ بمن يُدَاهِمَ الْبُيُوتَ عُنْوَةً بدون إذن أهلها، حيث قال رسول اللهﷺ: (مَنْ اطَّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ فَفَقَئُوا عَيْنَهُ فَلَا دِيَةَ وَلَا قِصَاصَ)[2].

ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۚ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ (البقرة: ١٨٩)، كما نهى الله عن التنصت والتجسس، فقال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ (الحجرات: ١٢)، فمن أجل ذلك تُصْبِحُ حُرْمَةَ الْمَسْكَنِ مَكْفُولَةً وَمُصَانَةً مِنْ آذانِ الْمُتَنَصِّتِينَ، وَأَعْيُنِ الْبَصَّاصِينَ.

ونصت المادة ٥٩ على أن: (الحياة الآمنة حق لكل إنسان، وتلتزم الدولة بتوفير الأمن والطمأنينة لمواطنيها، ولكل مقيم على أراضيها).

والأمن والأمان من أكثر النعم التي أنعم الله بها على عباده، فمن أجل ذلك أرسل الله الأنبياء والرسل حتى يتحقق الأمن والأمان للبشر أجمعين، ليصبح الهدف من ذلك هو إصلاح ذات البين الذي يجعل المرء آمناً على نفسه، فلا يَشْغَلُهُ شاغل، وَلَا تعْتَرِضُهُ الهواجس والمخاوف التي تجعله متفرغاً للعمل الجاد والعبادة الْمَرْجُوَّة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)، فالأمن من أَجَلِّ النعم على ابْنِ آدَمَ،، وَلاَ يَتَأَتَّى ذلك، إلا براعٍ للبلادِ محنكٍ، قويٍّ، أمينٍ، حاذقٍ، يعرف مكمن الخطر

(١) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي من حديث سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ وجاء في مختصر مسلم برقم: (١٤٢٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٢٣٥٤)، وأخرجه أبو داود برقم: (٥/ ٣٦٧)، ورقم (٥١٧٤)، وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّمَا جُعِلَ الاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ).

(٢) الحديث صحيح: رواه الإمام، والنسائي، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، وجاء في الإرواء برقم: (٢٢٢٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٦٠٤٦).

على أمته، فيبادر سريعاً بالقضاءِ عليهِ بذكاءٍ وَرَوِيَّةٍ، بعيدًا عن الحذلقةِ والتهورِ، ليصون أمن البلاد والعباد في الداخل والخارج، أما في الداخل، فيحارب الإرهاب والبلطجة، لِيَصُونَ الأجسادِ، والأعراضِ، والمنشآتِ، وأما في الخارج، فيصون أمن الوطن، ويحافظ على حدوده وأراضيهِ من أيِّ اعتداءٍ غاشمٍ، لأن الأمن والأمان من مقومات الراعي، كما قالﷺ: (كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)[1].

ولذلك فقد حرص رسول اللهﷺ على توفير الأمن لرعاياه، ومن بعده صحابته الكرام صاروا على نهجه في هذا المجال، فهذا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لم يحرص على الأمن والأمان لرعيته فقط، بل حرص عليهما، ووفرهما للحيوان أيضا، فكان يقول: (إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَتَعَثَّرَ بَغْلَةٌ فِي الْعِرَاقِ أُسْأَلُ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، وقوله أيضاً: (الْزَمُوا السُّنَّةَ، تُلْزِمُكُمْ الدَّوْلَةَ) أي: اثبتوا على طريق الله المستقيم، كما سار عليه محمدﷺ، وصحابته الكرام، يُمكن لكم في الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ (النور: ٥٥).

وقال رسول اللهﷺ: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتَ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا)[2].

---

(١) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عندما، وجاء في تخريج مشكلة الفقر برقم: (٩٣)، وغاية المرام برقم: (٢٦٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٤٥٦٩).

(٢) الحديث حسن: رواه البخاري، والترمذي، وابن ماجة، عن عبد الله بن محصن ـ رضي الله عنه ـ وجاء في صحيح الترغيب برقم: (٨٢٦)، والصحيحة برقم: (٢٣١٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٦٠٤٢)، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/ ١١٢)، ورقم: (٣٠٠)، والترمذي (٤/ ٥٧٤)، ورقم: (٢٣٤٦)، وابن ماجه (٢/ ١٣٨٧)، ورقم: (٤١٤١)، وأخرجه القضاعي (١/ ٣٢٠)، ورقم: (٥٤٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٩٤)، ورقم: (١٠٣٦٢)، وجاء في المتن بدلا من (جسده) (بدنه).

وجاء نص المادة ٦٣ على أن: (يحظر التهجير القسري التعسفي للمواطنين بجميع صوره وأشكاله، ومخالفة ذلك جريمة لا تسقط بالتقادم).

لذا وجب على رئيس الدولة حماية جميع الطوائف والملل الذين يعيشون على أرضه، مهما أن كلفه ذلك الأمر لأنه راعٍ لهما ومسئول عنهم يوم القيامة، ونحن نتذكر في عهد "المعزول" ما حدث يومي ١٤، ١٥ أغسطس٢٠١٣ بعد فَضِّ اعتصامي "رابعة، والنهضة"، وقيام 'جماعة الإخوان، والسلفية الجهادية' بتهجير نحو ١٥٠ أسرة من الأقباط عنوةً، وقهراً، وفرض الجزية على بعض الأسر، ومنهم من كان يدفع ٢٠٠ جنيه، والبعض الآخر كان يدفع ٥٠٠ جنيه، وسنتعرض لذلك لاحقاً إن شاء الله تعالى، وهذا خارجاً عن مألوف سماحة الإسلام ورحمته بالضعفاء، فقد كانت حرية المسكن مكفولة ومصانة في عهد "الفاروق"، وعصر الخلفاء الراشدين، أما حرية الملكية فقد كانت مكفولة ومصانة في عصر الراشدين ضمن أبعد الحدود التي تقرها الشريعة الإسلامية في هذا المجال فحين اضطر "عمر" ـ رضي الله عنه ـ لأسبابٍ سياسيةٍ وحربية بإجلاء نصارى نجران ويهود خيبر من قلب شبه الجزيرة العربية، إلى العراق، والشام أمر بإعطائهم أرضًا كأرضهم في الأماكن التي انتقلوا إليها احترامًا منه وإقراراً لحق الملكية الفردية الذي يكفله الإسلام لأهل الذمة مثلما يكفله للمسلمين، وعندما اضطر "عمر" إلى نزع ملكية بعض الدور من أجل العمل على توسيع المسجد الحرام في مكة، ولم يكن دفعه للتعويض العادل إلا اعترافاً منه وإقراراً بحق الملكية الفردية التي لا يجوز مصادرتها حتى في حالة الضرورة إلا بعد إنصاف أصحابها، وحرية الملكية لم تكن في عهد الراشدين مطلقة، وإنما هي مقيدةً بالحدود الشرعية وبمراعاة المصلحة العامة، فقد روي أن (بلالاً بن الحارث المزني) جاء إلى رسول الله ﷺ يطلب منه أن يستقطعه أرضًا، فأقطعه أرضًا طويلةً عريضةً، فلما آلت الخلافة إلى "عمر ـ رضي الله عنه ـ" قال له: "يا بلال"، إنك استقطعت رسول الله ﷺ أرضًا طويلةً عريضةً فقطعها

لك، وإن رسول الله ﷺ لم يكن يمنع شيئاً يسأله، وأنت لا تطيق ما في يدك، فقال: أجل، فقال عمر: فانظر ما قويت عليه منها فأمسكه، وما لم تُطِقْ، وما لم تَقْوِ عليه فادفعه إلينا نقسمه بين المسلمين، فقال: لا أفعل والله شيئاً أقطعنيه رسول الله ﷺ، فقال "عمر": والله لتفعلن، فأخذ "عمر" ما عجز عن عمارته فقسمه بين المسلمين، وهنا يدل على أن الملكية الفردية مرتبطةً ارتباطاً وثيقاً بمصلحة الجماعة؛ فإن أحسن المالك القيام بما يتطلبه معنى الاستخلاف في الرعاية والاستثمار فليس لأحدٍ أن ينازعهُ ملكهُ، وإلا فإن لولي الأمر أن يتصرف بما يحول دون إهماله[1].

فأين عمر ـ رضي الله عنه ـ مما نحن فيه الآن؟

وأين قادة مصر ورؤساؤها من بعض القلة الذين يمتلكون آلاف الأفدنة بمبالغ زهيدة، ثم يبيعونها بالملايين؟ وأين هم ممن يمتلكون المساحات الشاسعة من الأراضي الزراعية، وأراضي البناء عُنْوَةً وَقَهْرًا، وَبِوَضْعِ الْيَدِ، ولا يجدون رادعًا يردعهم، أو يدًا قويةً توقفهم عند حدودهم؟ فأين العدالة الاجتماعية، والمساواة في الإسلام إذن؟

وجاء نص المادة ٦٥، بأن: (حرية الكلمة والرأي مكفولة، ولكل إنسان حق التعبير عن رأيه بالقول، أو الكتابة، أو بالتصوير، أو غير ذلك من وسائل التعبير والنشر).

كل ذلك مكفول للأفراد، ويكفله الإسلام لهم بحرية التعبير عن آرائهم، وأقوالهم، طالما أنه لا يمس العقيدة: ولا يحرض على القتل، وهدم مؤسسات الدولة، وغيرها من الأمور التي تتسبب في إسقاط الدولة، أو إضعافها، وما عدا ذلك فهو مباح، ومن يحدد ذلك أناس متخصصون مخلصون لهذه البلدة، كرجال الأزهر الشريف، والعلماء الربانيين في مسائل العقيدة، والشريعة، وغير ذلك من الأمور التي تدخل في

(١) عمر بن الخطاب، شخصيته وعصره ـ د ـ علي محمد محمد الصلابي": ١٤٤.

هذا المجال، وكذلك في النواحي السياسية الذين يحافظون على أمن البلاد وحدودها ومثلها أيضاً نصت المادة ٧٢ على أن: (تلتزم الدولة بضمان استقلال المؤسسات الصحفية ووسائل الإعلام المملوكة لها، بما يكفل حيادها، وتعبيرها عن كل الآراء والاتجاهات السياسية والفكرية والمصالح الاجتماعية، ويضمن المساواة وتكافؤ الفرص في مخاطبة الرأي العام).

وجاء نص المادة ٧٣ بأن: (للمواطنين حق تنظيم الاجتماعات العامة، والمواكب، والتظاهرات، وجميع أشكال الاحتجاجات السلمية، غير حاملين سلاحاً من أي نوع، بإخطار على النحو الذي ينظمه القانون، وحق الاجتماع الخاص سلمياً، مكفول، دون الحاجة إلى إخطارٍ سابقٍ، ولا يجوز لرجال الأمن حضوره، أو مراقبته، أو التنصت عليه).

وهذا من باب الحريات للأفراد أيضاً، طالما أنه لا يضرُّ بمصالح الأفراد، والمنشآت، والمؤسسات، والمواطنين.

وجاء نص المادة ٧٨، بأن: (تكفل الدولة للمواطنين الحق في المسكن الملائم والآمن والصحي، بما يحفظ الكرامة الإنسانية ويحقق العدالة الاجتماعية، وتلتزم الدولة بوضع خطة وطنية للإسكان تراعي الخصوصية البيئية، وتكفل إسهام المبادرات الذاتية والتعاونية في تنفيذها، وتنظيم استخدام أراضي الدولة ومدها بالمرافق الأساسية في إطار تخطيط عمرانيٍّ شاملٍ للمدن والقرى واستراتيجية لتوزيع السكان، بما يحقق الصالح العام وتحسين نوعية الحياة للمواطنين ويحفظ حقوق الأجيال القادمة، كما تلتزم الدولة بوضع خطة قومية شاملة لمواجهة مشكلة العشوائيات تشمل إعادة التخطيط وتوفير البنية الأساسية والمرافق، وتحسين نوعية الحياة والصحة العامة، كما تكفل توفير الموارد اللازمة للتنفيذ خلال مدة زمنية محددة).

ونصت المادة ٨١ على أن: (تلتزم الدولة بضمان حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة

والأقزام، صحياً، واقتصادياً، واجتماعياً، وثقافياً، وترفيهياً، ورياضياً، وتعليمياً، وتوفير فرص العمل لهم، مع تخصيص نسبة منها لهم، وتهيئة المرافق العامة والبيئة المحيطة بهم، وممارستهم لجميع الحقوق السياسية، ودمجهم مع غيرهم من المواطنين، إعمالاً لمبادئ المساواة والعدالة وتكافؤ الفرص).

ولذلك فقد حرصت المادتين ٧٨، ٨١ على الحقوق الإنسانية للأفراد، وتفعيلها، وهذا من الواجب القوميِّ، أما من الناحية الدينية فيدخل تحت باب الرفق، والرحمة بالضعفاء، وأصحاب الحاجات كما قال رسول اللهﷺ: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ)[1].

لذا، فلم يعترض أحداً من المصريين على دستور الشعب ٢٠١٤، إلا من كانت له مصلحةً شخصيةً في تكبيل الدولة، وعدم السير بها إلى الاستقرار وتنفيذ خارطة الطريق، أو الإرهابيين الذين لهم أجندات خارجية، قد فشلوا في تنفيذها، وأراد الله أن يحبطها بالتأييدِ الشعبيِّ، والتظاهرِ الجمعيِّ للمواطنين المصريين الشرفاء.

(٦) عدم قدرة "المعزول" على المحافظة على دماء المصريين التي تسيل في الشوارع، بلا رادع يردعهم، وعدم القدرة على إظهار لجاني الحقيقيِّ الذي تسبب في هذه الدماء، وإلقاء التهم جُزَافاً على الجاني والمجني عليه، وذلك بطمسِ الحقيقةِ، بلاَ مُبَرِّرٍ يُبرِزُهَا، وهذا مما يجعلنا أن ندخل في ملف الاغتيالات، والاغتيالات تنقسم إلى قسمين:

- اغْتِيَالَاتٌ لَفْظِيَّةٌ:

وهو أن ينال المغرضون ممن اغتيل لَفْظِيًّا بتشويه سمعته؛ بل وتعريته أمام الجميع بالحق، أو بالباطل، لتوشيهه، وتشويه صورته، وتحقير شأنه، واللحاق به في كل مكان

(١) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، وأبي داود، والترمذي، والحاكم، عن ابن عمرو، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٣٥٢٢).

يذهب إليه، ثم يتعرضون بعد ذلك لأسرته بالتشهير، والافتراء عليها بالسب بأفظع الألفاظ، وهذا هو دين 'جماعة الإخوان' يقول الأستاذ "علي عشماوي" في مذكراته: (بعد أن قررت انفصالي عنهم، تتالت الفتاوى في حقي بالتكفير تارة، وبالنفاق تارة أخرى، ورأيتُ وعشتُ كيف تخرج الفتاوى من ترزية هذا النوع من الفقه، وساعد على قسوة الأمور ما صاحب الفتاوى من سمعٍ وطاعةٍ من أفراد الجماعة دون أن يُعْمِلَ أحدهم فكره ويعترض، ثم فوجئت بعد أن انتهت المحاكمة أن جاءني الأخ "عباس السيسي" بعرضٍ محددٍ هو نسيان ما كان في أثناء المحاكمة، ونسيان الفتاوى إذا حددت موقفي من الحكومة، وهو ما كان إذا كنت أنوي تأييدها أم لا، فأجبته أن الحق أحق أن يُتبع وأنني انتهيت منهم تماماً، فزادت جرعة المقاطعة والتشهير، ولكنهم لم يصلوا إلى الحد الذي وصلت به معاملة إخوان ١٩٥٤ لمن خرج عليهم وَأَيَّدَ الحكومة، فقد ضربوهم بشدة، وبعد أن خرجت من السجن وجدتهم قد ألفوا كتباً كثيرةً تقول عني الكثير من التشهير، والسب، وحين تركت لهم المنطقة كلها وذهبت إلى أمريكا وجدت التعليمات إلى الإخوان قد سبقتني إلى هناك، ولما تركت أمريكا وذهبت إلى قطر ودعاني الأخ "سليمان الشناوي" إلى الطعام في بيته، ودُسَّ السُّمَّ لي في الطعام، وخرجت من عنده لإفراغ ما في معدتي، وفطن زملائي أنه تسمم، فنقلوني إلى المستشفى حيث أُجريت لي عملية غسيل معدة، وأخبرتهم أنني ربما قد تناولت طعاماً فاسداً، ثم طلبت من الشيخ "ناصر المسند" أن يسمح لي بالعودة إلى مصر، وبعد إلحاحٍ مني والرجل لا يعرف سبب إلحاحي على العودة، وبالفعل قد وافق على عودتي إلى مصر في الثمانينات، وتلك تجربة لم أَبُحْ بها لأحدٍ من قبل، لأنهم كانوا يوزعون كتاباً يتضمن هجوماً عَلَيَّ، ويمعنون في التشهير بي لكل مَنْ حولي، حتى إحداهنَّ قد التقت بابنتي وهي عائدةٌ من الدرس، لتقرأ عليها ما كتب عني من سَبٍ وقَذْفٍ!)[1].

(١) مذكرات الأستاذ/ علي عشماوي ـ آخر قادة التنظيم الخاص ـ ص: (١٢-١٣).

وأما ما كتبه قيادات الإخوان من مقالات، فمنهم من يقول عن الليبراليين: (الليبراليون فوضويون، أتباع 'ميكافيلي'، ومبدأ 'الغاية تبرر الوسيلة'، خمور، أو مخدرات، أو شذوذ، أو دعارة، أو احتكار، أو صفقات من أي نوع، أو زراعات من أي نوع: خشخاش، أو بانجو، أو تجارة في البشر، أو بيع للآثار، أو أرض الوطن، أو إنشاء مزارع للثعالب، ومزابل للخنازير، هؤلاء ليسوا مسلمين وإن صلوا، وصاموا، وحجوا البيت)، وأما ما كتبه الحاج "مصطفى مشهور" عن الديمقراطية والتي اعتبرها شركاً بالله، فاقرأ عزيزي القارئ تصريحات "محمود عزلان، ومحمد بديع، ومحمود عزت"، وغيرهم، هل تعرف ماذا قال أحدهم عن 'الناصريين، وعن حمدين صباحي، وحزبة الكرامة'؟ قال: (إنهم الشيوعيون، أتباع ماركس، وإنجلز ولينين، وماوتس تونج، وهنري كوريل مؤسس الحزب الشيوعي المصري 'حِدتُّو'، وجيفارا، وفيدل كاسترو في أمريكا اللاتينية. إنهم ملاحدة، لعنهم الله في كل دين)[1]. هذه هى اللغة التى يتحدث بها هؤلاء الذين يزعمون أنهم يُدافعون عن الإسلام، والإسلام منهم براء، إستمع عزيزى القارئ إلى ما يقولونه أيضاً عن المعارضين لهم:

قُولْ يَا رَيِّسْ كَدَاكُوَيِّسْ ... واللِّى فِى التَّحْرِيرِ بِيْهَيِّسْ
كُلُّنَا مَعَ الرَّئِسْ

والتَّحْرِيرْ كُلُّهْ رَشَاوِى ... مَيْرُوحُوشِ غِيرِ الْغَاوِى
كُلُّنَا مَعَ الرَّئِسْ

زَمَنْ الْفَوْضَى يَا إِعْلَامْ ... مَاتْ كُلُّنَا مَعَ الرَّئِيسْ
اضْرَبْ يَلَّلِى فِى الْمَلْيَانْ ... واحْبِسْ كُلِّ خَسِسْ وَجَبَانْ
كُلُّنَا مَعَ الرَّئِيسْ

(١) . سر المعبد. للأستاذ/ ثروت الخرباوي ص: (٢١٢-٢١٣).

صَـوِّبْ مَـدْفَـعَـكَ الرَّشَّاشِى نَـاحْـيِـةْ وَائِـلْ الإِبْـرَاشِـى
كُـلُّـنَـا مَـعَ الـرَّئِـيـسْ
يَـا صَبَّاحِى الشَّعْبِ صَاحِى حَـنْـقَـدِّمَـكْ لِـلْأَضَـاحِـى
كُـلُّـنَـا مَـعَ الـرَّئِـيـسْ
والنُّخْبَةْ قَالُوا للدُّسْتُورْ رَافْضِينْ
هُـوَّ انْـتُـوا مِـينْ
دَانْـتُـوا شِـوَيَّـةْ مَـأْجُـورِيـنْ
كُـلُّـنَـا مَـعَ الـرَّئِـيـسْ
يَـا تَهَـانِـى عَـمْـلَـهْ عَـافْـيَـهْ وَانْـتِـى واحْـدَهْ قَـاعْـدَهْ فَاضْيَهْ
بُـكْـرَهْ يِجِـيـلِـكْ ضَرْبَـا قَـاضْـيَـهْ
كُـلُّـنَـا مَـعَ الـرَّئِـيـسْ

ولم تسلم الأحزاب المعارضة من ألسنتهم، والتي تضم حزب الوفد بقيادة الدكتور "سيد البدوي"، وحزب الدستور بقيادة الدكتور "محمد البرادعي"، والتيار الشعبي بقيادة "حمدين صباحي"، والحزب المصري الديمقراطي الاجتماعي بقيادة الدكتور "محمد أبو الغار"، وحزب المؤتمر بقيادة الأستاذ "عمرو موسى"، والحزب الشعبي الاشتراكي بقيادة الأستاذ "عبد الغفار شكر"، وحزب المصريين الأحرار بقيادة الدكتور "أحمد سعيد"، ولأن هذه الأحزاب لم تتفق مع قراراتهم وتصريحاتهم، وتدعوا دائماً للتظاهر ضدهم لإقصائهم لجميع الأحزاب، ومحاولة فرض السيطرة على الشعب المصري في حكم "المعزول" فبدلاً من أن يرددوا "جبهة الإنقاذ الوطني" قالوا عنها:

"جبهة الخراب الوطني"، وَعَطْفًا عَلَى مَا سَبَقَ، فإن اللجان الإليكترونية "لجماعة الإخوان" والتي أسسها "خيرت الشاطر" بدعم ماديٍّ، وَتِقَنِيٍّ ضَخْم، احترفت تشويه سمعة المعارضين للجماعة، ونشر الأكاذيب والشائعات عبر مواقعَ إليكترونية تابعةً لهم، وصفحات، ومجموعات على شكات التواصل الاجتماعي، ومع وصول 'حزب الحرية والعدالة' للحكم تعرض "حمدين صباحي وأسرته" لكمية اغتيالات معنوية، والسبب في ذلك، لأنه كان منافساً قوياً في الانتخابات الرئاسية والتي كانت ستصل به إلى مرحلة الإعادة مع "المعزول" ولم تسلم ابنته سلمى، وزوجته من التشهير أيضاً، فقد قِيلَ عن ابنته أنها كانت تعمل في قناة مملوكة لرجل الأعمال "محمد أبو العينين"، وبالنسبة لزوجته، بأن العيب فيها، أنها غير محجبة، وعندما أقام النائب "حمدي الفخراني" دعوى قضائية تطعن على قرار رئيس الجمهورية بإعادة مجلس الشعب المنحل بحكم قضائي، وطالب أيضاً بتقنين أوضاع 'الجماعة' مُطَالِبًا إنشاء مؤسسة باسم الجماعة، فاستلمود على المواقع الإليكترونية، واعتبروه 'نه يهذي ويستهدف الشو الإعلامي، متجاهلين دوره الإعلامي، ووصفوه بالفلول، في حين أنه كان يخرج علنًا مُهَاجِمًا "لحسني مبارك، وابنه جمال، وأحمد عز" في عز قوتهم، ولم يكتفوا بذلك فقط، بل تعرضوا له بالضرب والسب وتمزيق ملابسه عندما كان برفقة عدد من نواب البرلمان المعارضين لحزب الحرية والعدالة مثل "إيهاب رمزي، ويوسف البدري". وقد شوهد ذلك على شاشات التليفزيون حيث جاء إلى بعض القنوات الخاصة لتسجيل الواقعة وملابسه ممزقةً، ولم يسلما كلاً من "مصطفى بكري، وأبو العز الحريري" من تشويه سمعتهم حيث عانيا كثيرًا من ذلك، و'لغرض من ذلك هو تكميم أفواه المعارضين، بسببهم، وتخوينهم، وإطلاق الشائعات عليهم.

فَـإِذَا كَـانَ رَبُّ الْبَيْتِ بِالدُّفِّ ضَارِبًا فَشِيمَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ الرَّقْصُ

ألم يَتَعَدَّ "هشام قنديل" رئيس وزراء المعزول على نساء 'محافظة بني سويف'،

بالسب والقذف، بأنهم يقضين حاجتهن في الحقول، فيتم اغتصابهن، ثم يتم الاعتداء عليهن للمرة الثانية بقوله: إن إصابة الأطفال بالإسهال يرجع لعدم نظافة ثدي الأمهات، ولم يسلم المعارضين من لسان "المعزول" أيضا باغتيالهم لفظياً، فقال في خطابه قبل ٣٠ يونيو ٢٠١٣، والذي استمر أكثر من ساعتين مُدَّعِياً أن الشخصيات التي تعمل في مجال السياسة، والعمال، والصحافة، بالبلطجة، ووجه لهم اتهامات بالتحريض ضد النظام، وأول هذه الشخصيات هو "مكرم محمد أحمد"، الكاتب الصحفي، ونقيب الصحفيين الأسبق، حيث وصفه، بأنه من فلول النظام السابق، وَيَدَّعِي الثَّوْرِيَّةَ الآن، قائلاً: (الواحد بيشوف حاجات غريبة.. ناس بتتكلم كأنها الثوار، ثم يتساءل قائلاً: هو مكرم محمد أحمد كان من الثوار؟ نقابة الصحفيين ثارت عليه وطلعته بَرَّةْ، واختارت حد تاني، وبعد سنتين في وجود الرئيس الطيب بيقول: أنا من الثوار، أما "أحمد شفيق"، فقد تساءل "مرسي" عنه قائلاً: هل يُعتبر شفيق من الثوار؟ وأضاف قائلاً: شفيق قاعد بَرَّه البلد وعليه قضايا، وبيقول كلام يحرض على قلب النظام، وكأنه أصبح رمزاً للثورة، ثم تطرق لعدة أسئلة منها: من المسئول عن عدم وضع اسم "شفيق" في نظر قضايا قتل المتظاهرين؟ ومن المسئول عن وضع اسم "محمود وجدي" وزير الداخلية الأسبق في القضايا؟ وبعد ذلك يطالبون بعودة النائب العام، أما الإعلام فقد قام على التركيز على السلبيات فقط، وتجاهل الإنجازات التي تحققت خلال عام، وطالبه أن يتوقف عن نشر الشائعات والفتن وخطابات الكراهة، وأن يعمل على توعية الناس، ثم قام باتهام "محمد الأمين" مالك قنوات (سي-بي-سي) قائلاً: (الأمين) عليه فلوس للضرايب، وكل لما نطالبه بالضرائب بيسلط الناس علينا، ثم قال عن "أحمد بهجت" مالك قنوات (دريم): "بهجت" عليه فلوس للبنوك أكثر من ٣ مليارات وكل لما نطالبه يسلط الناس في القناة بتاعته علينا، وأما أغرب الأسماء التي تعرض لها مرسي في خطابه أنه قال: "عاشور" البلطجي من الشرقية، و"فودة" بلطجي المنصورة، وبلطجي آخر لم يتذكر

اسمه من المعادي، يقومون بتأجير البلطجية للهجوم على مؤسسات الدولة، ثم يقوم باتهام رموز المعارضة المصرية وعدداً من القضاة بالتزوير).

ثم تأتي رياح الفتنة مكشرة عن أنيابها القاتلة، ليتصدر المشهد في عهد "المعزول" بعض الإمعات الذين يَحُضُّونَ على القتل بفتاواهم الدامية، ومنهم: الدكتور "محمود شعبان إبراهيم" ـ أستاذ البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر، حيث صَرَّحَ مباشرةً بعد اغتيال المعارض التونسي البارز (شكري بلعيد) ـ أمين التيار الوطني الديمقراطي بالرصاص، بعد تحذيره من انتشار العنف في تونس خلال الفترة المقبلة، حيث صَرَّحَ في آخر ظهور تليفزيوني له قائلاً: (البيان الختامي لمجلس الشورى لحركة النهضة، تبنى تلك العصابات الإجرامية) وعلى أثرها أطلق "شعبان" فتواه قائلاً: (أن حكم أعضاء جبهة الإنقاذ الوطني في شريعة الله هو القتل، مُضِيفًا أن قادة هذه الجبهة التي تبحث عن الكرسي بوضوح يستحقون تنفيذ هذا الحكم، واستشهد "شعبان" على كلامه الذي جاء في برنامج 'في الميزان' والذي تذيعه قناة 'الحافظ' الفضائية حيث أورد في حديثه جزء من الحديث الذي رواه مسلم، والذي جاء فيه: (وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا رَقَبَةَ الْآخَرِ)[1] وأضاف أن حكم من يريد إحراق مصر ويبحث عن السلطة فقط هو القتل شارحاً معنى الحديث، بأنه في حالة منازعة الإمام يجب دفع الثاني، لأنه خارج عن الإمام، فإن لم يندفع إلا بحرب وقتال فقاتلوه، فإن دعت المقاتلة إلى قتله جاز قتله، ولا ضمان فيه لأنه ظالمٌ مُتَعَدٍّ في قتاله، وقال: (إن أكثر من رجل من قادة جبهة الإنقاذ الوطني وعلى رأسهم "البرادعي، وصباحي" تكرر على لسانهم

(١) الحديث صحيح: قال صاحب جامع الأصول: (٤/ ٦٨)، واللفظ لأبي داود، وهو طرف من حديث طويل أخرجه مسلم بطوله، وهو مذكور في كتاب الفتن: (٣/ ١٤٧٢)، أبو داود: (٤/ ٩٧)، ومسلم: (٧/ ١٥٢ - ١٥٤)، وابن ماجة: (٢/ ١٣٠٦).

إسقاط "مرسي" وأنهم يَسْعَوْنَ لإعادة انتخاباتٍ رئاسيةٍ، مُضيفًا أن جبهة الإنقاذ رفضت الدستور، لأنه لم ينص على إعادة الانتخابات الرئاسية) وهذا تصور فاسد من "شعبان" لأن "مرسي" ليس فيه صفة واحدة من صفات إمام المسلمين، لأنه لا يتصف بالعدل مع الجميع، فقد تحيزَ تحيزاً كاملاً لجماعته وحزبه، والأحزاب الأخرى المنتمية لجماعته، ومن أجل ذلك نقول لشعبان: هل الإمام العادل يقتلِ شعبه؟ هل الإمام العادل يتفاوض على خيانة أمن وطنه؟ هل الإمام العادل يتفاوض على التنازل عن حدود وطنه، وإهدار جزء من الضفة الشرقية لحماس والاستيطان بها، والتنازل عن حلايب وشلاتين للسودان؟ إذن فمن يستحق الخروج عليه يا أيها المتنطع الجهول؟

ثم يقول "محمد بديع" في كلمته أثناء اعتصام رابعة وتحريضه على القتال قائلاً: (نحن هنا إما لنحمل "مرسي" على أعناقنا، أو نفديه بأرواحنا)، ويقول "صفوت حجازي": (الرئيس "مرسي" المنتخب بشكلٍ شرعيٍّ في انتخاباتٍ نزيهةٍ، فمن يرشه بالمياه، سنرشه بالدم) وغيرها من التصريحات التي لا تدل إلا على الغباءِ السياسيِّ، وكأن دماء المصريين على أنفسهم، أرخص من دماء الدجاج الذي يسقط على الأرض.

- التَّثَبُّتُ مِنَ الْكَلِمَةِ:

الإيمانُ كلمةٌ، والكفرُ كلمةٌ ـ الصدق كلمة، والكذبُ كلمةٌ، وَشَتَّانَ بينهما ـ العدل كلمة، والظلم كلمة ـ الشرك كلمة، والإيمان كلمة، وَشَتَّانَ بينهما، فاللسان هو الذي يُقِرُّ ذلك، أو يرفضهُ، لذا وجب على المرء أن يتثبت من كل كلمةٍ يسمعها، أو ينطق بها حتى يتحقق منها، ومن صدقها، وإلا فلا داعي لسمعها، أو ذكرها، أو النطق بها، حيث قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات: ١٢) قال «الحسن البصري» ـ رحمه الله ـ: (احمدوا ربكم معشر

المسلمين، أنه لم يجعل للذنوب رائحة، وإلا لم يجلس مسلم بجوار مسلم من رائحة نتنه)، وقال رسول الله ﷺ: (أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ الرِّيحُ؟ قَالُوا بَلَى يا رَسُولَ اللهِ، قال: هَذِهِ رِيحُ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ الْمُؤْمِنِينَ)[1].

وقيل لبعض الحكماء: ما الحكمة في أن ريح الغيبة ونتنها كانت تتبين على عهد رسول الله ﷺ ولا تتبين في يومنا هذا؟ قال: لأن الغيبة قد كثرت في زماننا، فامتلأت الأنوف منها، فلم تتبين رائحة النتن، ويكون مثال ذلك: مثال رجل دخل دار الدَّبَّاغِينَ، ولا يقدر على القرار فيها من شدة الرائحة، وأهل تلك الدار يأكلون فيها الطعام، ويشربون الشراب، ولا تتبين الرائحة، لأنه قد امتلأت أنوفهم منها، كذلك أمر الغيبة في يومنا هذا، وقال حجة الإسلام «الغزالي» في الإحياء اعلم أن سوء الظن حرام، مثل سوء القول، فكما يحرم عليك أن تُحَدِّثَ غيرك بلسانك بمساوئ الغير، فليس لك أن تُحَدِّثَ نفسك، وَتُسِيءُ الظَّنَّ بأخيك[2]، ولذلك حض الإسلام على امتلاك اللسان، ولا يتركه المرء يمزق أعراض المسلمين، لأن اللبيب النجيب هو الذي يملك لسانه، وأما الأخرق، هو الذي يترك للسانه العنان تهتك أعراض الخصوم، أو المناوئين، فأمر رسول الله ﷺ، بامتلاك اللسان في تلك الآونة، حتى لا تتسع الْهُوَّةُ، وتزداد الفتنة، فقال: (أَمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ)[3].

ولما رأى «عزيز مصر» «امرأته، ويوسف عليه السلام»، يستبقان عند الباب، وقصد كل منهما سبق الباب، فيوسف عيه السلام يُريد أن يخرج من الباب وهي

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، والبخاري في الأدب المفرد برقم (٧٥٤) من حديث جابر ـ رضى الله عنه ـ حيث قال: كنا مع النبي ﷺ، فارتفعت ريح منتنة، وذكر الحديث.

(٢) . تفسير محاسن التأويل للقاسمي: (٨/ ٤٣٧)

(٣) الحديث صحيح: رواه الترمذي، من حديث عقبة بن عامر ـ رضى الله عنه ـ وجاء في السلسلة الصحيحة برقم: (٨٩٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (١٣٩٢).

تمنعه من الخروج، فعند امتناعها إيَّاهُ وهو يسير بسرعةٍ نحو الباب اجتذبته من خلفه، فانشق قميصه، فلما أرادت أن تبرأ ساحتها، قالت: (ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم) وبالرغم من رؤية «عزيز مصر» لهذا المشهد وتحقق منه بعينيه، إلا أنه أراد أن يتثبت من قولها، فجاء العزيز بشاهدٍ، ليُدْلِي بشهادته في ذلك المشهد، فقال: إذا كان جَذْبُ القميصِ من الأمام، فهي صادقة، أما إذا كان الجذب من الخلف فهي كاذبة، فلما شوهد أن قميص يوسف عليه السلام،انشق من خلفه، لأنها عندما اجتذبته من الخلف فَانْقَدَّ، أي: انْشَقَّ، فعند ذلك علم الزوج بتبرئة ساحة يوسف عليه السلام، كما حكى القرآن الكريم، وهذا هو التثبت في الحكم قبل إصدار القرار، حيث قال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾ (يوسف: ٢٣-٢٩).

وكان سليمان عليه السلام، قد وهبه الله الملك، وَسَخَّرَ له الإنس، والجن، والطير، وكان يعرف لغة الطير والحيوان، وعند تفقده للطير، لم يَرَ الهدهد في حشود الطير التي اصطفت لتفقدها، وعندما تيقن من عدم وجوده في تلك الحشود، تَوَعَّدَ بأن ينتف ريشه، أو يقتله، أو يأتي بعذرٍ واضح يبين سبب تأخيره عن معسكر التمام الذي يتفقده سيدنا سليمان عليه السلام، ولما حضر الهدهد لم يُعَذِّبْهُ، ولم يَقْتُلْهُ،

كما تَوَعَّدَهُ، بل استمع منه، ليتثبت من قوله، فقال لسليمان: اطلعت على ما لم تطلع عليه أنت وجنودك، وجئتك بخبر صادق، وهو امرأة تملك أُنَاسٍ، فتسجد هي وقومها للشمس من دون الله، وهذه المرأة هي بلقيس ملكة سبأ، فعند ذلك لم ينظر سليمان عليه السلام في أمره إلا بعد أن يذهب بكتابه إلى بلقيس، وتحقق سليمان من صدق الهدهد، لأنه أمهله حتى يأتيه بالبرهان لبين، وذلك هو التثبت من الكلمة قبل الوقوع في المحظور، حيث قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ (النمل: ٢٠-٣١).

والمراد مما سردناه، هو التثبت من الأقوال، لأن الكلمة المسمومة تُشعل في الأجواء نَارًا، لأن الأقوال الكاذبة، والادعاءات الباطلة، والآراء التي تحمل في طياتها الشر المستطير، فهذه من الأمور التي تترك في النفوس الرَّيبَةً فَتُفْسِدُهُمْ، فكلمة خرجت من فم «المعزول»، وكررها في خطابه بقوله: (إذا كان الحفاظ على الشرعية ثمنه دمي، فأنا مستعد أن أبذله رخيصاً حسبة لله) وراح في سبيل هذه الكلمة دماء كثيرة من المصريين الشرفاء، من أجل كرسيٍّ زائفٍ، جاء بالتزوير، وذهب بالدماء الذكية، قال

رسول الله ﷺ: (إِنَّ الْأَمِيرَ إِذَا ابْتَغَى الرِّيبَةَ فِي النَّاسِ أَفْسَدَهُمْ)[1].

وما أصدق مقالة الشاعر الأموي «نصر بن ربيعة» الكناني حيث قال:

أَرَى تَحْتَ الرَّمَادِ وَمِيضَ نَارٍ ... وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضُرَامُ
فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تُذْكَى ... وَإِنَّ الْحَرْبَ مَبْدَؤُهَا كَلَامُ
فَإِنْ لَمْ يُطْفِئُوهَا عُقَلَاءُ قَوْمٍ ... يَكُونُ وَقُودُهَا جُثَثٌ وَهَامُ
فَقُلْتُ مِنَ التَّعَجُّبِ لَيْتَ شِعْرِي ... أَأَيْقَاظٌ أُمَيَّةُ، أَمْ نِيَامُ
فَإِنْ يَقِظَتْ فَذَاكَ بَقَاءُ مُلْكٍ ... وَإِنْ رَقَدَتْ فَأَنَّى لَا أُلَامُ
فَإِنْ يَكُ أَصْبَحُوا وَثُوُوا نِيَامًا ... فَقُلْ قُومُوا، فَقَدْ حَانَ القِيَامُ
فَغُرِّي عَنْ رِحَالِكِ ثُمَّ قُولِي ... عَلَى الْإِسْلَامِ، وَالْعَرَبِ السَّلَامِ

- الاغْتِيَالاتُ الْجَسَدِيَّةُ:

ليس من حَقِّ أيِّ إنسانٍ أن يهدم بنيان الرَّبِّ، مهما بلغت سلطته، ومهما بلغ عِلْمُهُ، لأن الإنسان بنيان الرب ملعون، ملعون من هدمه، فالإرهابيون، والإرعابيون، والتدميريون، والتفجيريون، ليسوا من المسلمين، وحلال قتلهم، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ (البقرة: ٢٠٥) وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ (الفجر: ١١-١٤).

وبديهيات الإسلام تقطع، بأن من استحل الدم الحرام، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا

(١) الحديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٨٨٩)، وأحمد (٢٣٨٦٦)، وابن أبي عاصم في (السنة) (١٠٧٢)، وفي (الآحاد، والمثاني) (٢٨٣٢) و(٢٨٣٤)، والطبراني في (الكبير) (٣٠٢) و(٦٥١) و(٧٥١٥)، والحاكم (٨١٣٧)، والبيهقي (١٧٤٠٢) من حديث أبي أمامة الباهلي، وجاء في غاية المرام برقم: (٤٢٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (١٥٨٥).

وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ (النساء: ٩٣) قال رسول الله ﷺ: (سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، لا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[1].

فهؤلاء في قتلهم رَاحَةٌ للبلاد، والعباد، والشجر، والدوابِّ، ولذلك فإن رسول الله ﷺ مُرَّ عليه بجنازة، فقال: (مُسْتَرِيحٌ، أَوْ مُسْتَرَاحٌ مِنْهُ) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ قَالَ: (الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ)[2].

وعندما يُفْتَحُ هذا الملف، يقع الإنسان في دهشةٍ غريبةٍ، فيضعُ كَفَّهُ على أُمِّ رأسهِ فَاغِراً فَاهَهُ مَشْدُوهاً، وكأنه يتذكر جاهلية ما قبل الإسلام من حروب، ومشاحناتٍ، وسفكٍ للدماء، وتشبثٍ بالآراء، وعدم الاستجابة لأقوال الحكماء، والبعد عن الأفواه الناصحة، أما الآن وبعد أكثر من أربعة عشر قرن من الزمان، وبعد ما نزل من القرآن، ومن السنة، وأعلمنا رسولنا الكريم حُرْمَةَ الدماءِ قرآناً، وسنةً؛ لذا وجب علينا في تلك الآونة الإحجام عن ذلك، والامتثال لكتابه تعالى، وسنة نبيه ﷺ، فالأدهى والأمر أن

(١) الحديث صحيح: رواه البخاري، ومسلم، وجاء في الإرواء برقم: (٢٤٧٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٣٦٥٤).

(٢) الحديث صحيح: أخرجه مالك (١/ ٢٤١/ ٥٤) وعنه البخاري (٤/ ٢٣٣.)، وكذا مسلم (٣/ ٥٤)، والنسائي (١/ ٢٧٢-٢٧٣)، وأحمد (٥/ ٣٠٢-٣٠٣) كلهم عن محمد بن عمرو بن حلحلة عن معبد بن كعب بن مالك، وأخرجه الشيخان، والنسائي، وأحمد (٥/ ٢٩٦ و٣٠٢ و٣٠٤) من طرق أخرى عن ابن كعب به، ورواه الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي عن أبي قتادة ـ رضى الله عنه ـ، وجاء في مختصر مسلم برقم: (٤٦٦)، والسلسلة الصحيحة برقم: (١٧١٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٥٨٧٢).

(جماعة الإخوان) يضربون بذلك الكلام، وتلك المفاهيم عرض الحائط، لأنهم يعتقدون أن (مكتب الإرشاد) وأعضاءه معصومون، ولا يُخطئون، وفي اعتقادهم أنه لا يوجد مُراجعات، بحجة أن مصادر الوعي، والمرجعية عندهم في أعضاء مكتب الإرشاد الذي لا يُخطئ، والذي تتوفر عنده جميع المرجعيات، إذ لا سبيل عند هؤلاء الأفراد إلا السمع والطاعة والتنفيذ، ولذلك عندما يأتمر الإخواني بَأمْر من أعضاء مكتب الإرشاد، يُنَفِّذُ على الفور دون مرجعية لمصدري التنزيل، أو دينه، أوعقله، أو العلماء الربانيين الذين يتصفون بالعلم والزهد والورع، لاعتقادهم الأعمى في أن المرجعية الوحيدة لهم في أعضاء مكتب الإرشاد وفقط، عندما نتصفح صفحات من خمسينيات القرن الماضي، لنكتشف الحقيقة الْمُفْجِعَةَ، بَلْ وَالْمُرَّةَ، أنهم يقتلون بعضهم البعض بأمر من المرشد، أو أعضاء مكتب إرشادهم، فما بالك بمن لا ينتمون لجماعتهم، فهيا بنا نطالع ما كتبه «الأستاذ علي عشماوي» في مذكراته قائلاً: (لقد ظلم الإخوان أنفسهم، وظلموا المسلمين والإسلام حين تصدروا لهذا الأمر وهم يعلمون من تاريخهم المليء بالانقسامات والفتن والدسائس ما تضيق له الصدور، فلو تتبعنا الفتنة التي حصلت بينهم من أول مؤامرة تعيين الأستاذ «حسن الهضيبي» من قبل مجموعة أرادت أن تقوم بانقلاب داخل الجماعة، وقد تم لهم ما أرادوا، حيث جمع الأستاذ «منير الدلة» المجموعة المرشحة لتولي قيادة الجماعة بعد وفاة الأستاذ «البنا»، وهم «صالح عشماوي، والشيخ الباقوري، والأستاذ جمال البنا، والأستاذ عبد الحكيم عابدين» والذي كانت عليه بعض التهم الشخصية التي تجعله غير مؤهل لهذا المنصب، وفاتحهم الأستاذ «منير الدلة»، بأنه من المطلوب اختيار مرشداً خلفاً للمرشد الراحل، ولكنهم تعففوا جميعاً، فهم جميعاً راغبون في المنصب إلا أنهم يريدون أن يختارهم الآخرون، لأن طلب الولاية لَا يُوَلَّى، واستغل الأستاذ «منير الدلة» تلك الحالة وفاجأهم بعرض اسم الأستاذ «حسن الهضيبي»، ولم يكن معروفاً بين الإخوان، ولكنهم لم يعترضوا حياءً منه مع الاحتفاظ

بالضغينة في داخلهم، ونتيجةً لهذا السلوك العجيب الذي يعتبر الصراحة، ولكنهم يريدون للأمور أن تأتي لهم، ولكن بطريق ملتوٍ وغير صريح، وقد تمت الموافقة على اسم «الهضيبي» وأخذت موافقة الهيئة التأسيسية بالتمرير، وكان هذا أول نجاح يحرزه «صلاح شادي» في صراع مع «السندي» حيث لم يكن يحبه وكانت المنافسة بينهما كبيرة حتى أن «صلاح شادي» قد أنشأ له جهازاً سرياً خاصاً به سمي مجموعة وحدات تولي الأستاذ «الهضيبي» القيادة، وأحاط نفسه بمجموعته المكونة من «صلاح شادي، ومنير الدلة، وحسن عشماوي، وعبد لقادر حلمي»، وغيرهم، ولما خرج إخوان السيارة الجيب من السجون، ودعا الأستاذ «الهضيبي» للقاء هؤلاء، فقال قولته الشهيرة: أنا لا أقابل المجرمين والقتلة، وكان لهذا التصريح عمل النار في الهشيم بين أفراد النظام الخاص، وبدأت حركة غير طبيعية بين هؤلاء الإخوان، وكان قد تم تعيين «السيد فايز عبد المطلب» رئيساً للنظام في غياب «السندي»، ولما بلغ «السندي» أن «السيد فايز» قد وضع ولاءه للمرشد الجديد اشتاط غضباً، وكان شخصية دكتاتورية لا يحب أن يُنازعه أحد، أو ينافسه أحد، بل كان يقضي على جميع منافسيه حتى لا يكون على الساحة غيره، فأرسل «للسيد فايز» من يقتله، فَأُرْسِلَتْ له علبة حلوى في منزله انفجرت فيه حين فتحها)[1]، وفي هذه الظروف المريبة، والغامضة قد قُتل المهندس «السيد فايز عبد المطلب» عصر الثالثة بعد ظهر الخميس ٢٠ من نوفمبر ١٩٥٣ بواسطة صندوق من الديناميت وصل إلى منزله على أنه هدية من الحلوى بمناسبة المولد النبوي الشريف، وقد قُتِلَ معه بسبب الحادث شقيقه الصغير البالغ من العمر تسع سنوات، وطفلةً صغيرةً كانت تسير تحت الشرفة التي انهارت نتيجة الانفجار وَشُيِّعَتْ جنازته في اليوم التالي، ونشرت الصحف نبأ استشهاده صباح يوم الجمعة ٢١ نوفمبر ١٩٥٣م[2].

(١) مذكرات الأستاذ علي عشماوي ص: (٢٢-٢٣).

(٢) شبكة الإنترنت.

- الاغْتِيَالاَتُ السِّياسِيَّةُ فِي مِصْرَ:

لقد حاول (جماعة الإخوان) التصدي لكل من يحاول مخالفتهم في قراراتهم، أو التعبير عن رأيه على شبكة الإنترنت، أو التواصل الاجتماعي، فقد قاموا باغتيال زهرة شباب مصر، مثل «جيكا، ومحمد كرستي، ومحمد الجندي، والصحفي الحسيني أبو ضيف» وغيرهم الكثير ممن تصدوا لهم، وَعَبَّرُوا عن رأيهم من خلال المظاهرات، أو نشر آرائهم على مواقعهم في (الفيس بوك ـ Face Book)، ثم يسأل سائلٍ وكيف تعرف هذه الوجوه من خلال الآلاف في المظاهرات، نقول، وباعترافٍ ممن ينتمون لهذه 'الجماعة' أنهم أثناء المظاهرات يترصدون الشخص المستهدف، ثم يسير أحد الأعضاء المنتمين لهم بالوقوف خلفه ومعه حقيبة (صفراء اللون)، ليعطي إشارةً للقناص، فتتم عملية الاغتيال دون مشقة للبحث عن هذه الأشخاص، أما صورهم فتكون معروفةً من خلال مواقعهم على الفيس بوك، وتأتي محاولة تفجير موكب اللواء "محمد إبراهيم" وزير الداخلية الفاشلة 'بحي مدينة نصر' صباح يوم الخميس ٢٩ شوال ١٤٣٤هـ ـ ٥ سبتمبر ٢٠١٣م، لِيُعِيدَ إلى أذهاننا فتح ملف الاغتيالات السياسية والعمليات الإرهابية من جديد، والتاريخ مليء بالوقائع التي تفوح برائحة الدم حسب ما جاء في كتاب الاغتيالات السياسية في مصر ١٩١٠/ ١٩٨١ "لخالد عزب"، والبداية كان حادث اغتيال "بطرس باشا غالي" على يد "إبراهيم الورداني" الذي اعترف، بأنه القاتل وحده دون شريك وأن سبب القتل كما جاء على لسان القاتل: (لأنه خائن للوطن، وجزاء الخائن البتر) وأُحيل الورداني في يوم السبت ٢ إبريل ١٩١٠ إلى محكمة الجنايات، التي قضت بإعدامه، وَنُفِّذَ الحكم في ٢٨ يونيو ١٩١٠ وجاء اغتيال "أحمد باشا ماهر" بعد توليه لمنصب رئيس الوزراء في أكتوبر ١٩٤٤، حيث تعرض لهجوم عنيف بعد إعلان دخول مصر الحرب 'ضد المحور'، وانحيازه للإنجليز، وقاد الهجوم 'الملك فاروق، وحزب الوفد' وأُشيع عنه أنه مُوَالٍ لليهود، وتابع للإنجليز، وفي ٢٥ فبراير ١٩٤٥ اقتحم شاب البهو

الفرعوني بمبنى البرلمان، وأطلق النار على "أحمد ماهر" الذي مات متأثراً بجراحه[1].

والذي أُطلق الرصاص هو الشاب "محمود العيسوي"، وبعد الحادث تم إلقاء القبض على كل من "حسن البنا، وأحمد السكري، وعبد الحكيم عابدين" ولكن بعد أيام تم الإفراج عنهم نتيجة اعتراف "العيسوي" بأنه ينتمي للحزب الوطني، وتأتي شهادة "أحمد حسن الباقوري" التي خطها بيده في كتابه 'بقايا ذكريات' لتثبت انتماء "العيسوي" للإخوان، والتي أقر فيها بأن أعضاء 'النظام الخاص' داخل الإخوان لم يكونوا معروفين إلا لفئة قليلة، وقد قرروا الانتقام من "أحمد ماهر" بعد إسقاط "البنا" في انتخابات الدائرة بالإسماعيلية، وكان "العيسوي" من أكثر المتحمسين لذلك[2].

ونتابع ما جاء في الجريدة: وفي يناير ١٩٤٦ تم اغتيال "أمين عثمان" الذي كان حادث اغتياله سِيَاسِيًّا بالدرجة الأولى: فقد وَطَّدَ "أمين عثمان" علاقته بالإنجليز وساند بقائهم في مصر، واستفزت علاقته بالإنجليز شباب 'الحزب الوطني'، وَقُبَيْلَ اغتياله بساعات كان في ضيافة "اللورد كيلرن" المندوب السامي البريطاني، فقد حاول التوفيق بين حقوق مصر في الاستقلال، ومركز انجلترا في الشرق الأوسط، مما أوقعه في خلافٍ سياسيٍّ مع كثير من الزعماء السياسيين في عصره، لذلك اتهمه البعض بالخيانة، وفي مساء ٥ يناير ١٩٤٦ قام ثلاثة من الشباب بإطلاق النار على "أمين عثمان"، وَقُبِضَ على القاتل "حسين توفيق" واعترف على بعض رفاقه وصدر عليه حكم بالسجن وكان ضمن المتهمين في هذه القضية الرئيس الراحل "أنور السادات" وهرب "حسين توفيق" من السجن ولم يعثر له على أثر فيما بعد، أما "محمود فهمي النقراشي" باشا، والذي كان يشغل منصب رئيس الوزراء، ووزيراً للداخليةِ في آنٍ

(١) جريدة الأهرام الجمعة ٣٠ شوال ١٤٣٤ هـ ـ ٦ سبتمبر ٢٠١٣م ـ السنة (١٣٨) ـ العدد (٤٦٢٩٥) ص: (٦).

(٢) شبكة الإنترنت.

واحدٍ؛ فكان بمثابة عدو للإخوان، ففي وزارته الأولى أمر باعتقال "حسن البنا، وأحمد السكري، وعبد الحكيم عابدين» بناءٍ على الشك في تورط (جماعة الإخوان) في مقتل «أحمد ماهر»، حيث كان القاتل الذي كان ينتمي إلى (الحزب الوطني) مُوَالِياً لهذه (الجماعة)، وبلغت المواجهة بين حكومة النقراشي والإخوان ذروتها عندما أصدر النقراشي بصفته حاكماً عسكرياً في ٨ ديسمبر عام ١٩٤٨ أمراً عسكرياً بحل جماعة الإخوان، وفي ٢٨ ديسمبر ١٩٤٠ قام شاب يُدعى «عبد الحميد أحمد حسن» ينتمي إلى الإخوان، وكان يرتدي زِيًّا عَسْكَرِيًّا، بإطلاق الرصاص على النقراشي باشا رئيس الوزراء عند وصوله إلى مبنى وزارة الداخلية، وحكم على الجاني بالإعدام ونفذ الحكم، وخارج السياق ذُكِرَ أنه تم اعتراف رُوَّادُ المقهى الذي كان يَتَرَدَّدُ عليه الضابط المزيف فقالوا: (أنهم عرفوا الضابط المزيف باسم «حسني أفندي» وأنه تلقى مكالمةً تليفونيةً قبل الجريمة بعشرين دقيقة من شخص مجهول أخبره بأن «النقراشي باشا» في طريقه إلى مكتبه بوزارة الداخلية، أما الاسمُ الحقيقيُّ للقاتل، فهو «عبد الحميد أحمد حسن» وكان طالبا بكلية (الطب البيطري) وينتمي (لجماعة الإخوان) وعندما سأله المحقق عن مصدر البدلة العسكرية أجاب بتهكم قائلاً: (في سوق الكانتو منها كتير)، وقال القاتل في هدوءٍ وثباتٍ: أيوه قتلته وأعترفُ بكده، لأنه أصدر قراراً بحلِّ (جمعية الإخوان) وهي جمعيةٍ دينيةٍ ومن يحلها يهدم الدين... قتلته، لأني أتزعم شعبة الإخوان منذ كنت تلميذاً في مدرسة فؤاد الأول الثانوية)[1].

وعطفاً على ما تم كتابته في الجريدة، حيث جاء اغتيال «حسن البنا» المرشد الأول (لجماعة الإخوان) في فبراير ١٩٤٩، بعد سلسلة من الاغتيالات التي اجتاحت البلاد والتي بدأت بمقتل «أحمد ماهر» في فبراير ١٩٤٥، ثم أخذت تتطور، وتتنوع مظاهرها حتى أوائل ١٩٤٩، وذلك مروراً باغتيال «أحمد الخازندار» أمام منزله في حلوان،

(١) شبكة الإنترنت.

فيما كان متجهاً إلى عمله على أيدي شابين من الإخوان هما: «محمود زينهم، وحسن عبد الحافظ» سكرتير «حسن البنا» على خلفية مواقف المستشار «أحمد الخازندار» في قضايا سابقة أدان فيها بعض شباب الإخوان لاعتدائهم على جنود بريطانيين في الإسكندرية بالأشغال الشاقة المؤبدة في ٢٢ نوفمبر ١٩٤٧، وكان ذلك على أثر ما صدر من المرشد في قوله: (لو حد يخلصنا منه).

أما الدكتور «محمد حسين الذهبي» الذي تم اختطافه وقتله في ٣ يوليو ١٩٧٧، فقد كان أول من تصدى لأفكار التكفير والهجرة فكرياً، فقد اعتبر مسئولاً بدرجة كبيرة عن توضيح تلك الصورة السلبية (لجماعة الإخوان)، (فأصدر الذهبي) وقت أن كان وزيراً للأوقاف (كتيباً صغيراً) في يوليو ١٩٧٥ ناقش فكر (جماعة الإخوان)، والتي عُرِفَتْ وقتها في (الصحف المصرية) باسم (أهل الكهف)، أو (جماعة الهجرة) ونُسب فكر هذه الجماعة إلى (الخوارج)، وأثبت فيه بالاستناد إلى القرآن والسنة فساد الزعم الذي أطلقوه بأنهم وحدهم المسلمون، وأن المجتمع حولهم يُعَدُّ مجتمعاً كافراً، وتم القبض على «شكري مصطفى» وقدم للمحاكمة العسكرية هو وأربعة وخمسون آخرون، وأصدرت المحكمة يوم ٣٠ نوفمبر ١٩٧٧ حكمها بإعدامه، وأربعة آخرين، ومعاقبة ١٢ بالأشغال الشاقة المؤبدة وهم المجموعة التي اشتركت في خطف «الذهبي»، ومعاقبة ٧ بالأشغال الشاقة لمدة ١٥ سنة، ومعاقبة ٦ بالأشغال الشاقة لمدة ١٠ سنوات، ومعاقبة ٨ بالأشغال الشاقة لمدة ٣ سنوات، وبراءة ١٢ متهماً، وفي ٣٠ مارس ١٩٧٨ صباح زيارة «السادات» للقدس تم تنفيذ حكم الإعدام في «شكري مصطفى وإخوانه»، وجاء حادث اغتيال «السادات» في ٦ أكتوبر ١٩٨١، نتيجة تضافر مجموعة من الظروف السياسية المحلية والدولية، لتحقيق هذا الاغتيال، فقد اشتهر عهد «السادات» بظهور التنظيمات السرية لجماعات العنف والتكفير، بالرغم من

المميزات التي قدمها للتيارات الدينية في عهده[1].

ولما أُلْقِيَ القبض على «محمد الإسلامبولي» الشقيق الأكبر «لخالد الإسلامبولي» قبل حادث المنصة بحوالي شهر، وتحديداً يوم ٣ سبتمبر ١٩٨١، حيث قال له أخوه: (إن المجتمع الذي نعيش فيه كافر.. جاهل، لأن الناس فيه أخذوا أمورهم بأحكام غير مستمدة من شريعة الإسلام) وقال أيضاً: (أن الجاهلية ليست حالة دينية، وإنما حالة اجتماعية، ومن لم يكفر كافراً، فهو كافر)[2].

وإلحاقاً لما سبق ذكر الكاتب قائلاً: «السادات» كان عند «خالد الإسلامبولي» بمثابة حاكم متحققاً كفره، وبناء على هذا التصور فقط قتل خالد السادات، وكانت مبرراته محصورة في عدة عناصر وفقاً لما يلي:

- السادات حاكم لا يطبق شرع الله.
- زيارة السادات لإسرائيل.
- إهانة السادات لحجاب المرأة ووصفه إياه بالخيمة.
- قوله: أنه لا دين في السياسة، ولا سياسة في الدين.
- قيامه بإهانة الشيخين "أحمد المحلاوي"، و"حافظ أسامة"، أما عن الأول، فقد قال عنه "السادات": (الرجل بتاع الإسكندرية.. الخطيب اللي كان بينال مني.. ومن بيتي أهو مرمي في السجن زي الكلب، والله ما هرحمه، وبالقانون)، وأصدرت وزارة الأوقاف قرار بمنعه من الخطابة عام ١٩٩٦.

أما عن الثاني، فقد رفض زيارة "السادات" للقدس عام ١٩٧٧، ومعاهدة كامب ديفيد عام ١٩٧٩، مما جعل الرئيس "السادات" يضعه على قائمة الاعتقالات في

(١) نفس المصدر السابق من جريدة الأهرام ص: (٦).

(٢) مبارك واغتيال السادات. عصام عبدالفتاح ص: (١٠٠).

سبتمبر ١٩٨١، وأُفرج عنه بعد اغتيال السادات.

وعندما سئل "الإسلامبولي" يوم ١١أكتوبر ١٩٨١ أثناء التحقيق معه "لماذا قررت اغتيال السادات"؟

ذكر بالنص قائلاً:

· أولاً: أن القوانين التي يجري بها حكم البلاد لا تتفق مع تعاليم الإسلام وشرائعه، وبالتالي فإن المسلمين كانوا يُعانون كافة صنوف المشقات.

· ثانياً: أنه، أي: «السادات» أجرى صُلْحًا مع اليهود.

· ثالثاً: اعتقل علماء المسلمين، واضطهدهم، وأهانهم[1].

- الاغْتِيَالاَتُ الْفَاشِلَةُ لِوُزَرَاءِ دَاخِلِيَّةِ مِصْرَ:

قائمةٌ طويلةٌ من وزراء الداخلية في مصر، تعرضوا لمحاولات اغتيال سواء بإطلاق النيران، أو باستخدام عبوات مفخخة، أو في أعمال انتحارية، لكن جميعها باءت بالفشل.

اللواء النبوي إسماعيل:

جرت محاولة اغتياله في ١٣ أغسطس ١٩٨٧، حيث شن متطرفين هجوماً بالأسلحة النارية مطلقين النار بشكلٍ كثيفٍ على شرفة منزله وفروا، دون أن يتعرض النبوي لمكروهٍ أو إصاباتٍ.

اللواء عبد الحليم موسى:

قامت الجماعة الإسلامية، وتنظيم الجهاد، بالتخطيط لاغتياله، غير أن القدر وقف لصالحه، حيث كان الإرهابيون يترصدون لموكبهِ بدراجةٍ بخاريةٍ أعلى كوبري قصر

(١) أ. هـ. المصدر السابق ص: (٩٨، ١٠٠).

النيل في أثناء مرور الموكب أمام فندق سميراميس في القاهرة وتصادف ذلك مع مرور رئيس البرلمان السابق الدكتور «رفعت المحجوب» من نفس الطريق الذي كانت الجماعة تعتقد أن موكب «موسى» سيمر منه، فأطلق الجناة على الموكب وابلاً من الرصاص، وفروا هاربين على دراجات بخارية في الاتجاه المعاكس، فاغتالوا بذلك «المحجوب» ظَنًّا منهم أنه وزير الداخلية «عبد الحليم موسى».

اللواء زكي بدر:

شهد يوم ١٦ ديسمبر ١٩٨٩ محاول اغتيال «اللواء زكي بدر»، حيث دَبَّرَ محاولة اغتياله أمير الجماعة الإسلامية في أفغانستان، الذي اتهم أيضاً بمحاولة اغتيال الرئيس الأسبق «مبارك» في أديس أبابا عام ١٩٩٥؛ لكن تلك المحاولة أيضاً قد باءت بالفشل، وقد تولى «بدر» حقبة الوزارة خلال الفترة من ١٩٨٦-١٩٩٠ خلفا «لأحمد رشدي» بعد أحداث الأمن المركزي عام ١٩٨٦.

اللواء حسن أبو باشا:

وقعت محاولة اغتياله الفاشلة في عام ١٩٨٧، على يد «مجدي زينهم الصفتي» قائد تنظيم «الناجون من النار» الذي حكم عليه بالسجن المؤبد، حيث أطلق المتهم النار عليه محاولاً قتله، لكن الوزير نجى من الحادثة، وتمتع بعمر مديد بالغ ٨٣ عاماً، وتوفي بعد صراعٍ مع المرض في سبتمبر عام ٢٠٠٥.

اللواء حسن الألفي:

ورث «الألفي» محاولة اغتياله هو الآخر، حيث جرت محاولة قتله مرتين متتاليتين كإرثٍ في سياق الصراع بين وزراء الداخلية المصريين والإرهابيين المتطرفين، حيث صدر تكليفٍ مباشرٍ من «أيمن الظواهري» الرجل الثاني بذلك الوقت، لاثنين من أعوانه

هما نزيه «نصحي راشد، وضياء الدين محمود» باغتيال «حسن الألفي» وزير الداخلية السابق، عن طريق محاولة تفجير موكبه باستخدام موتوسيكل ملغم، لكن شاء القدر أن يُنقذ الوزير من المحاولة، مع إصابته في ذراعه اليمنى وقتل بعض المواطنين، بينما قُتل مُنفذي التفجير، كما تم تكرار محاولة قتله في صيف ١٩٩٣، لكن نجا «الألفي» من الموت، وأصيب فقط هو وعدد من حرسه بجروح بالغة، بينما قُتل عضو التنظيم[1].

- **اللواء محمد إبراهيم:**

قد تعرض لمحاولة اغتيالٍ فاشلةٍ في صباح يوم الخميس ٥ سبتمبر ٢٠١٣ عند مرور موكبه بشارع مصطفى النحاس بمدينة نصر حيث وضعت عبوة ناسفة كبيرة الحجم أسفل السيارة تزن نحو ٥٠ كيلو جراماً من مادة (TNT) شديدة الإنفجار، ووقع الحادث أمام العقار رقم ١٧ بتقاطع شارع مصطفى النحاس مع شارع الشعراوي، وقد تم تفجير السيارة عن بُعْدٍ بَعْدَ أن قام الجناة بمراقبة مواعيد نزول الوزير من منزله، وتوجهه إلى الوزارة، وقد نجا "الوزير" بعد أن أوضح في حواره مع "خيري رمضان" إلى الدعم الذي يقدمه وزير الدفاع الفريق أول (عبد الفتاح السيسي) إلى وزارة الداخلية من خلال إمدادهم بالمدرعات والسترات الواقية للرصاص، حيث أسفر الحادث عن إصابة ٢٢ شخصاً منهم ١٠ من قوات الحراسة بينهم ٦ ضباط، و٤ أمناء شرطة، وبقية المصابين من الأهالي من بينهم طفل تسبب الانفجار في بتر ساقه، وسيدتين أجنبيتين إحداهما صومالية، والأخرى غير معلومة جنسيتها.

٣ سنوات من تضحيات رجال الشرطة في سبيل الوطن:

قدمت الشرطة في هذه الفترة أكثر من ٤٢٠ شهيداً، وألاف المصابين، وحرق ٤٠٠٠ سيارة، و٩٩ قسم شرطة منذ ٢٠١١م، فقد عاش المصريون عقوداً طويلةً تحت

(١) جريدة التحرير الجمعة ٣٠ شوال ١٤٣٤ هـ ـ ٦ سبتمبر ٢٠١٣م ـ السنة الثالثة ـ العدد (٧٩٦) ص: (٧).

القبضة الفولاذية للأمن حتى وصلت ذروتها في عهد وزير داخلية مبارك ـ «حبيب العادلي» ووصل العداء بين الشرطة والشعب ذروته في ٢٥ يناير ٢٠١١ وأسفر هذا الاحتقان والذي استغله (جماعة الإخوان الإرهابية) في اقتحام ٩٩ قسم شرطة على مستوى الجمهورية، والهجوم على السجون، وحرق وإتلاف أكثر من ٤ آلاف سيارة شرطية، ما بين بوكسات، ومدرعات، وناقلات جنود، كلفت الدولة أكثر من مليار جنيه، ويشير تقرير حديث عن شهداء ومصابي الشرطة خلال الفترة من ٢٥ يناير ٢٠١١، وحتى ١٦ نوفمبر ٢٠١٣ بلغت ٣٩٣ شهيداً، منهم ٨٢ ضابطاً، و١٧٥ فرد أمن، و١٦ خفيراً، و١١٨ مجنداً، بالإضافة لـ٢ موظف مدني، كما أُصيب خلال المواجهات مع عناصر الشغب وأثناء الانقضاض على البؤر الإجرامية والمطاردات مع الخارجين عن القانون ٨٨٢٥ شرطياً من رجال الشرطة، منهم ١٩٨٤ ضابطاً، و٢٠٨٧ من الأفراد، و٤ موظفين مدنيين، ٤٧٥٠ مجنداً، فرجال الشرطة ضربوا أروع الأمثال في الولاء والانتماء للوطن، وقدموا الكثير من الشهداء والمصابين الذين سالت دماؤهم الزكية لحماية أمن الوطن وأمان المواطنين، وكان عام ٢٠١٣ هو عام المواجهة التي أعلن فيها الإرهاب عن وجهه القبيح خاصة بعد فض اعتصامي (رابعة والنهضة) حيث استشهد ٣٤ من رجال الشرطة بينهم ٨ ضباط، وأصيب ٢١١ آخرون لتتواصل بعدها العمليات الإرهابية والمواجهات الدامية مع الإرهاب، ومداهمة بؤر الإجرام وكانت أشهرها مجزرة (قسم كرداسة) والتي حاول الإرهابيون السيطرة عليها بعد أن صوروها على أنها إمارة خاصة بهم والتي قتل خلالها اللواء "نبيل فراج" مساعد مدير أمن الجيزة ويحرر رجال الأمن كرداسة من قبضتهم حتى وصل عدد شهداء الشرطة إلى ١٢٨، و١١٤٩ مصاباً في الشهور الستة الأخيرة فقط، وكانت عملية تفجير مديرية أمن الدقهلية هي أقبح عملياتهم الإجرامية التي هزت جموع المصريين واستشهد فيها ٢٠ من أشرف رجال الشرطة، بينما أُصيب

١٣٠ آخرون من بينهم مدير الأمن وقيادات الأمن بالمديرية[١].

ولم يسلم جنود وضباط القوات المسلحة من أيدي الإرهابيين الآثمين، فقد طالت هذه الأيدي ١٦ جندياً كانوا يتناولون طعام الإفطار، فيما تسمى (رفح الأولى) وانطلقت البنادق الآلية، لتحصد أرواحهم وهم يرفعون الطعام على أفواههم في رمضان، ثم خُطف ٧ جنود، ولما كَشَّرَ الجيش عن أنياب الغضب، فما على «المعزول» إلا أن قال: (نرجوا المحافظة على الخاطفين، والمخطوفين) فلا هم له إلا المحافظة على الخاطفين، لأن عملية الخطف قد تمت بمباركته، ثم تأتي عملية رفح الثانية والتي حُصد فيها روح ٢٥ شهيداً من الجنود بعد أن غُلَّتْ، أَوْ كُبِّلَتْ أيديهم، وأرجلهم، واصطفوا على الطريق، وأطلق عليهم الرصاص دفعةً واحدةً، وكأنهم أسرى حرب، وكأن منفذي العملية من أعداء الوطن، وليس من جلدتهم، أو ممن ينتمون لدينهم، ولكن ماذا نقول لخوارج هذا الزمان؟ أليس عثمان ـ رضي الله عنه ـ في زمن الفتنة ليس من جلدتهم؟ أليس عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالبٍ ـ رضي الله عنه ـ ليس من جلدتهم؟ أليس الحسن، والحسين، أولاد عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالبٍ ـ ليسا من جلدتهم، وقد قتلوهم...، وهم أولاد بنت محمد ﷺ وباتوا يبكون عليهم ويلطخون وجوههم بدمائهم في مناسبات قتلهم، وإليك عزيزي القارئ ما فقده جيشنا لباسل من دماءٍ زكيةٍ منذ ٥ يوليو ٢٠١٣ إلى ٢٤ نوفمبر ٢٠١٣، نحو ٥٠٣ فقدتهم القوات المسلحة، منهم ٣ ضباط، ٢٢ ضابط صف، والباقي من الجنود البواسل، و١٦٠ مصاباً هم حصيلة ما طالته أيادي الإرهاب منذ ذلك التاريخ[٢].

---

(١) جريدة الأهرام ـ الجمعة ٢٣ ربيع الأول ١٤٣٥ هـ ـ ٢٤ يناير ٢٠١٤م ـ السنة (١٣٨) ـ العدد (٤٦٣٥) ـ ص: (٦).

(٢) جريدة الموجز الاثنين ـ ٢١ من المحرم ١٤٣٥هـ ـ ٢٥ نوفمبر ٢٠١٣م ـ العدد (٣٨٣) ـ الإصدار الثاني ـ السنة الحادية عشرة ـ ص: (٥).

- التَّفْجِيرَاتُ، وَالتَّدْمِيرَاتُ:

لم تقتصر أيدي الإرهاب الآثمة على الاغتيالات الجسدية فقط، بل طالت أيضا المنشآت الحيوية في الدولة، مما لا يدع مجالاً للشكِّ أن الإرهابيين في حربٍ ضروسٍ ضد شعب مصر، وضد منشآته ومؤسساته، لأنه لا يريد إلا الخراب لهذه الدولة، وشلّ أيديها حتى تستسلم لهم وتركع، فنقول لهم: أنتم مخطئون، لأن الجماعات الإرهابية مهما أن طال أذنابها، وقويت شوكتها، وَكَشَّرَتْ عن أنيابها لا تهزم دولة أبدًا، والنتيجة في النهاية، أن هذه العصابة خاسرةٌ لا محالةَ، ولنا تجربةٌ في ذلك، ألا وهي دَحْرِ شوكة الإرهاب في تسعينيات القرن الماضي، وتسليمهم أنفسهم لأيدي رجال الأمن، وإعلان تراجعاتهم، وهؤلاء هم ما يطلقون عليهم (جماعات السلفية الجهادية) وقد تم ذكر تراجعاتهم في الصفحات السابقة، ولكي نعرف حقيقة هذا الملف، لابُدَّ لنا من طرح عدة أسئلة، ومنها: ما حقيقة تلك التفجيرات، وما بدايتها، وبداية ظهورها على الواقع العملي؟

ولكي نعرف الحقيقة واضحةً جليةً، تَعَالَوْا بنا نُطَالِعُ ما كتبهُ آخر قادة التنظيم الخاص عند (جماعة الإخوان) الأستاذ/ علي عشماوي، وَمَا خَطَّهُ في مذكراتهِ قائلاً: (تتحمل (جماعة الإخوان) المسئولية عن جميع أعمال العنف باسم الدين، والتي تحدث في أي مكان في العالم الإسلامي، وبجميع صوره وأشكاله، لأن لديهم جماعات انتحارية، وجماعات العنف قد خرجت من عباءتهم بطريقتهم، فهم:

- مفجروا (الأزهر، وعبد المنعم رياض)، حيث وضع التنظيم الخاص طريقة السير وأسلوب العمل.
- من ابتكروا الحزام الناسف عام ١٩٥٤ لقتل "عبد الناصر"، وكان أول من تطوع لاستعماله هو الأخ "نصير"، وهذا الأسلوب هو الذي تطور بعد ذلك ليصبح القنابل البشرية، والمنتحرين والأجسام المفخخة وهكذا فإن (الإخوان) مسئولون عن هذا

الفعل وعن كل من استعمله وقتل الناس في طريقه.

• أما الأسلوب الآخر، فهو السيارات المفخخة، والتي تستعمل حتى الآن لإرهاب الناس وقتلهم رجالاً ونساءً وأطفالاً، وهذه الطريقة وهذا الأسلوب يستعمل الآن فيما يُسمى الكفاح ضد الغزاة، وزعزعة الأرض من تحت الحكام، وقد ابتكر هذا الأسلوب أحد أقسام الإخوان وهو قسم التوحدات والذي يشرف عليه "صلاح شادي"، فقام بتفجير عربة محملة بالمتفجرات في حارة اليهود بالقاهرة في ٥/ ٦/ ١٩٤٨، ثم أتبعها بتفجير عربة يد أخرى في نفس المكان وهو حارة اليهود في ١٩/ ٧/ ١٩٤٨، وقد كان هذا في شهر رمضان، وقد قُتل في هذا الحادث مفجر العربة وعدد من المارة الذين لا حول لهم ولا قوة، إلا أنهم يمرون في نفس الشارع المفروض أن يكون آمناً، ثم يستطرد الكاتب قائلاً: والغريب أن "أحمد عادل كمال"، وهو من قيادات النظام الخاص في هذا الوقت قال: (كان الرأي العام يُدرك أن الإخوان هم أصحاب هذا النوع من العمليات، وكان كبير الثقة بالإخوان حتى أنه حين تقع حادثة ليست على المستوى كان يُدرك أنها ليست من صنع الإخوان).

وهكذا كان مثل هذا العمل الآثم محل فخرٍ من الإخوان، وهذا ما حدا بالكثيرين أن يقتدوا بهم حين يريدون التشابه، فيقلدونهم، فهم قادة هذا النوع من الإرهاب، هكذا خرجت المجموعة التي قامت بالتفجير (بالأزهر، وميداد عبد المنعم رياض، ثم المنتقبتان في السيدة عائشة)، إنهم لا يحتاجون إلى تنظيم يوجههم إلى قيادة، لكي تُصدر لهم الأوامر، فالتنظيم قد وضع لهم طريق السير، وأسلوب العمل، وقد سَنَّ لهم السُّنَّة السيئة والتي سيحاسب عليها وعلى كل من فعلها إلى يوم الدين، ثم يُكمل حديثه قائلاً: (لقد انتشر هذا الأسلوب الجبان في كل مكان فنجد الانتحاريين والسيارات المفخخة في العراق، وفي لبنان، وفي السعودية، وفي الجزائر، وفي كل مكان به قلاقل، وإنني أُحمل (الإخوان) مسئولية هذا الخلل الذي أصاب عقول وحركة جميع

فرق المقاومة في كل مكان، ولا أدري ما هي الفتوى التي صدرت باستعمال هذا النوع الخسيس من الحرب؟ وكيف أفتوا بقتل الأبرياء الذين لا دخل لهم بالصراع، ولكن تصادف وجودهم في مسرح الجريمة، إنها فقط لا تزيد من سخط المسلمين على هذا الفكر، وتستعدي غير المسلمين على الإسلام، بل وضعت المسلمين جميعا في حالةِ دفاعٍ مستمرٍ، وتراجع مستمرٍ، ويعلم الله إلى أي مستوى سوف تصل)[1].

هذا الكتاب قد خُطَّ بيده، وقد سَجَّلَ اعترافاته حول عضويته في جماعة الإخوان، ثم تجنيده في الجهاز السري، أي (التنظيم الخاص)، على حلقاتٍ تَمَّ نَشْرُهَا في (مجلة المصور) عام ١٩٦٣، وكأن الكاتب يكشف عن الغيب من وراء سترٍ رقيقٍ، وهو ما نراهُ الآن من تدميرٍ للمنشآتِ، وإزهاقٍ للأرواح في كل مكانٍ من أنحاء مِصْرَ المعمورة، فهم قد قجروا خطوط الغاز في سيناء منذ عهد «مبارك» إلى الآن ويعلنون على مواقع (الفيس ـ بوك) أن المسئول عن ذلك (جماعة أنصار بيت المقدس) ونسوا أنهم هم الأيدي الضالعة في ذلك، لأنهم يفعلون الأشياء، ويسندونها لغيرهم، وهذه عادتهم، ودأبهم، فإذا قمنا بتحليل المشهد على أرض الواقع، وذكرنا منهج العنف عند (الإخوان) يأتي المتنطعون والمتفيهقون ليقولون: (الله أعلم) بالرغم من أنك تأتيهم بالدليلِ الواقعيِّ من كل اتجاه، ولكنه يصدمك مكرراً (الله أعلم) نعم الله أعلم بما تخفيه الصدور، ولكن القصد في ذلك أنه يبعدك عن الحقيقة، بل يكذبك، فبدلاً من أنه يكذبك صراحةً، يقول لك ذلك، ولكن الحقيقة بدون تحليلٍ للمشهد تُشير أصابع الاتهام إلى تلك الجماعة، ألم يقفوا على مسرح «رابعة العدوية» ويطلقونها صراحةً: إذا فُضَّ اعتصام رابعة سيفجرون مصر، ألم يقل «محمد البلتاجي» إذا أطلق «السيسي» الرئيس «مرسي» من محبسه سيوقف التفجيرات والضرب في سيناءَ مباشرةً وفي تلك اللحظة، فأي الحقيقة أيها المتنطعون والمتفيهقون تعترفون بدليلها، وبواقعها، ولكني أقولها لهم بصراحةٍ ولكلِّ لبيبٍ نجيبٍ

(١) مذكرات الأستاذ/ علي عشماوي ـ آخر قادة التنظيم لجماعة الإخوان ص: (٥٧-٥٨).

يعترفُ بالواقع الذي نعيشُ فيه الآن أن لا يشغل باله بمغسولِ العقولِ والرؤوسِ، وبالمتعاطفين معهم، كما يقول المثل الدارج: (إنت بتدن في مالطه) «يعني مفيش فايدة، لو فضلت بقيت عمرك تفهم اللي قدامك، «اللي في دماغه في دماغه» إذن، فالأولى هنا أن تريح رأسك من هذه الثرثرة، وهذا الصراع، وَلاَ تُولِي لهؤلاء المتعاطفين أَيَّ اهتمام، لأن الحقيقة تشدخ رؤوسهم، لكنهم يتكبرون، كما تكبر كُفَّارُ قُرَيْش على الاعترافَ بِنُبُوَّةِ محمدﷺ، وهم يعلمون علم اليقين أنه النبيُّ المنتظر، ولكنه الكبرُ وعدمُ الاعترافُ بالحق، وقبل أن تَتُوهَ الحقيقة عَمَّ تخطه أيدينا، لا بد لنا أَنْ نَدْخُلَ في ذلك الخضم سريعاً والذي جعلنا جميعاً، وكأننا نسبح في بحر الظلمات لما رأيناه من بحور الدماء، والأشْلاء من أناس لا يعرفون الله، ولا يقدرونه حق قدره، لأنهم استباحوا تلك الدماء، بل رقصوا طرباً على استباحتها، وَتَنَاثُرِ أَشْلاَئِهَا، هؤلاء من كان الناس المبهورين بهم يُطلقون عليهم أصحاب دعوة، والدين منهم براء، لأنهم قالوا بأفواههم ما ليس في قلوبهم، ولأنهم لم يطبقون ما نطقوه بتلك الأفواه، ألم يقل لهم كتاب الله تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢) أي: من قتل نفساً بغيرِ سببٍ لهذا القتلِ، كدفاعٍ عن النفس، أو دفاعٍ عن العرضِ، أو دفاعٍ عن المالِ، والولدِ، أو المنشآتِ للأوطانِ، أو الحدودِ، فكأنما قتلَ الناس جميعاً، وكذلكَ من امتنع عن القتلِ لغير الأسباب السابقة، فكأنما أحيا الناس جميعاً، وجاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود أنهُ قالَ رسول اللهﷺ: (لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ لْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ)[1].

ألم يقل رسول اللهﷺ: (قِتَالُ الْمُسْلِمِ كُفْرٌ، وَسِبَابُهُ فُسُوقٌ)[2].

(١) البخاري (٣٣٣٥)، ومسلم (١٦٧٧).

(٢) الحديث صحيح: رواه الترمذي عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه، والنسائي عن سعد ـ رضى الله عنه، وجاء في إيمان أبي عبيدة ص: ٧٨: م، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٤٣٥٨).

ألم يقل أيضاً: (قَتْلُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ زَوَالِ الدُّنْيَا)[1].

ثم يسأل سائل، ومن حقه هذا السؤال، لم تحل (جماعة الإخوان) سفك دماء المصريين، وحرق وتدمير منشآتهم، فنقول بعون الله تعالى، ونذكرهم بما ذكرناه سابقا إنهم يعتبرون كل من خالفهم هم العدو، وهم الكفار، فلذلك قد أحلوا دماءنا، لأن مكتب إرشاد الجماعة قد نشؤوهم على ذلك، بغرس السمع والطاعة بلا بصيرة، فأصبحت الطاعة قدوتهم، ولو بالإشارة، لأن فكر التكفيريين قد بُنِيَ على تكفير المجتمع، وجهادهم العدو البعيد، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ (التوبة: ١٢٣) ومعنى يلونكم: أي: الأقرب إليكم، فبناء على ذلك، فقد استباحوا دماء المصريين، ومنشآتهم الشرطية، والعسكرية، والمدنية، ولم يستبيحوا كُلَّ مَا سَبَقَ في أعداء الإسلام وأهله، ولذلك فعلى دعاة الأزهر ورجاله المخلصين بذل كل الجهود في إرجاع ما تبقى من شباب (جماعة الإخوان) إلى رشدهم وعقولهم، بل وزرع الانتماء والحب لهذا الوطن العزيز، وَجَعْلِ كُلِّ وَاحِدٍ منهم أن يكونَ حريصًا على التَّصَدِّي لكل من يخون هذا الوطن، أو يفرط في دماء أصحابه، أو حدوده، أو منشآته، ولكي نصبح قريبين من المشهد، فهيا بنا عزيزي القارئ نتذكرُ سَوِيًّا ما فعله (جماعة الإخوان) من تدمير منشآت الدولة المصرية، وسفك دماء فلذات أكبادنا، ففي فجر يوم الثلاثاء ٢٠١٣/١٢/٢٤ قام إرهابيون (بجماعة الإخوان) بتفجير (مديرية أمن الدقهلية) وأسفر الحادث عن تدمير نصف مبنى مديرية الأمن، والوحدة المحلية، وقصر الثقافة، وعشرات المحلات، وقد اسْتُشْهِدَ على إثْرِ هذا الحادث ١٥ مواطناً، منهم ٨ من رجال الشرطة والبقية من المواطنين، و١٣٤ مصاباً، منهم ٣٦ من مصابي الشرطة، والبقية من

(١) الحديث صحيح: رواه النسائي، والضياء عن بريدة ـ رضى الله عنه ـ وجاء في الروض النضير برقم: (٥٩٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٣٦١).

المواطنين، وبالرغم من هذا التدمير السافر، والمنبوذ، إلا أن رجال (المنصورة) تصدوا لذلك وقت الحادث مباشرة، ولم يُرْهِبُهُمْ التَّفْجِيرَاتِ، وَلَا دَوِّيُّهَا، بَلْ وَقَفُوا جميعاً في مكان الحادث ينادون بأصواتٍ مدويةٍ ويطالبون بإعدام (جماعة الإخوان) ومن تسبب في هذا الحادث الإجرامي، بل وَهَرْوَلَ أكثر من ٥٠ ألف مواطن للتسابق بالتبرع بدمائهم من أجل إخوانهم، في تَحَدٍّ سَافِرٍ لِـمَا تَفْعَلُهُ تلك الجماعة، وإعلانٍ لهم عن حُبِّهِمْ الْجَمْعِي لمؤسساتِ الدولةِ وَرُعَاتِهَا، وفي مساء يوم الخميس ٢٦/ ١٢/ ٢٠١٣ قد استيقظ أهالي الحي السابع (بمدينة نصر) على دوي انفجار عبوة ناسفة بالقرب من مجمع الملك فهد التعليمي، المواجهة للمدينة الجامعية لطلاب الأزهر، مما تسبب في إصابة ٥ أشخاص بينهم حالةٍ واحدةٍ خطيرةٍ، وهذا الحادث ناتج عن انفجار قنبلة بدائية الصنع وُضعت في أوتوبيس نقل عام بالحي السابع، ومن جانبه أكد اللواء «علاء عبد الظاهر» مدير إدارة المفرقعات بالقاهرة، أن خبراء المفرقعات عثروا على قنبلة محلية الصنع مزروعة بالحديقة الوسطى أمام مجمع (الملك فهد) بمدينة نصر، بخلاف العبوة الناسفة التي انفجرت، وقد تم تعامل رجال إدارة المفرقعات وتم إبطالها، وفي نفس اليوم أُنقذت (مديرية أمن كفر الشيخ) من تفجيرٍ إرهابيٍّ، إذ أبطلت قوات الحماية المدنية بالمديرية مفعول جسم غريب، عبارة عن قنبلة، كانت مُعَدَّةً للانفجار وموجودة في دراجةٍ بخاريةٍ، بلا لوحاتٍ معدنيةٍ تركها مجهولان كانا يستقلانها أمام الباب الخلفي لمديرية أمن كفر الشيخ، وذلك في الجهة الموازية لمبنى مديرية الزراعة، ونقابة المهن الزراعية[1].

وفي صباح يوم الأحد ٢٩ ديسمبر ٢٠١٣، قامت عناصر إرهابية بتفجير سيارة بمحيط مكتب المخابرات الحربية بمدينة أنشاص (بمحافظة الشرقية) مما أسفر عن إصابة ٤ جنود من قوة المكتب وإحداث تدمير جزئي بالسور الخلفي ومبنى الجنود،

(١) جريدة التحرير ـ الجمعة ٢٤ صفر ١٤٣٥هـ ـ ٢٧ ديسمبر ٢٠١٣م ـ السنة الثالثة ـ العدد (٩٠٨) ـ ص: (٦).

وفي صباح يوم الجمعة ٢٤ يناير ٢٠١٤ قد تم انفجار داخل (مديرية أمن القاهرة) راح ضحيته ٥ أشخاص، ولم يكتف الإرهاب الأسود بذلك، بل استيقظ سكان حي عين شمس الشعبي صباح يوم السبت ٢٥ يناير ٢٠١٤ على صوت انفجار قنبلة وإبطال مفعول أخرى، بمعهد مندوبي الشرطة بعين شمس، مما أسفر عن إصابة مجند، وتحطم السور، ومكتبين، و٣ سيارات، ومحول كهرباء، وفي الوقت نفسه تم إبطال مفعول الْعُبْوَةِ التي كانت مُعَدَّةً للتفجير باستخدام هاتفٍ محمولٍ، وفي يوم الخميس ٢ يناير نجحت الحماية المدنية بمديرية أمن الغربية في إبطال عُبْوَاتٍ ناسفةٍ محلية الصنع من الكرتون متوسطة الحجم، على شكل إسطواني بداخلها بارود، ومسامير، ومتصلة بدائرةٍ كهربيةٍ وتايمر، وتم التعامل معها، وإبطال مفعولها بمعرفة خبراء المفرقعات، وهكذا حال الإرهاب الأسود الذي يُدَمِّرُ البلادَ، والعبادَ، والشجرَ، والدوابَّ، لأنه لا دين له، ولا وطن، ولا عقل، ولا سمع، ولا بصر، لأن أعينهم وعقولهم قد ضلت الطريق، وبالرغم من كل ذلك فقد تباطأ الدكتور (حازم الببلاوي) في إصدار قرار وزاري بإعلان (جماعة الإخوان) جماعة إرهابية ولم يُعلن ذلك إلا مُؤَخَّرًا بعد حادث تفجير (مديرية أمن الدقهلية) وبعد أن ضَجَّتِ الجماهير في كل المحافظات من تباطؤ الببلاوي مع أن المادة (٨٦)، و(٨٦) مكرر تَنُصُّ على ذلك، بل وتنطبق تطابقاً كلياً وجزئيًا على (جماعة الإخوان) وإليك نص المادة:

 مادة ٨٦:

يقصد بالإرهاب في تطبيق أحكام هذا القانون كل استخدام للقوة، أو العنف، أو التهديد، أو الترويع، يلجأ إليه الجاني تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي، أو جماعي، بهدف الإخلال بالنظام العام، أو تعريض سلامة المجتمع وأمنه للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة، أو بالاتصالات، أو المواصلات، أو بالأموال، أو بالمباني، أو بالأملاك العامة، أو الخاصة، أو احتلالها، أو الاستيلاء عليها، أو منع، أو عرقلة ممارسة

السلطات العامة، أو دور العبادة، أو معاهد العلم لأعمالها، أو تعطيل تطبيق الدستور، أو القوانين، أو اللوائح.

مادة ٨٦ مكرر:

يُعاقب بالسجن كل من أنشأ، أو أسس، أو نظم، أو ادار، على خلاف أحكام القانون جمعية، أو هيئة، أو منظمة، أو جماعة، أو عصابة، يكون الغرض منها الدعوة بأية وسيلة إلى تعطيل أحكام الدستور، أو القانون، أو الأضرار بالوحدة الوطنية، أو السلام الاجتماعي، ويعاقب بالأشغال المؤقتة كل من تولى زعامة، أو قيادة ما فيها، أو أمدها بمعونات مادية، أو مالية مع علمه بالغرض الذي تدعو إليه، وَيُعاقب بالسجن مدة لا تزيد على خمس سنوات كل من انضم إلى إحدى الجمعيات، أو الهيئات، أو المنظمات، أو الجماعات، أو العصابات المنصوص عليها في الفقرة السابقة، أو شارك فيها بأية صورة، مع علمه بأغراضها، ويُعاقب بالعقوبة المنصوص عليها بالفقرة السابقة كل من رَوَّجَ بالقول، أو الكتابة، أو بأية طريقة أخرى للأغراض المذكورة في الفقرة الأولى، وكذلك كل من حاز بالذات، أو بالواسطة، أو أحرز محررات، أو مطبوعات، أو تسجيلات، أَيًّا كَانَ نَوْعُهَا، تتضمن ترويجاً، أو تحبيذًا لشيء مما تقدم إذا كانت مُعِدَّةً للتوزيع، أو اطلاع الغير عليها، وكل من حاز أو أحرز أية وسيلة من وسائل الطبع أو التسجيل، أو العلانية، استعملت، أو أُعدت للاستعمال ولو بصفة وقتية لطبع، أو تسجيل، أو إذاعة شيء مما ذكر.

مادة ٨٦ مكرر (أ):

تكون عقوبة الجريمة المنصوص عليها في الفقرة الأولى من المادة السابقة الإعدام، أو الأشغال الشاقة المؤبدة، إذا كان الإرهاب من الوسائل التي تستخدم في تحقيق، أو تنفيذ الأغراض التي تدعو إليها الجمعية، أو الهيئة، أو المنظمة، أو الجماعة، أو العصابة المذكورة في هذه الفقرة، ويُعاقب بذات العقوبة كل من أمدها بأسلحة، أو ذخائر، أو

مفرقعات، أو مهمات، أو آلات، أو أموال، أو معلومات مع علمه بما تدعو إليه وبوسائلها في تحقيق، أو تنفيذ ذلك، وتكون عقوبة الجريمة المنصوص عليها في الفقرة الثانية من المادة السابقة الأشغال الشاقة المؤقتة إذا كان الإرهاب من الوسائل التي تستخدم في تحقيق أو تنفيذ الأغراض التي تدعو إليها الجمعية أو الهيئة أو المنظمة أو العصابة المذكورة في هذه الفقرة، وإذا كان الجاني من أفراد القوات المسلحة، أو الشرطة تكون عقوبة الجريمة المنصوص عليها في الفقرة الثالثة من المادة السابقة السجن مدة لا تزيد على عشر سنوات إذا كانت الجمعية، أو الهيئة أو المنظمة أو الجماعة أو العصابة المذكورة في المادة السابقة تستخدم الإرهاب لتحقيق الأغراض التي تدعو إليها، أو كان الترويج، أو التجنيد داخل دور العبادة أو الأماكن الخاصة بالقوات المسلحة، أو الشرطة، أو بين أفرادها.

مادة ٨٦ مكرر (ب):

يُعاقب بالأشغال الشاقة المؤبدة كل عضو بإحدى الجمعيات أو الهيئات أو المنظمات أو الجماعات أو العصابات المذكورة في المادة (٨٦) مكرر، استعمل الإرهاب لإجبار شخص على الانضمام إلى أيٍّ منها، أو منعه من الانفصال عنها، وتكون العقوبة بالإعدام إذا ترتب على فعل الجاني موت المجني عليه.

مادة ٨٦ مكرر (جـ):

يُعاقب بالأشغال الشاقة المؤبدة كل من سعى لدى دولة أجنبية، أو لدى جمعية أو هيئة أو منظمة أو جماعة أو عصابة يكون مقرها خارج البلاد، أو بأحد ممن يعملون لمصلحة أي منها، وكذلك كل من تخابر معها أو معه، للقيام بأي عمل من أعمال الإرهاب داخل مصر، أو ضد ممتلكاتها، أو مؤسساتها، أو موظفيها، أو ممثليها الدبلوماسيين، أو مواطنيها أثناء عملهم، أو وجودهم بالخارج، أو الاشتراك في ارتكاب شيء مما ذُكر، وتكون العقوبة الإعدام إذا وقعت الجريمة موضوع السعي أو التخابر، أو شرع في ارتكابها.

مادة ٨٦ مكرر (د):

يُعاقب بالأشغال الشاقة المؤقتة كل من تعاون، أو التحق بغير إذن كتابيٍّ من الجهة الحكومية المختصة بالقوات المسلحة لدولة أجنبية، أو تعاون، أو التحق بأي جمعية أو هيئة أو منظمة أو جماعة إرهابية أيًّا كانت تسميتها، يكون مقرها خارج البلاد، وتتخذ من الإرهاب أو التدريب العسكري وسائل لتحقيق أغراضها، حتى ولو كانت أعمالها غير موجهة إلى مصر، وتكون العقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة إذا تلقى الجاني تدريبا عسكريا فيها، أو شارك في عملياتها غير الموجهة إلى مصر.

فقل لي بالله عليك عزيزي القارئ، والذي يحكم بالحق، وليس حكماً متعلقاً بالأهواء، وبعد الاطلاع على نصوص المادة (٨٦)، (٨٦) مكرر، أنه لا يُوجد جريمة نصت عليها المادة السابقة إلا واقترفها (جماعة الإخوان) بالأقوال، والتحريض، والأفعال الإجرامية التي أدت إلى القتل، أو التدمير، أو إتلاف المنشآت، وإهدار المال العام، وترويع الآمنين، وكل ما صيغ في سياق المادة من جرائم إلا وأصابع الاتهام تشير إلى أيدي هذه العصابة، فَوَلِيُّ الأمرِ، أو الحاكم الذي حرَّضَ على ارتكاب الجرائم وسفك الدماء فسوف يقتص الله منه في يوم تشيب منه الولدان إذا لم يُقْتَصَّ منه في دنيا الناس فمن تَأَمَّرَ على ثلاثة من المسلمين، فليأتي يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه، إما أن يوبقه ظلمه، أو يفكه عدله، فما بالك بالملايين التي تحت إمرتك يا ناقص العقل والدين وماذا تفعل يوم القصاص العدل يوم القيامة، فقد أخرج الإمام أحمد من حديث أبي أمامة أن النبيﷺ قال: (مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِي أَمْرَ عَشَرَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا أَتَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَغْلُولًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ فَكَّهُ بِرُّهُ، أَوْ أَوْبَقَهُ إِثْمُهُ، أَوَّلُهَا مَلَامَةٌ، وَأَوْسَطُهَا نَدَامَةٌ، وَآخِرُهَا خِزْيٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[1].

(١) الحديث صحيح: أخرجه الإمام أحمد برقم: (٥/ ٢٦٧)، والبيهقي برقم: (٥/ ٢٠٥)، ورواه أحمد والطبراني، وفيه يزيد بن أبي مالك، ووثقه ابن حبان وغيره، وبقية رجالة ثقات، وقال المنذري: (٣/ ١٣٢-١٣٣، ٤/ ٢٩٤)، ورواه أحمد، ورواته ثقات إلا يزيد بن أبي مالك، وهو ثقة، وقال بعضهم: لَيِّنٌ، وذلك على تخريج الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (٣٤٩).

وجاء في السنن للبيهقي من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه: قال رسول الله ﷺ: (مَا مِنْ أَمِيرِ عَشَرَةٍ، إلا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولاً، حَتَّى يَفُكَّهُ الْعَدْلُ، أَوْ يُوبِقَهُ الْجَوْرُ)[1].

وعنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: (مَا مِنْ أَمِيرِ عَشَرَةٍ إلا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَدُهُ مَغْلُولَةٌ إِلَى عُنُقِهِ)[2].

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنفال: ٢٧).

وجاء في الحديث المتفق عليه من حديث معقل بن يسار ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: (مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرعِيهِ اللهُ رَعِيَّة، يَموتُ يَوْمَ يَمُوتُ، وهو غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إلا حَرَّمَ اللهُ عليه الجَنَّةَ)[3].

ونعود أدراجنا سريعاً إلى إرهاب الشعب المصري، والذي تزعمهُ (مرسي، وجماعته) من إزهاق الأرواح وحرق المنشآت، وتهريب المساجين، وحرق ٩٩ مركز شرطة، وسحل المتظاهرين، وتعذيبهم، فقد أوجب الله القصاص في ابن آدم بداية من النفس، أي: إزهاق الروح، إلى الجروح، وقبل ذلك لا بُدَّ لنا أن نذكر أن السبب فى التمادى لجماعة الإرهاب وما يفعلوه هى الأيدى المرتعشة التى لا تُصدر القرار الصائب فى حينه.

---

(١) الحديث صحيح: رواه البيهقي في السنن من حديث أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ وجاء في المشكاة برقم: (٣٦٩٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٥٦٩٥)، والسلسلة الصحيحة برقم: (٣٤٩).

(٢) الحديث صحيح: رواه البيهقي في السنن عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ وجاء في المشكاة برقم: (٣٦٩٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٥٦٩٦).

(٣) الحديث صحيح: رواه البخاري، ومسلم ـ عن معقل بن يسار ـ ت، وجاء في مختصر مسلم برقم: (١٢١١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٥٧٤٠).

الْأَيَادِى الْمُرْتَعِشَهْ

عندما يتولى المرءُ مَنْصِبًا من المناصب ليصبح فى مكانةٍ حساسةٍ وجب عليه أن تكون قراراته نافذة ورأيه صائبٌ وَأنامله تُمسك بالقلم بقوةٍ ليخط القرار وخاصة أن القرار إذا أُخذ ضد الإرهاب وحماية الأمن القومى، ولكن الأقدار قد جعلت الدكتور (حازم الببلاوى) قد تواطأ مع الإخوان ولم يُصدر قراراً رسمياً بإعتبار الجماعة (منظمةٌ إرهابيةٌ) لذا أصبح الببلاوى أشبه بمن سبقه فى رئاسة وزارة (الإخوان) (هشام قنديل) ليتشابها فى الأيادى المرتعشة الضعيفة التى ليس لها أى كيانٍ على الساحة السياسية، فقد كشفت مصادر حكومية رفيعة المستوى (للأهرام العربى) عن قرار حكومة الدكتور حازم الببلاوى الصادر فى ٢٥ ديسمبر ٢٠١٤م وعقب إجتماعٍ لها إستغرق أكثر من ٦ ساعات - بإعتبار جماعة الإخوان (جماعة إرهابية) لم يكنْ سوى (شو إعلامى) وأنه لم يُنشر فى الجريدة الرسمية ولم يتم تفعليه وبالتالى لم تخطر به الجهات المعنية رسميًا بالداخل، أو الخارج كما كان يتردد، وأنه ظل قيد القرارات الموضوعة على أرفف دواوين وأرشيف المجلس بالقصر العينى! بل إن الرئيس (عدلى منصور)، عندما تلقى الدعوة لحضور القمة العربية بالكويت وبدأ فى إعداد خطابه، طلب القرار من الجريدة الرسمية لتضمينه ضمن كلمته حتى يتسنى مطالبته الدول العربية والعالم أجمع كله للعمل بهذا القرار المصرى بحظر نشاط جماعة الإخوان وإعتبارها منظمة إرهابية فجاءه الرد بأنه غير منشور، وعدم قيام وزارة الخارجية آنذاك بإرسال القرار إلي دول العالم وإلى سفاراتنا بالخارج لتفعيله والعمل به!

وعندما فوجئ (المهندس إبراهيم محلب) رئيس وزراء مصر الحالى بهذا الأمر،

عالج الأمر فى سرية تامة وبتفكير رجل الدولة المتزن مستغلاً الحكم الصادر من محكمة القاهرة للأمور المستعجلة بجلسة ٢٤/ ٢/ ٢٠١٤ والتى تحمل رقم ٣٣٤٣ بإعتبار جماعة الإخوان المحظورة منظمة إرهابية وأصدر قراراً بتنفيذ هذا الحكم ونشره بالجريدة الرسمية متضمناً الاتى:

١. توقيع العقوبة المقررة قانوناً لجريمة الإرهاب على كل من يشترك فى نشاط الجماعة، أو التنظيم، أو يروج لها بالقول أو الكتابة أو بأى طريقة أخرى، وكل من يمول نشاطها.

٢. توقيع العقوبات المقررة قانوناً على من انضم إلي الجماعة أو التنظيم، واستمر عضواً فى الجماعة أو التظيم بعد صدور هذا القرار.

٣. إخطار الدول العربية المتضمنة لإتفاقية مكافحة الإرهاب لعام ١٩٩٨ بهذا القرار

٤. تكليف القوات المسلحة وقوات الشرطة بحماية المنشآت العامة وتولي الشرطة حماية الجامعات وضمان سلامة الطلاب من إرهاب تلك الجماعة.

كما كشفت المصادر عن أن حكومة البلاوى كانت تتعامل برفق وارتعاش مع ذلك الفصيل الذى كان يسعى لقلب الحكم ويُعلن تعاونهُ وإستقواءهُ بتنظيم القاعدة وأن هذه الحكومة فرطت فى حق الوطن، وَأَصَمَّتْ أذنيها عن الاستجابة للمطلب الشعبى بحل جماعة الإخوان واعتبارها جماعة إرهابية، وتقاعست عن تطبيق قانون الجمعيات الأهلية ذاته، والذى يُعطى لوزير التضامن الاجتماعى الحق فى حل جمعية الإخوان نظراً للمخالفات التى شابت إشهارها، واستخدام مقرها فى مكتب الإرشاد بالمقطم قاعدة للعدوان وإطلاق الرصاص على المتظاهرين السلميين[1].

وبالفعل قد تم نشر القرار بأن جماعة الإخوان منظمة إرهابية، حيث أصدر

(١) جلة الأهرام العربى السبت ١٢ جماد ثان ١٤٣٥ هـ - ١٢ أبريل ٢٠١٤م - العدد (٨٩٠) ص:١٠

المهندس إبراهيم محلب رئيس مجلس الوزراء القرار رقم ٥٧٩ لسنة ٢٠١٤ بتنفيذ الحكم الصادر من محكمة القاهرة للأمور المستعجلة في الدعوى رقم ٣٣٤٣ باعتبار جماعة الإخوان المحظورة (منظمة إرهابية) وتوقيع العقوبة المقررة قانوناً لجريمة الإرهاب على كل من يشترك فى نشاط الجماعة أو التنظيم أو يروج لها بالقول أو بالكتابة وحسم محلب بذلك الجدل الدائر حول هذا الموضوع، لِتُنْهِي الحكومة فصلاً مَرِيرًا من ممارسات التنظيم الإرهابى بحظر جميع أنشطته وإبلاغ كل دول العالم بهذا القرار، ومن جانبه اعتبر الفقيه الدستورى (يحيى الجمل) أن قرار رئيس الوزراء خطوة مهمة جداً وتصويب آمر واجب، لأن قرار محلب يعنى أن حكم المحكمة أصبح أمراً نافذاً فى مواجهة الجميع، وَبَعْدَ نشرِه فى الجريدة الرسمية قال: إن الجماعة الإرهابية تلفظ أنفاسها الأخيرة، وشدد على ضرورة أن تخاطب وزارة الخارجية جميع دول العالم بالتوصيف الجديد للجماعة الإرهابية مُشِيراً إلى أن وَفْداً من المحامين المصريين سيتوجه إلى إنجلترا لمساندة الموقف البريطانى في تقييم الجماعة وفقاً للجنة التى شكلها رئيس الوزراء (ديفيد كاميرون) حيث تُمهد بريطانيا لبدء محاكمتهم، وأبدى (ثروت الخرباوى) القيادى الإخوانى السابق ترحيبه الكامل بقرار محلب وقال: إنه سيحدد كثيراً من تأثير ما تبقى من هذه الجماعة الإرهابية مشيراً إلى أن الحكومة السابقة لم تنفذ القرار، وإنما أطلقت تصريحاً وكان ما فعلته مجرد بيان إعلامى، ولكن ما صدر الآن هو أول بيان رسمى باعتبارها جماعة إرهابية، وطلب الخرباوى بأن يأخذ القرار طريقه بأقصى سرعة لحيز التنفيذ وأن يتم تطبيق أحكام المواد (٦٨) في القانون ومكرراتها على كل من يرتبط بأي صلة بهذه المنظمة الإرهابية، وفى لندن كشفت مصادر وزارة الداخلية البريطانية النقاب عن أن جماعة (أنصار بيت المقدس) قادرة على تجنيد العناصر الإرهابية داخل وخارج مصر، وقالت المصادر فى تصريحات للأهرام: إن تصعيد الجماعة هجماتها بعد الإطاحة بحكم

الرئيس السابق (محمد مرسى) وتهديدها بقتل البريطانيين يُعَدُّ من أهم الأسباب وراء إدراجها فى قائمة الإرهاب البريطانية[1].

وبناء على ذلك القرار فقد وافق البرلمان الكندى على إدراج جماعة الإخوان كجماعة إرهابية، وهو ما اعتبره إسلاميون خطوة فى طريق التضييق على التنظيم الدولى للجماعة، خاصة أن (كندا) شأنها شأن العواصم الكبرى ميونخ وبرلين تُعَدُّ مكاناً تقليدياً للقيادات، وقال (أحمد بان)، الخبير فى شئون الجماعات الإسلامية، إن موافقة البرلمان الكندى على إدراج الإخوان كجماعة إرهابية، يضيق الخناق على التنظيم الدولى للجماعة ويحرمها من بعض الملاذات الآمنة وقد يدفعها لمراجعة خياراتها فى التعاطى مع الدولة، ويجعلها تسعى جاهدة للوصول إلي تسوية، خاصة أن (كندا) شأنها شأن العواصم المهمة مثل (ميونيخ، وبرلين) التى تُعَدُّ مكاناً تقليدياً للقيادات، وأشار إلى أن موقف كندا سيكون له تبعات عالمية مهمة، وقد يدفع بعض الدول التى مازالت تَدْعُمُ الإرهابية لمراجعة موقفها، وأكد (سامح عيد)، القيادى الإخوانى المنشق أن موقف كندا إيجابى وَيُعَدُّ حَلْقَةَ ضَغْطٍ على الإخوان، وربما يؤثر على بعض القرارات الأوروبية فى المستقبل، مُشِيراً إلى أن كندا لها باعٌ طويلٌ فى مجال حقوق الإنسان وعضو فى الأمم المتحدة، ولم تُصْدِرْ هذا القرار بناء علي العاطفة وإنما بناءً على تتبع جَدِّيٍّ لتصرفات الجماعة في مصر والدول الأوروبية، وقال (ماهر فرغلى) الباحث فى شئون الحركات الإسلامية، إن الخناق يضيق على التنظيم الدولى للإخوان، خاصة مع ازدياد نشاط التنظيم داخل الدول الأوروبية فى الآونة الأخيرة من اجتماعات وتمويل وتحركاتٍ الأمر الذى أخاف هذه الدول من أن ينتقل الإرهاب إلى أراضيها، مشيراً إلى أن العمليات الإرهابية داخل مصر سلاح ذو حَدَّيْنِ أَثَّرَ بالسلب

(١) جريدة الأهرام – الجمعة ١١ جمادى الآخرة ١٤٣٥ هـ – ١١ أبريل ٢٠١٤م السنة (١٣٨) العدد (٤٦٥١٢) ص: ١.

على نشاط الجماعة رغم العلاقات الواسعة للتنظيم الدولى، مُؤَكِّداً أن هذه القرارات تُصَعِّبَ الموقف على الجماعة الإرهابية إقليمياً ودولياً، بالإضافة إلى تأثير السعودية والبحرين والإمارات بعلاقاتها الخارجية على الدول الأوروبية مما يؤدى إلى نوع من الخوف من الإخوان، كما أن الدور الإقليمى الذى تلعبه الإخوان لصالح إيران وتركيا وقطر، مُتَوقعاً أن تتبع بريطانيا وسويسرا والنرويج القرار الكندى بإدراج الإخوان على قوائم الإرهاب، وقال الدكتور (كمال الهلباوى)، نائب رئيس لجنة الخمسين، والقيادى السابق بجماعة الإخوان: إن هناك دول أخرى ستتخذ نفس القرار بعد كندا وفرنسا وبريطانيا لأن الدول خائفة، مشيراً إلى أن الإخوان وضعت نفسها فى موقف حرج بالتحالف مع جماعات العنف مثل الجماعة الإسلامية والجهاد، مُؤكِداً أن ما يُسمى (بتحالف الشرعية) وَرَّطَ الجماعة معه فى الإرهاب إلى جانب دور القيادات المسجونة والهاربة فى تأجيج العنف، والتفجيرات ما جعل دول العالم فى حالة خوف من امتدادات تلك الممارسات إلى أراضيها، وبالرغم من تصريحات (إبراهيم منير) والتى حَذَّرَ فيها بريطانيا من اتخاذ هذا القرار من أن رد الجماعة سيكون عنيفاً أكد الدكتور (جهاد عودة) أستاذ العلاقات الدولية بجامعة حلوان أن بريطانيا ليس أمامها أى موانع على الإطلاق تحول بينها وبين قرار إعلان جماعة الإخوان إرهابية مشيراً إلى أن دراسة البرلمان الكندى قرار إعلان الجماعة إرهابية خطوةً جيدةً باعتبار كندا تحت التاج البريطانى، وأضاف فى تصريح (لصدى البلد) أن اللجنة المشكلة من العموم البريطانى للتحقيق فى هذا الأمر لجنة استخباراتية من الدرجة الأولى ولن يتم تشكيلها إلا إذا كانت هذه اللجنة لديها معلومات مؤكدة تُدين جماعة الإخوان، وقال (عودة) لا الإستثمارات الإخوانية ببريطانيا ولا العلاقات التاريخية بينهما كفيلان بمنع بريطانيا من إعلان جماعة الإخوان إرهابية[1].

(1) Http://www.elbalad.com/896717sthash.04AeJNP.dpuf

إعْتَبِرُوا يَا أُولِى الأَبْصَارْ:

معنى اعتبرَ المرءُ، أَيِ اتَّعَظَ، فمن لم يَتَعِظْ بالسنن الكونية، فليس له حَظٌّ، أو نصيبٌ فى دنياهُ وأخراهُ، ويظل طوال حياته يتخبط كما يتخبط فاقدى البصر الذى يسير فى وسط الطريق بدون دليل معهُ يقودهُ إلى الهدى والرشاد، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (آل عمران: ١٣) أى: أَنَّ اللَّهَ يَنْصُرُ ويُؤَيِّدُ أصحاب العقول والبصائر، قال ابن كثير: إن فى ذلك لعبرةً لمن لهُ بصيرةٌ وفهمٌ لِيَهْتَدِىَ به إلى حكم الله وأفعاله[1] وقال تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (الحشر:٢) أي: اعتبروا بما حَلَّ بالمفسدين مَا حَلَّ ونزل بهم مَا نَزَلَ، لتعلموا صدق الله فى وعده ووعيده[2]. وإن كان اللفظ لليهود، ولكنه يُقَاسُ على كل مُفْسِدٍ فى الأرض يُخَرِّبُ ديارها ويسفكُ دماء أهلها، ويستبيحُ أموالها ونساءها بغير حَقٍ، وبذلك فقد جَعَلْتُ هذه المقدمة مَدْخَلاً للقصاص بالمثل، لذا فأقول: لم ونحن المسلمون نَقتدى بدول الغرب وَنَجْعَلُها بَوَّابَةً لأحكامنا ونحن معنا الدليل من كتاب الله وسُنَّةَ نبيه صلي الله عليه وسلم، وقد أعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم مُدَوِّيَةً قَائِلاً: (كِتَابُ اللَّهِ القَصَاصْ)، لأنه لم يكن خافياً على أَحَدٍ، بأنَّ الشريعة الإسلامية كفيلة بإصلاح أحوال البشر فى جميع أحواله ومجالاته، وفى جميع النواحى الحياتية والقانونية، لأن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً هو وحده المتعين به الحكم بين الناس والدليل على ذلك إنزال الوحى على صاحب الرسالة بأحكام تُتْلَى إلى يوم القيامة، كما جاء فى كتابه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٨ - ١٧٩) يقول تعالى كُتِبَ

(١) صحيح تفسير ابن كثير: (١/ ٣٣١).

(٢) تفسير محاسن التأويل لقاسمى: (٩/ ٧٤).

عليكُم العدلَ في القصاص أيها المؤمنونَ، حُرُّكُمْ بِحُرِّكُم، وَعَبْدُكُمْ بِعَبْدِكُمْ، وَأُنْثَاكُمْ بِأُنْثَاكُمْ، ولا تتجاوزوا وَتَعْتَدُوا، كما اعتدى مَنْ قَبْلَكُم، وغَيَّرُوا حُكْمَ الله فيهم، وسببُ ذلك قُرَيْظَةُ وَالنَّضِيرُ، كانت بَنُوا النَّضير قَدْ غَزَتْ قريظة في الجاهلية وقهروهم، فكان إذا قَتَلَ النَّضْرِيَّ القُرَظِيَّ لَا يُقْتَلُ به، بَلْ يُفَادَي بِمائَةِ وَسْقٍ مِنَ التَّمْرِ، وَإِذَا قَتَلَ الْقُرَظِيُّ النَّضْرِيَّ قُتِلَ، وَإِنْ فَادُوهُ فَدَوْهُ بِمائَتَيْ وَسْقٍ مِنَ التَّمْرِ، ضِعْفُ دِيَةِ الْقُرَظِيِّ، فأمرَ اللهُ بالعدل في القصاص، ولا يُتَّبَعُ سَبيلُ المُفْسِدِينَ المُحَرِّفِينَ المُخَالفينَ لأحْكام الله فيهم، كُفْراً وَبَغْياً، كما قال تعالى "الآية[1] ومعنى كلمة (الْوَسْقُ): هُوَ مِكْيَالٌ مِقْدارُهُ سِتُّونَ صَاعاً، وَ الصَّاعُ خَمْسَةُ أَرْطَالٍ وَثُلُثٌ، وَجَمْعُهُ أَوسُقٌ، وَأَوْسَاقٌ[2] وأما قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ يقول تعالى: وفي شرع القِصَاصِ لكم، وهو في قَتْلِ الْقَاتِلِ حِكْمَةٌ عَظِيمَةٌ، وهي بقاءُ المُهَجِ وَصَوْنُهَا؛ لأنهُ إذا عَلِمَ القاتلُ أَنَّهُ يُقْتَلُ انْكَفَّ عَنْ صَنيعِه، فكان في ذلك حَيَاةٌ للنفوس، وفي الكتب المتقدمة: القَتْلُ أَنْفَى للقتل، فجاءت هذه العبارة في القرآن أَفْصَحَ وَأَبْلَغَ وَأَوْجَزَ ﴿ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ أي: يا أولي العقول، والأفهام والنُّهَى، لعلكم تَنْزَجِرُونَ وَتَتْرُكُونَ مَحَارِمَ الله، ومَآثِمِه ، والتَّقْوَى: إسْمٌ جَامِعٌ لِفِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَتَرْكِ المُنْكَرَاتِ[3] فالمراد من ذلك أن الإسلام قد ضمن العيش والأمن وهما مطلبان عظيمان لإستقرار الحياة بين بني البشر على السواء، فليس هناك أَمْرٌ يحققُ للإنسان تأمين حياتهُ وعيشهُ ومالهُ ونفسهُ وأهلهُ ودينهُ سِوَى الإسلام وتطبيق أحكامه بين الناس جميعاً، الفقيرُ كالغَنِيِّ، والحاكمُ كالمحكومُ في الحكم سواء، لأن في تطبيق أحكامه وطرقه الشرعية تحقيقٌ للأمن والأمان والاستقرار للناس كَافَّةً، فحكمُ الإسلام في التصدي للإرهاب، والتعدي على النفس البشرية، وإزهاق الأرواح بلا مُبَرِّر، أو

(١) صحيح تفسير ابن كثير: (١/ ٢٠٣).

(٢) المعجم الوجيز ص: (٦٦٩).

(٣) صحيح تفسير ابن كثير: (١/ ٢٠٤).

الخروج عن مقتضى الشريعة الإسلامية، لَابُدَّ أَنْ يُوَجَّهُ، بَلْ وَيُكَافَحُ بالقصاص بِالمِثْلِ، أى: من قتل نَفْساً ظَلْماً يُقْتَلُ بالمثل، ومن ألقى نفساً آمنةً من فوق سطح عمارة، فأدى ذلك إلى إزهاق رَوْحِه، يُلْقى بالمثل حتى تُزْهَقَ روحهُ، ومن كَسَر سِناً يُكْسَرْ لَهُ نَفْسُ السِّنِّ، فإذا أَدَّيْنَا ذلك تكون وُجْهَتُنَا وَقِبْلَتُنَا كِتابَ اللهِ وسُنَّةَ نبيه – صلى الله عليه وسلم، وليست قِبْلَتُنا وَوُجْهَتُنَا أمريكا وألمانيا وفرنسا وبريطانيا، وغيرهما من دول الغرب الكافرة، فكيف يتسنى لنا أن تكون وُجهتنا وقبلتنا لدولٍ تَرْعَى الإرهاب وأهله؟

فالقصاص بالمثل يا أولى الألباب هو لُبُّ شريعة الإسلام وعدلِه وغير ذلك. هو خروج عن الشريعة، وإتاحة الفرصة للتسويف وتضييع الوقت سُدًى، وإعطاء الغير من الإرهابيين التمادي فى إطالة أيديهم الآثمة المزيد من القتل وسفك الدماء وترويع الآمنين، وتدمير المنشآت، وَتَفَاقُم الأخطار على الأمن القومى، وتجرؤ الأيادى الآثمة على المزيد من إراقة الدماء، وإزهاق الأرواح بل رادعٍ يردعهم، وأيادٍ قويةٍ تُطَبِّق حكم اللهِ فيهم طالما أن ملابسات القضية تثبت بالدليل القاطع بشهادة الشهود العدول، والأدلة الجنائية المثبتة فى القضية بالصور والقرائن العادلة التي تثبت تورط الجانى بالتحريض على القتل، أو بالتعدى بقتل الآخرين وقد طالعتنا الصحف القومية وغيرها يوم الثلاثاء ٢٩/ ٤/ ٢٠١٤ حُكْمٌ يُعَدُّ الأكبر فى تاريخ القضاء المصري، فقد قررت محكمة جنايات المنيا إحالة أوراق (محمد بديع) مرشد جماعة الإخوان الإرهابية و٦٨٢ آخرين إلى المفتى لاتهامهم بالقتل والحرق والاعتداء على المنشآت العامة، فيما عُرِفَ بأحداث مركز العدوة بالمنيا عقب فض اعتصامى رابعة والنهضة وحددت المحكمة جلسة ٢١ يونيو للنطق بالحكم وقد قررت هيئة المحكمة برئاسة المستشار «سعيد يوسف صبرى»، وعضوية المستشارين «إبراهيم وليد»، و«طلعت جودة» بإحالة أوراق «محمد بديع» مرشد جماعة الإخوان و ٦٨٢ إخوانياً أمام المفتى والحكم بإعدام

٣٧ متهماً إخوانياً، والأشغال الشاقة المؤبدةُ لـ ٤٩٢ آخرين فى قضية أحداث العنف والتخريب والقتل التى شهدها مركز مطاى بالمنيا بعد فض اعتصام رابعة[1] وطالعتنا صحيفة الفجر فى صدر الصفحة الأولى بعنوان لماذا أعدموه؟ وكانت الإجابة: بديع وضع خطة اقتحام الأقسام وقتل ضباط الشرطة بعد فض اعتصام رابعة العدوية، وقد وجهت النيابة إلي الدكتور «محمد بديع» ٧١ عاماً والمرشد العام لجماعة الإخوان أنه فى غضون شهر أغسطس ٢٠١٣ إتفق وآخرون على وضع خطة أثناء اعتصام جماعة الإخوان ومؤيديهم بميدانى «رابعة العدوية» بمدينة نصر، و«النهضة» بالجيزة، مفادها مهاجمة أقسام الشرطة أثناء عملية فض اعتصامى رابعة العدوية والنهضة بغرض إشاعة الفوضى فى البلاد وانهيار الدولة، وتنفيذاً لهذا المخطط تجمهر فى ١٤ أغسطس ٢٠١٣ العديد من الأشخاص أمام مركز شرطة «مطاى» ثم تمكنوا من اقتحامه تحت تهديد الأسلحة النارية والبيضاء، وقتل العقيد «مصطفى رجب العطار» نائب مأمور المركز عمداً مع سبق الإصرار والشروع فى قتل الضابط «كريم فؤاد هنداوى» والشرطى السرى «علاء محمد حافظ» وتخريب مركز الشرطة وإشعال النيران فيه، وإتلاف الدفاتر والسجلات الرسمية، وتمكين المحبوسين داخله من الهرب هذا عن قضية «مطاى» أما فى العدوة، فقد أشارت النيابة إلي ما جرى حيث وجهت اتهامات واضحة ومحددة للإخوان ومرشدهم جاء فيها «التجمهر فى مركز العدوة وتعريض السلم العام للخطر وكان الغرض منه ارتكاب جرائم الاعتداء على الأشخاص والممتلكات العامة والخاصة والتأثير علىٰ رجال السلطة فى أداء أعمالهم بالقوة والعنف حال حمل بعضهم لأسلحةٍ ناريةٍ وأدواتٍ مما تُستخدم فى الاعتداء على الأشخاص وقد وقعت

(١) جريدة الأهرام الثلاثاء ٢٩ جمادى الآخرة ١٤٣٥ هـ - ٢٩ أبريل ٢٠١٤م - السنة (١٣٨) - العدد (٤٦٥٣٠) ص: (١).

تنفيذاً للغرض المقصود مع علمهم بهذه الجرائم» ولم تتوقف النيابة في توصيفها للاتهام عند هذا الحد، بل أضافت: «اقترنت بالجريمة السابقة جنايات قتل عمد، ذلك بأنهم فى ذات المكان والزمان قتلوا وآخرون مجهولون المجنى عليه رقيب شرطة «ممدوح قطب محمد قطب» عَمْداً مع سبق الإصرار والترصد، وَبَيَّتُوا النِّيَّةَ وعقدوا العزم على قتل من يتصادف وجوده بمحيط شرطة العدوة وهو مكان تواجد المجنى عليه» لقد تعامل البعض مع قرار إحالة أوراق المرشد إلى المفتى باستخفافٍ شديدٍ قال المستشار «محمد عيد سالم» رئيس محكمة النقض، والأمين العام للمجلس الأعلى للقضاء السابق، إن أغلب القضايا المتعلقة بالإعدام، يتم قبول الطعن عليها، ومن واقع خبرتى ورصدى للقضايا، أؤكد أن نسبة قضايا الإعدام التى يقبل الطعن فيها تتجاوز نسبتها ٩٠٪ من إجمالى القضايا، وأن القضايا التى تصدر فيها أحكام نهائية بالإعدام من محكمة النقض لا تتجاوز ١٠٪ فقط» وأضاف فى تصريحات خاصة (للفجر): «هناك عقيدة لدي قُضاة محكمة النقض، وهى أن الخطأ فى العفو، خيرٌ من الخطأ فى العقوبة، ومن واقع هذه العقيدة فإن محكمة النقض تتلكك لإيجاد أى ثغرات قضائية تُمكن المتهم من الطعن على الحكم، ولو وجدت أي ثغرة من أي نوعٍ فإنها تطعن على الحكم بشكلٍ فوري، وتلتزم المحكمة بتوفير محاكمات، عادلة تستوفى حصول المتهم على كافة دفوعه، فمحكمة النقض هى محكمة ضمانات» وذكر المستشار سالم أنه فى محاكم الجنايات تُدين المحكمة المتهم بمبدأ «العقوبة المبررة» أي أنها على سبيل المثال تكتفى بوجود سلاح الجريمة لتدلل على إدانة المتهم، أما محكمة النقض فهى لا تعترف بهذا المبدأ فى عقيدتها، وتحتاج إلى أدلةٍ مَادِّيَةٍ أكثر لتثبت الإدانة بحق المتهم» أما عن مراحل التقاضى، فنجد أنها تمر بمراحل صعبة يصعب معها إصدار حكم نهائى بالإعدام، ولعل أقرب نموذج على ذلك ما حدث بقضية رجل الأعمال

«هشام طلعت مصطفى» الذى قُبِلَ طعنه وحُكِمَ عليه بالسجن ١٥ عاماً»[١]، لذا وجب علينا فى تلك الظروف أن نشير إلى ما ذكرناهُ سابقاً في القصاص بالمثل، وبفضل الله تعالى علي هذه الأمة أنه أكمل هذا الدين حيث قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣) ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ (الأنعام :٣٨) ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ (الحشر: ٧) ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ (النحل: ٨٩) ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل: ٤٤) ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: ٥٢) فكل ما يحتاجه المرء فى دينه موجود فى كتاب الله تعالى، وما قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وقد بَلَّغَ الرسالة، وأدى الأمانةَ: ونَصح الأمةَ، وكشف الغمة، وأقام الحجة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءَ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِى إلا هَالِكٌ)[٢].

وقال الإمام الشافعي: «وليست تنزلُ بأحدٍ مِنْ أهلِ دينِ الله نَازِلَةٌ إلا وفى كتاب اللهِ الدليلُ على سبيلِ الهُدَى فِيهَا»[٣].

وقال أَبُو ذَرٍّ الغِفارِيِّ رضى الله عنه: (تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائرٍ يطيرُ بِجَنَاحَيْهِ إلا عندنا منهُ عِلْمٌ)[٤].

فلا حُجَّة لابن آدم فما دَلَّ عليه الدليل فهو حَقٌّ، والحجة والأدلة ما أكثرها فى كتاب الله تعالى، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ

(١) جريدة الفجر - الخميس ١ / ٥ / ٢٠١٤ - اسنة السابعة - العدد (٤٥٦): (٩).

(٢) الحديث صحيح: أخرجه أحمد: (٤/ ١٢٦)، رابن ماجة: (٤٣).

(٣) الرسالة للشافعى ص: (٢٠).

(٤) الحديث أخرجه أحمد برقم (٥ / ١٥٣/ ١٦٢)، وابن حبان: (١/ ٢٣٥).

ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ (المائدة: ٤٥) قوله تعالي: (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ) أى: فرضنا على اليهود فى التوراة (أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ) أي: مقتولة بها إذا قتلتها بغير حق (والعين) مفقوءة (بالعين والأنف) مجدوع (بالأنف والأذن) مقطوعة (بالأذن والسنَّ) مقلوعةً (بالسن والجروح قصاص) أى: ذات قصاص، أى: يقتص فيها إذا أمكن، كاليد والرجل ونحو ذلك وإلا - ككسر عظم وجرح لحم مما لا يمكن الوقوف على نهايته، فلا قصاص، بل فيه حكومة عدل[1].

دِيَةُ الْقَتْلِ الْمُتَعَمَّدْ: إذا شاء أصحاب المقتول قَتْلَ قاتلهم فعلوا، وإذا شاء أَخْذَ الدِّيَة أخذوها، كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (مَنْ قَتَلَ مُتَعَمِّداً دَفَعَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ، فَإِنْ شَاءُ واقْتَلُوا، وَإِنْ شَاءُوا أَخَذُوا الدِّيَةَ، وَهِيَ ثَلاثُونَ حِقَّةً، وثَلاثُونَ جَذَعَةً، وَأَرْبَعُونَ خَلِفَةً، وَمَا صُولِحُوا عَلَيْهِ فَهُوَ لَهُمْ)[2].

وَالحِقَّةُ: هى الإبل وما طعن منها فى السنة الرابعة، وجمعها حِقَاقْ، والأنثى حِقَّةً، وجمعها حِقَقَ، والجذعة: هى ولد الشاة فى السنة الثانية، وولد البقر والحافر فى السنة الثالثة، والإبل في السنة الخامسة ومعنى كلمة خَلِفَةً: هى الحامل من الإبل.

الْقَصَاصُ فِى العَيْنِ: فإن فُقِئَتْ العين، أو قُلعت ثبت القصاص بالفقء. وإن ضُرِبَ حتى ذهب بعده ثبت القصاص، قال فى التهذيب، فَقِيلَ: بالقلع، وقيل تُحْمَى حديدة ثم تقرب من عينه أَمَّا الْقَصَاصُ فِى الأَنْفِ: إنما يكون إذا اسْتُؤصِلَتْ، لأن ذلك كالمفصل، لا إذا قطع بعضها، فقصاصها تُقطع أنف المتعدى.

أَمَّا القَصَاصُ فِي الأُذُنِ: أيضاً كما تقدم، والقصاص إذا قُطعت من أصلها، لا إذا قطع

(١) تفسير القاسمى: (٤/ ١٥٣).

(٢) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد في مسنده، والترمذى، وابن ماجة عن ابن عمرو برقم: (٢٦٢٦)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (٦٤٥٥ - ٢١٩٧)، والإرواء برقم: (٢١٩٩).

البعض، وَلَا تُؤْخَذُ أُذُنٍ الصحيح بأذن الأصم، وكذا عموم قوله تعالى: (والسن بالسن) والقصاص: إذا قلع من أصله، ولابد من المساواة، فلا يُؤْخَذُ الصحيح بالأسود ولا بالمكسور، ولا الثنية بالضِّرْسِ، ولا تُؤْخَذُ اليمنى باليسرى[1].

القَصَاصُ فِي قَتْلِ الجَنِينِ وَأُمِّهِ: روي ابن ماجة عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضى الله عنه، أَنَّهُ نَشَدَ النَّاسَ قَضَاءَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي ذَلِكَ، يَعْنِي فِي الجَنِينِ، فَقَامَ حُمَلُ بْنُ مَالِكِ بْنِ النَّابِغَةِ فَقَالَ: كُنْتُ بَيْنَ امْرَأَتَيْنِ لِي، فَضَرَبَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى بِمِسْطَحٍ فَقَتَلَتْهَا، وَقَتَلَتْ جَنِينَهَا، فَقَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الجَنِينِ بِغُرَّةٍ، عَبْدٍ، وَأَنْ تُقْتَلُ بِهَا[2]. فَكُلاً من العبد، أو الأمة يُقَالُ لَه (الغرَّة) إذ يُطلق هذا الإسم على الإنسان المملوك، «وَالْمِسْطَح» هو عود من أعواد الخباء، أو كفرع من الشجر يُسمى بالعِصِيِّ.

الْقَصَاصُ فِي السِّنِّ: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ الرُّبَيِّعَ عَمَّةَ أَنَسٍ كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ جَارِيَةٍ فَطَلَبُوا إِلَى القَوْمِ العَفْوَ فَأَبَوْا، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فقال: الْقَصَاصُ، فَقَالَ أَخُوهَا - أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ: يَا رَسُولَ الله تُكْسَرُ ثَنِيَّةُ فُلَانَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (يَا أَنَسُ كِتَابُ اللهِ الْقَصَاصُ)[3].

ومعنى كِتَابُ اللهِ الْقِصَاصُ: أى: حكمه وعدله فى تنفيذ أحكام القصاص. وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في السن بِخَمْسٍ من الإبل، حيث قال: (الأَسْنَانُ

(١) المصدر السابق: (٤/ ١٥٦).

(٢) رواه ابن ماجة برقم: (٢٦٤١).

(٣) أخرجه البخارى (٢٥٥٦) و(٤٢٢٩) و(٤٢٣٠) و(٤٣٣٥)، وأبو دارد (٤٥٩٥)، والنسائى فى (المحتبى) (٤٧٦٦) و(٤٧٧١)، وفى (الكبرى) (٦٩٥٤) و(٦٩٥٩)، وابن ماجه (٢٦٤٩)، وأحمد (١١٨٩٣١) و(١٢٢٩٣)، وابن أبى شيبة (٦/ ٣٢٢)، وأبو عوانة (٦١٥٣). وأبويعلى (٣٥١٩)، وابن الجارود فى (المنتقى) (٨٤١)، والطحاوى فى «شرح معانى الآثار» (٣/ ١٧٧)، والطبرانى فى (الكبير) (٦٦٤) و(٧٦٨)، والبيهقى (١/ ١٦٣) من حديث أنس.

سَوَاءٌ خَمْساً خَمْساً)[1]. وقضى صلى الله عليه وسلم فى الأصابع بِعَشْرٍ مِنَ الإِبِلْ، حيث قال صلى الله عليه وسلم: (الأُصْبُعُ سَوَاءٌ، كُلُّهُنَّ فِيهِنَّ عَشْرٌ مِنَ الإِبِلِ)[2].

- يُقْتَادُ مِنَ القَاتِلِ كَمَا قُتِلْ، فَعَنْ أَنَسِ بنْ مَالِكٍ، أَنَّ يَهُودِيًّا قَتَلَ جَارِيَةً عَلَى أَوْضَاحٍ لَهَا، فَقَالَ لَهَا «أَقَتَلَكِ فُلانٌ؟» فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا: أَنْ لا، ثُمَّ سَأَلَهَا الثَّانِيَةَ، فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا: أَنْ لا، ثُمَّ سَأَلَهَا الثالثَّة، فَأَشَارَتْ بِرأسِهَا: أَنْ لَا، ثُمَّ سَأَلَهَا الرَّابِعَةَ، فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا: أَنْ نَعَمْ، فَقَتَلَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ حَجَرَيْنِ[3]. وعنه أيْضاً، أَنَّ يَهُودِيًّا رَضَخَ رَأْسَ إِمْرَأَةٍ بَيْنَ حَجَرَيْنِ فَقَتَلَهَا، فَرَضَخَ رَسُولُ الله صلي الله عليه وسلم رَأْسَهُ بَيْنَ حَجَرَيْنِ[4]. أما من حَرَّضَ على قتل جنود وضباط القوات المسلحة والشرطة وغيرهم أمثال «وجدى غنيم، ومحمد عبد المقصود، والقرضاوى» فأذكرهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أَعَانَ عَلى دَمِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِشِطْرِ كَلِمَةٍ كُتِبَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ: آيسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ)[5].

ولن يفلت هؤلاء من عقاب الله مهما أن طال بهم الزمن، أولجئوا إلى دول تأويهم، فعقاب الله قادمٌ لا محالَة، واعلم عبد الله أن القصاص ليس فى الإنسان فقط، بل أقامهُ الله فى بعض الحيوانات قبل أن يبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم، فمن المعلوم أن القرودَ يحتفظ كل منهم بزوجته ولا يتعدى عليها آخر، وهم يختلفون

(١) الحديث صحيح: رواه النسائى وابن ماجة عن ابن عمرو، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (٢٧٨٠ - ١٢٨٠)، والإرواء برقم: (٢٢٧٦).

(٢) الحديث صحيح: رواه النسائى، وابن ماجة عن ابن عمرو، وصححه الألبَانى فى صحيح الجامع برقم: (٢٧٨٣ - ١٢٨٢)، والإرواء برقم: (٢٢٧٢).

(٣) سنن ابن ماجة برقم: (٢٦٦٦).

(٤) سنن ابن ماجة برقم: (٢٦٦٥).

(٥) رواه ابن ماجه برقم: (٦٢٢٠)، والأصبهانى فى الترغيب برقم: (٢٣٠٢)، والبيهقى برقم: (٥٣٤٦)، والحديث خرجه الألبانى فى الصعيفة برقم: (٥٠٣).

فى ذلك عن كثير من الحيوانات، فقد حدث فى يوم من الأيام أن قرداً عجوزاً خانتهُ زوجتهُ الشابةُ مع قردٍ آخر شابٍّ، فاجتمعت عليها القرود وأقاموا عليها حَدَّ الرَّجْم، فرجموها بالحجارة حتى مَاتَا، والقصة رواها البخارى فى (صحيحه)، والإسماعيلىُّ فى المستخرج وإليك نَصُّهَا: (عَنْ عِيسَى بْنِ حَطَّانَ قَالَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ الكُوفَةِ، فَإِذَا عَمْرُو بْنِ مَيْمُونَ الأَوْدِى جَالِسٌ وَعِنْدَهُ نَاسٌ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ حَدِّثْنَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتَهُ فِى الجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: كُنْتُ فِى حَرْثٍ لِأَهْلِ اليَمَنِ، فَرَأَيْتُ قُرُوداً كَثِيرَةً قَدْ اجْتَمَعْنَ، قَالَ: فَرَأَيْتُ قِرْداً وقِرْدَةً اضْطَجَعَا، ثُمَّ أَدْخَلَتِ القِرْدَةُ يَدَهَا تَحْتَ عُنُقِ القِرْدِ وَاعْتَنَقَهَا، ثُمَّ نَامَا فَجَاءَ قِرْدٌ فَغَمَزَهَا مِنْ تَحْتِ رَأْسِهَا، فَاسْتَلَّتْ يَدَهَا مِنْ تَحْتِ رَأْسِ القِرْدِ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ مَعَه غَيْرَ بَعِيدٍ، فَنَكَحَهَا، وَأَنَا أَنْظُرُ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَضْجَعِهَا، فَذَهَبَتْ تُدْخِلُ يَدَهَا تَحْتَ عُنُقِ القِرْدِ كَمَا كَانَتْ فَانْتَبَهَ القِرْدُ، فَقَامَ إِلَيْهَ فَشَمَّ دُبُرَهَا، فَاجْتَمَعَتِ القِرَدَةُ فَجَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْهَا، فَتَفَرَّقَتِ القِرَدَةُ، فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ جِيءَ بِذَلِكَ القِرْدَ بِعَيْنِه أَعْرِفُهُ، فَانْطَلَقُوا بِهَا، وَبِالقِرْدِ إِلَى مَوْضِعِ كَثِيرِ الرَّمْلِ، فَحَفَرُوا لَهُمَا حَفِيرَةً، فَجَعَلُوهُمَا فِيهَا، ثُمَّ رَجَمُوهُمَا حَتَّى قَتَلُوهُمَا، وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ الرَّجْمَ قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَ اللهُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وسلم)[1].

فهذا الحيوان الذى وعى الدرس فأقام حَدًّا من حدود الله، ألسنا أولى بإقامة الحدود، ليس فى حَدِّ الزنى فقط، ولكن فى القتل، والسرقة وكسر السنِّ، وغير ذلك من القصاص كما فَصَّلْنَاهَا سَابِقاً مع أن بين أيدينا قرآنٌ وسنةٌ يَهْدِيَانِ إلى سواءِ السبيل، ولكننا ننفخُ فى الرَّمَادِ حتى عَمِيَتْ أَعْيُنُنَا عن الحقيقةِ فأصبحنا.

كَأَصْحَابِ كَهْفٍ فِى عَمِيقٍ ثُبَاتِ
بِأَيْدِيهِمُ نُورَانِ ذِكْرٌ وَسُنَّةٌ وَلَكِنَّهُمْ فِى حَالِكِ الظُّلُمَاتِ

(١) الحديث رواه البخارى مختصراً فى مناقب الأنصار باب القسامة فى الجاهلية، وعزاه الحافظ فى الفتح (٧/ ١٩٦) الإسماعيلىُّ، وهو فى «التاريخ الكبير» للبخارى (٦/ الترجمة رقم: (٢٦٥٩)، وهو فى «تهذيب الكمال» برقم: (٢٢/ ٢٦٥).

إذن فما سرد سابقا يوضح لنا كيفية القصاص في كتاب الله وسنة نبيهﷺ، أما الأمر إذا تعدى عن ذلك، بحرق المنشآتِ، وتدمير المؤسساتِ، وَحَصْدِ الأرواحِ، وَوَضْعِ عُبْوَاتٍ ناسفةٍ في كل المحافظاتِ، وجب على الدولة محاربة هؤلاء الإرهابيين، كمحاربة الأعداء تماماً بتمام، لأنهم يحاربون الوطن بأكمله، لذا وجب محاربتهم وقتالهم، لأن هؤلاء أخطر عَلى أمن الوطن من الأعداء، فالأعداء معلوم هويتهم، ويتم رصدهم ومراقبتهم، أما الإرهابيون فهم يسكنون معنا، ويعلمون تحركات رجالنا الشرفاء من جميع المؤسسات التي تحمي هذا الوطن، فيتسللون ورائهم، كما تتسلل الأفاعي وراء الفريسة بلا صوت، ثم تَنْقَضُّ على الفريسة لتلتهمها، وكذلك الإرهابيون يتسللون وراء رجالنا الأوفياء، ثم يقومون باغتيالهم من خلفهم، وهكذا يكون فعل الخسيس الجبان، لأنهم أرادوا بذلك أن يُضعفوا قدرات مصر، شعبها وجيشها، وشرطتها، وجميع مؤسساتها، وَتَرْكِيعَهَا لإرادتهم، وهذا لن يُمكنوا منه أبداً، لأنهم لا يقدرون على دولةٍ بحجم مصر، وفي النهاية سيخضعون لإرادة هذا الشعب، لا إرادتهم، بل وَسَيُرْغمُونَ على ذلك قال الله تعالى {أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ} (هود: ١٨)، وجاء في الحديث المتفق عليه حديث أبي موسى -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول اللهﷺ: (إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ) ثم قرأ رسول اللهﷺ: {وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} (هود:١٠٢)[1].

فدعوة المظلوم مستجابة "يا أبو الأمراس"، ولو كانت من فيهِ فَاجِرٍ، فما بالك بملايين المصريين الأطهار حيث تتجه أفواههم، وأفئدتهم نحو "مرسي وجماعته"، بل ويكفي والله الذي لا إله غيره فِيهِ واحدةٍ مثل "أم محمد الجندي" حيث تبكي و الحزن يملأ كل جوانها على فقدها لو حيدها، ودعت أمام شاشات التلفازات دعاء المكلومة التي كانت تُخرج الكلمات الممزوجة بالحزن والأسى والذي يُقَطِّعُ أحشائها، وقد استجاب الله لدعائها،

(١) البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

وَزُجُوًّا في السجون جميعاً ينتظرون حكم قضاء مصر الشامخ، والعادل في الدنيا، وقصاص الله العادل يوم القيامة، فقد جاء في الحديث الذي رواه الطيالسى عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: (دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ، وَإِنْ كَانَ فَاجِراً، فَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ)[1].

وما أصدق مقالة:

وَحَـقِّ اللهِ إِنَّ الـظُّـلْـمَ لُـؤْمٌ ... وَإِنَّ الـظُّـلْـمَ مَـرْتَـعَـهُ وَخِـيـمُ

إِلَى دَيَّـانِ يَـوْمِ الـدِّيـنِ نَمْضِي ... وَعِـنْـدَ اللهِ تَجْتَـمِـعُ الْخُـصُـومُ

رُبَّ ضَارَّةٍ نَافِعَةٌ:

لقد بات واضحاً أن في أيام حكم " لمعزول" أنه قد اختلفت رُؤَى أُنَاسٌ كُثرٌ في مِصْرَ، بعدما ظهر "جماعة الإخوان" بوجههم القبيح، وخاصة بعدما استولوا على حكم مصر، وتملكوا مفاصل الدولة، فانقسم الناس إلى فريقين، فريق قال: نجرب الحكم الإسلامي، وكفانا ما لقيناهُ من حكم العَسْكَر وأتباعه، فأعطوا أصواتهم "لمرسي" وَدَعَّمُوهُ، وناشدوا بالوقوف معه، ومن هؤلاء من عصروا الليمون على حَدِّ قولهم، بالرغم من أنهم غير راضين عن ذلك، لكنهم عصروا على أنفسهم الليمون بحجة أنهم يجربون حكم هؤلاء، وبعد نجاح "مرسي"، وقد ظهر عواره، بقتله للمتظاهرين، وسحلهم، وتعيين جماعة منهم لسؤال المحتجين على قرارات "مرسي وجماعته" بتوجيه السؤال لهؤلاء وضربهم وسحلهم واتهامهم بأن "الفلول" مَوَّلُوهُمْ بالأموال لفشل "المعزول" والقيام بسببهم بأفظع الألفاظ، وحصارهم أمام البوابة رقم(٤) أمام قصر الاتحادية على عين رئيس الجمهورية المعزول، ولم يتحرك قَيْدَ أُنْملَةٍ، ولم يتكلم بِبِنْتِ شَفَةٍ دفاعاً عن هؤلاء، ومما زاد الطين بِلَّةً أن هذه المشاهد قد أُذيعت على القنوات

(١) الحديث حسن: رواه الطيالسي عن أبي هريرة -رضي الله عنه- وجاء في السلسة الصحيحة برقم: (٧٦٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٣٣٨٢).

الخاصة آنذاك بالصوت، والصورة، وشاهدها العالم أجمع، مما ظهر عوار هذا الرجل وفشله الذريع في إدارة دفة البلاد، وَحَسْم أمورها نحو الصالح العام، فمن أجل ذلك ندم من أعطوه أصواتهم في انتخابات الرئاسة، ومنهم "والدة محمد الجندي" والتي ظهرت أمام شاشات التلفازات، وقد رفعت يدها بِالتَّضَرُّع إلي الله مشتغيثة به ضد هذا الطاغية فى حكمه ولم تكتف بذلك، بل رفعت يدها ممسكةً بحذائها، لتضرب به رأسها، قَائِلَةً: (أنا أستاهل يا مرسي كل اللي يجرا لي، لأني انتخبتك، وأهه يا مرسي) وقامت بضرب رأسها بحذائها، وما ذاك إلا قِمَّةَ النَّدَم في هذا الرجل التي انتخبته، فأطاح بأملها بعيداً بعيداً عن ما كانت تأمل فيه، بل الأدَهى و الأمر أنه كان السبب في اغتيال وحيدها، وفلذة كبدها، مما جعلها تفعل ذلك أمام كاميرا التليفزيون، بلاوعي، وبلا شعور، وغيرها الكثير، والكثير مما شربوا هذا المقلب، بل وأخدوا قلماً علَى قفاهم جعلهم ينظرون إلى الواقع فاغرين أفواههم مشدوهين من هَوْلِ ما سمعوا، وما شاهدوا، وأما الطائفة الأخرى، فقد تصدت وبكل قوةٍ واختارت "أحمد شفيق" وأرادت عزل "جماعة الإخوان" عن المشهد السياسي تماماً، ولكن شاءت الأقدار ونجح مرسي بتزوير الانتخابات، وبالدعم المالي، أو الضغط الأمريكي، ولكن هذا لا يهمنا الآن، ولكن ما يهمنا هو أن الله قد رسم لنا الطريق في ذلك المسار، لنعرف وجه هؤلاء على حقيقتهم، فجعلنا نراهم رَأْىَ العين، لنحكم عليهم بمنظار العدالة، دون ظلم، أو إقصاءٍ لأحدٍ، حتى يُصبح الحكم عادلاً من خلالِ المشهدِ علَى أرضِ الواقع، ومن خلال التجربة، فلو ظلت هذه الجماعة بَقِيَّة أعمارنا دون ما شاهدناه على مدى ال ٣٦٨ يوماً في حكم "المعزول"، وَقُلْتَ لأي إنسانٍ حقيقتهم مَا صَدَّقَكَ أحد، لأن ما تتكلم عنهم، هم نفوسٌ يعلوها الوقار في مِشيتهم، وفي جِلستهم، وإذا تكلموا عن الدعوة إلى الله، أصبح كلامهم كالترياق الذى يشفى قلوب الملهوفين إلى رؤية وجه الله تعالى في جنة النعيم، وما تراهم إلا مُصلين، أو متبرعين للفقراء والمساكين، فإذا

ذَكَرْتَهُمْ بسوءٍ في تلك الحالة، كَذَّبَتْكَ الألسنة وإن لم تكن شفاهةً، أصبحت امتعاضاً، لأن الشعبَ المصريَّ دَيِّنٌ بطبعه، يحب ذكر الله قرآنا و سنة، ويحب مجالس العلم والعلماء، لأنهم يُذَكِّرُونهم بالله ورسله، ومنهم من الدعاة من هو صاحب الكلمة الرقيقة الرقراقة التي تُخرج الناس من عناء دار الناس، إلى نعيم دار رب الناس، ولذلك فإن "جماعة الإخوان" لا تعرف حقيقتهم إلا إذا اقتربت منهم، وعايشتهم، واندمجت معهم، بل وعاملتهم، فمن غير ذلك يُصْبُح الحكمُ قاسياً، كما قال المثل الدراج: (فلان تعرفه: إيوه أعرفه، عاشرته: لا معشرتوش: إذن، أنت متعرفوش)، فَمِنْ غير فترة حكم "المعزول" وما ظهر فيها من سلبيات، واستبدادات، فلا أحد على الإطلاق كان يحكم على تلك الجماعية حُكْماً مُنْصِفاً، كما يحكم عليهم شعب مصر الآن، لأن سمت الداعية منهم في كل حالاته، وإظهار البعض من المنتمين إليهم عطفهم على الفقراء والمساكين، جعل كُتْلَةً من الشعب المصري يتعاطفون معهم، بل يميلون إليهم بحجة أن هؤلاء يعيشون في الظل بعيدون عن المواجهة، وَهُمُ المظلومونَ في انتخابات مجلس الشعب والذي ظهر عوراها في ٢٠١٠، ولما ظهر عوارهم وَحَلَّتِ ابتسامةُ الشَّرِّ وظهر في ثنايا الوجوهِ العابسة ذات الأنياب الزرقاءِ محل ابتسامة الداعية التي كانت تحمل كل بشائر الأمل و الاطمئنان، قُلِبَتْ الدائرة، ووصلت إلى ذروتها، أي: من الصفر:٣٦٠، لِيُصْبِحَ الداعية إلى الله إرْهَابِيٌّ يُزْهِقُ الأرواحَ، وصاحب الوجه الباسم، والذي تعلوا هيئته الوقار، والذي يُضَافُ على وقاره سمت العلماء يغتال أرواح الأبرياء، ويفجر المنشآت، وَيَضُرُّ البلادَ، والعبادَ، والشجرَ والدوابَّ، لِيُصْبِحَ حُكْمَ الشعب المصري حُكْماً جَمْعِياً، ماعدا المنتمين منهم، ليقولوا قولاً واحداً: (إنَيهْ، أَيْ: إفيهْ، عَلَى أَوْلَاد – الـ...)، فما أقبح أن ترى الحقيقةَ المزيفةَ، والكلمة التي قد غُمست بالكذب، وَشَرَبَهَا صَاحِبَها شُرْباً، حتى أنه يُدَاهِنُ خُصَمَاءَهُ، حتى يصل إلى مَآرِبَهُ، فإذا تولى منصباً من المناصب، ظهر ما كان يُبْطِنَهْ من إهلاك الحرث، والنسل، والإفساد

في الأرض، كما قال الله تعالى: { وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُۥ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ } (البقرة:٢٠٤-٢٠٦)، لذلك يُصْبِحُ وَقْعَ أثر هذا على النفوس مُرًّا، لأن مطابقة الأقوال، بالأفعال مُعْوَجَّةً، وَمَنْقوضةً، وَكَفَّةَ الميزان مَائِلَةً، كما قال الله تعالى: {يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ} (الفتح:١١)، فيسألُ سائلٍ، ليقولَ: مَا بالُ نُطْقِ الأفواهِ، بما في القلوب؟ نُجيبُ بحمد الله وعونه تعالى، ما قاله رسول الله ﷺ: (أَلَا وَ إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدِ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)[1].

والشاهدُ على ذلك، بأن الجوارح تأتمر بأوامر القلب، لِتُعْلِنَ عن انعقاد القلب واتفاق ما تنطق به الأفواه وَمَا تكِنُّهُ الصدور، فتستقيم الجوارح باستقامته، وتستجيب لأوامره ونواهيه، لأن القلب ملك الجسد، والجوارح هي الجنود والرعايا، فإذا استقام القلب، استقامت معه الجنود والرعايا، وإذا اعْوَجَّ القلب وفسد، انقلبت الجنود، وفسدت الرعايا، فبالتزان القلب تتزن الجوارح، بل وينصلحُ حالها ومآلها، فمهما أن ظهر على المرء من سَمْتٍ ووقار، وكان هذا السمتُ وهذا الوقارُ مُخَالِفاً لما في القلب، فلابد لواقع القلب أَنْ يَتمرَّدَ على صَاحِبِهِ، وبمرور الوقت، لا بُدَّ أن تنكشف حقيقة صاحبه، إِمَّا بالإحساسِ الصادقِ تُجَاهَ هذا الكذوب، وإما أن يقع هو بلسانه، لِيُخْرِجَ لنا عن مكنونِ قلبِهِ، وهذا ما كشفته الأيام عن واقع "جماعة الإخوان"، لِتُسْدِلَ السِّتَارَ عن أنفسها، وعن مكنون قلوبها، ويظهرُ مَا أَخْفَوْهُ في صدورهم على ما يقرب من أكثر من ٨٥ عَاماً، وإن شاء الله تعالى سيعلمون غداً منقلبهم على قدر ظلمهم، كما

(١) الحديث صحيح: أخرجه أبو داود الطيالسي في المسند برقم (٧٨٨)، ورواه أبو داود برقم: (٤٩٢)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم: (١/ ١٣).

قال الله تعالى: {وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ} (الشعراء:٢٢٧).

ففترة حكم "المعزول" القصيرة كشفت لنا عن أشياء كثيرة، منها على سبيل المثال، لا الحصر:

١. كشفت القناع عن "جماعة الإخوان" بما فيها من خيانةٍ لهذا الوطن، وعدم الاعتراف به، وبشعبه.

٢. كشف القناع عن بعض الملتحين الذين كُنَّا نستمع إليهم في القنوات الفضائية، حيث كنا نعتقد أنهم أصحاب دعوة: وأنهم هم الأصفياء، الأتقياء، الْمُبلِّغينَ عن رسالة رَبِّ الْعَالَمِينَ، أصبحوا يَتَقَوَّلُونَ، بما لا يفعلون، ويظهرون عكس مَا يُخْفُونَ، فصدمة الشعب أفقدتهم ما سمعوه وما شاهدوه في الأيام السابقة، فأطلقوا على جماعة "الإخوان" الكذابون، لما ظهر على الساحة من الكذب، والغش، والخداع.

٣. أظهرت أن هذه الجماعة ومن عاونهم، ومن والاهم من أصحاب اللِّحَي أنهم تُجارُ دِين، وأن أقوالهم لَا تَمُت بِأَيِّ صِلَةٍ بأفعالهم فأدى ذلك إلى فَقْدِ الثقةِ في هؤلاء، وقد رأيتُ بِعْيَنَيْ رَأْسِي هَاتَيْنِ، ممن أطلقوا لحاهم قد أخذوا منها، بل وقاموا بحلقها من أثر ما شاهدوه، وما سمعوه، ممن يتكلَّم البعض منهم بما لا يطابق أفعالهم أقوالهم، كما قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ} (الصف: ٢-٣).

٤. أن تلك الأيام التي شاهدناها في هذه الفترة أفرزت الناس، وأوضحت المعادن، فميزت الطيب من الخبيث، والثمين من الرخيص، فارتفع الطيب، والثمين، وعلا نجمه في الأوساط السياسية وغيرها، وَأَفَلَ نجم الخبيث والرخيص، وَتَوَارَوْ خلف أسوار السجون، فالصالح هو الذي ينفع الناس، وَأما الطالح فيهوى إلى مذبلة التاريخ ليكون أثراً بعد عين. قال تعالى: {فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ

فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ } (الرعد: ١٧).

٥. أفرزت الأيام أيضاً، الوطنيُّ، والمصريُّ الأصيلُ، من الخائن والعميل، وظهر على الساحة وَجُوهٌ خَائِنَة عَفِنَةٌ، أرادت أن تبيعَ الوطن بالرخيص، وظهر أيضاً وجوهٌ لم تُعرف على الساحة إلا أسماءً، ولكن انطبعت بصمتهم الوطنية في قلوب الناس، لأنها وضعت رقابهم على أَكُفِّهِمْ حِمَايَةً، وَذَوْداً من أجل هذا الوطن، فأصبح حُبُّ الشعب المصريِّ حَبّاً جَمْعِيًّا، "للمشير عبد الفتاح السيسي"، كما كان "ناصر" أيقونة هذا الحب في سِتِّينَيَّاتِ القرن الماضي، لأن الله قد وضع القبول في الأرض لهذا الرجل، ولجيشه، فأحبته معظم قلوب الشعبِ المصري وأبغض الله "مرسي، وجماعته"، فأبغضهم معظم قلوب الشعب المصري، بل ولفظهم في فترة حكمهم، قال رسول اللهﷺ: (إنَ اللهَ تَعَالىَ إذَا أَحَبَّ عَبْداً دَعَا جبْرِيلَ فَقَالَ: إنِّى أُحِبُّ فُلَاناً فَأحِبهُ، فَيُحِبُّهُ جبْرِيلُ، ثُمَ يُنَادِي فِي السَماء فَيَقُولُ: إن اللهَ تعالى يُحِب فُلَاناً فأحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاء، ثُم يُوضَعُ لَهُ الْقُبُولُ فِي الأَرْض، وَإذَا أَبْغَضَ عَبْداً دَعَا جبْرِيلُ فَيَقُولُ: إنِّي أُبْغِضُ فُلَاناً فَأبْغِضْهُ، فَيُبْغِضْهُ جبْرِيلُ، ثُم يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاء: إنَ اللهَ يُبْغِضُ فُلَاناً فَأبْغِضُوهُ، فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَ يُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الأَرْض)[1].

فانعكس هذا الحب، وظهر أثره في قلوب المصريين، وَتَجَمَّعَ هذا الشعبُ بعد فراقٍ، وظهر أَثَرُ اللُّحمةِ الوطنيةِ في الملحمات الشعبية، وأصبح الناس يَتَغَنَّوْنَ للجيشِ المصري وقادته، بأجمل المشاعرِ النبيلةِ، لِيُرَدِّدُونَ في كل مناسبةٍ سَارَّةٍ، وفي معظم التجمعات، لتنادي الحناجر بحرارة: (تِسْلَم الْأيادِي، تَسَلمْ يَا جيشْ بِلَادِي) ولم يقتصر الأمر على ذلك الحب فقط، بل أصبح نزول الجماهير إلى الميادين بالكلمة، أو بالإشارة، فبعد نزول الجماهير في ميادين مصر المعمورة في ٢٠١٣/٦/٣٠، وبعدما أصبح "مرسي" تحت الإقامة الجبرية يوم الأربعاء ٢٠١٣/٧/٣،

(١) الحديث صحيح: رواه مسلم عن أبى هريرة - رضى الله عنه -، وجاء في مختصر مسلم برقم: (١٧٧١)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (١٧٠٥).

وبعدما نادى الفريق أول "عبد الفتاح السيسي" جموع الشعب المصري وتفويضه لمحاربة الإرهاب، وكان يوم الأربعاء ٢٤/ ٧/ ٢٠١٣، واستجاب الشعب على الفور وَلَبَّى نداءه في جميع محافظات مصر المحروسة، وكان يوم الجمعة ٢٦/ ٧/ ٢٠١٣. حيث خرجت الجماهير محتشدةً من كل حَدَبٍ وَصَوْبٍ، لِيُعْلِنَ فيه خارطة الطريق لمصر، وإصدار دستورٍ جديدٍ، وإنهاء حكم جماعة الإخوان، وتسليم السلطة للمستشار "عدلي منصور" رئيس المحكمة الدستورية، فَلَبَّى الشعب النداء على الفور، ليصل عدد الجماهير المحتشدة أكثر من ٤٠ مليوناً، مما أدهش العالم أجمع، وأصبح هذا اليوم بمثابة عُرْسٍ جَمِيلٍ، تغنى فيها الجميع، والتحم الجيش مع الشرطة، مع الشعب في تناسقٍ جميلٍ، مرددين بملء حناجرهم: (الجيش، والشرطة، والشعب إيد واحده) وكأنهم ينسجون نشيداً وطنياً، كُتِبَ كلماته، وقام بعزف ألحانه، وقام بغنائه كُلِّ ما هُوَ كَائِنٌ، وَمُحِبٌّ على أرضِ هذهِ المحروسة، ثم غازل "السيسي" أيضا محبيه من جموع الشعب المصري، وَذَكَّرَهُمْ بنزولهم في المرة السابقة في رَمَضَانَ، حيث أخذت المرأة المصرية زوجها وأولادها وتناولوا طعام الإفطار في ساحات الميادين، فَدَلَّ هذا دلالةً واضحةً، أن روح الانتماء لهذا الوطن قد عادت مَرَّةً أُخْرَى، فاستجابت الجماهير للنزول للشارع مرة أخرى للاستفتاء على الدستور الجديد، يومي الثلاثاء، والأربعاء ١٤،١٥/ ١/ ٢٠١٤م وكان هذان اليومان بمثابة احتفالٍ شَعْبِيٍّ لجموعٍ غفيرةٍ من أبناء الشعبِ المصري، بلغ عدد من صَوَّتَ بنعم للدستور ما يقرب من ٢٠ مليوناً، أي: ضعف العدد الذي صوت بنعم في دستور ٢٠١٣، فاتضحت ملامح الطريق لمصر، وبدأ الجيش الثاني على الفور بقيادة الأسد الذي يذود عن عرينه اللواء "أحمد وصفي" قائد الجيش الثاني الميداني بمحاربة الإرهاب في سيناء، وبمساندة رجال الشرطة بقيادة وزير الداخلية اللواء "محمد إبراهيم" في استئصال شأفة الإرهاب، واجتثاثه من جذوره، لِيُؤَكِّدَا لِشَعْبِ مِصْرَ أن الوطن مثل الشجرة الوارفة الظلال، يستظل بظلها الجميع، لكن الانتماء إليها، والدفاع عن جذورها وأوراقها، وثمارها، وظلها، لَا يُحْسِنُهُ إلا المخلصونِ، والوطنيونَ لذا وجب علينا جميعاً أن نرويها بدمائنا. وبالرغم من تفاقم المواقف في الأيام العجافِ، من

اغتيالات، وتفجيرات، وتدميرات لكل المؤسسات، إلا أَنَ مَا يثيرُ الدَّهْشَةَ و الاستغراب بهذا الشعب أنهم عزفوا على أوتار الفداء للوطن، فالتحم الجميع ليقف يداً واحدةً، جنباً إلى جنب، ضد الجماعات الإرهابية، فالتف الشعب، والجيش، والشرطة، ووقفوا جميعاً ضد هؤلاء، وأصبح هذا الحُبُّ الْجَمْعِيُّ، والذي لم نُشَاهِدْهُ إلا في عهد "ناصر"، ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط، بل وصل الأمر إلى أن الجماهير اعتادت على أصوات المتفجرات، فبدلاً من أن الناس يسمعون أصواتها، وَدَوِيُّهَا، فَيُهَرْولُونَ منها، أصبح الناسُ الآن يسمعون أصواتها، وَدَوِيُّهَا، فَيُهَرْولُونَ إليها، يحتضنونها بصدورهم، مُهَلِلِينَ بِملِء حناجرهم، وَمُرَدِّدِينَ: (يَا ابُو دَبُورَهْ، وَنِسْرِ وَكَابْ، إِحْنَا مَعَاكْ ضِد الْإِرْهَابْ) لينعكس هذا ويظهر آثاره في قلوب المصريين، ويجتمع هذا الشعب بعد فراق، وتظهر آثار اللحمة الوطنية، وكأنها ملحمة شعبية، فَيُصْبِحَ النَّاسُ، وَيُمْسُونَ يَتَغَنَّوْنَ للجيش المصري وقادته، بأجمل المشاعر النبيلة، ليرددون في كل مناسبة سَارَة، وفي كل تجمع من التجمعات، لِتُنَادِي الحناجر بحرارة: (تَسْلَم الأَيادِي، تَسلمْ يَا جِيشْ بِلَادِي) لذا فأقول: الحمد لله الذي كشف الله لنا القناع عن وجه هؤلاء سريعاً، وأقول لمن نَدَبُوا حظهم، وَيَئِسُوا من خلال فترة حكم المعزول: احمدوا ربكم لأنه قد أظهر ما في جُعْبَةِ هؤلاء في وقتٍ قصير، ولو طالت فترة حكمهم أكثر من ذلك، لضاع الوطن من بين أَيْدِينَا، وعجزنا عن استرجاعه ولو بالدم، أو بندب الحظ، حيث لا ينفع الندم، فَرُبَّ ضَارَّةٍ نَافِعَةٌ، فالشيء الذي كرهناه وقت حكم المعزول، أصبح الآن خيراً لنا، ومن خيرته التفاف جميع طوائف الشعب جنباً إلى جنب لِيُصْبِحَ أعداء الأمس، أصدقاء اليوم ضد جماعة الإرهاب، قال الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦).

عَدَاءُ مُرْسِي، وَجَمَاعَتَهُ لِكُلِّ مُؤَسَّسَاتِ الدَّوْلَةِ

انشغل ((مرسي وجماعته» بالاستحواذ على كل مؤسسات الدولة، ولم ينشغل أبداً بتنميتها الاقتصادية، مما أدى إلى ازدياد الحناجر الغاضبة مُرَدِّدَةً بالرحيل، وحاول

جاهداً من خلال فترة حكمه إضعاف كل مؤسسات الدولة، وإنها كها، إما بالإقصاء، وإما بالأخونة، وإما بفرض السيطرة على تلك المؤسسة حتى ينهك قوتها وذلك بتمرير القوانين علي مجلس الشورى وتفعيلها للأغراض التى يطلبها، أو يهواها هو وجماعته، لتحقيق حلم إقامة الخلافة الإسلامية كما يزعمون، ولأن الأحلام كانت أكبر من طموحاتهم أو توقعاتهم، فأودتهم إلى حيث يستحقون، فضاعت الأحلام سُدًى، وذهبوا إلى خلف الأسوار، كما قال المثل الدارج: (فَلَا طَالَ عِنَبُ اليَمَنِ، وَلَا بَلَحِ الشَّام) فهذه إرادة الله يؤتى ملكه لمن يستحق، وينزع ملكه عن مالا يستحق، وَيَمْهِلُ أيضاً مالا يستحق، كما قال تعالى: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران: ٢٦) فمن أجل تحقيق رغبته فى تلك الطموحات، قام بإظهار العداء والتعدى على كُلٍّ من:

مُؤَسَّسَةُ التَّعْلِيمْ

الرئيس (مرسى) كان مهتماً بالأجندة الإقليمية أكثر من اهتمامه بمصالح مصر، كما رآها الجيش المصرى، فخلال زيارته إلي السودان فى إبريل ٢٠١٣، والذى تحكمه حكومة إسلامية تابعة لجماعة الإخوان أبدى المعزول مرونة حول مستقبل (حلايب وشلاتين) وأفاد مساعد الرئيس السودانى (موسى محمد أحمد) أن الرئيس (محمد مرسى) وعد الرئيس السودانى (عمر البشير) بإعادة مثلث حلايب وشلاتين إلى وضع ما قبل ١٩٩٥، وبعدعودة (المعزول) أرسل (السيسى) قائد الأركان للخرطوم، ليوضح للسودانيين وضوح الشمس أن القوات المسلحة المصرية لن تتنازل عن المنطقة، وفقاً لما قاله مسئول فى وزارة الدفاع، فالحدود المرسومة بين مصر والسودان والتى حددتها إتفاقية الحكم الثنائى بين مصر وبريطانيا عام ١٨٩٩ ضمنت المناطق من دائرة عرض ٢٢ شمالاً لمصر وعليها يقع مثلث حلايب داخل الحدود السياسية المصرية،

وقد أقيمت الإنتخابات البرلمانية المصرية فى نوفمبر ٢٠١١ وشملت مثلث حلايب، ونقلت صناديق الإنتخابات إلى الغردقةِ بطائرةٍ مروحيةٍ عسكريةٍ مصريةٍ هناك، وَمِمَّا لَهُ صِلَةً بذلك قام المسئولون من جماعة الإخوان على مناهج التعليم بحذف منطقة (حلايب وشلاتين) من منهج مادة الجغرافيا للثانوية العامة والذى أقرته وزارة التربية والتعليم لأول مرة (فى عهد الإخوان) مثلث حلايب وشلاتين فى درس عن حدود مصر السياسية، رغم كونها شكلت محور للصراع الحدودى بين مصر والسودان، وتضمن الباب الثانى من الكتاب شرحاً للموقعين الفلكى والجغرافى لمصر، وأثر هذا الموقع من الناحية البشرية والحضارية، وخصص الكتاب درساً عن حدود مصر السياسية فى الصفحة ٧٦ جاء فيه: (أنه بحكم الموقع الجغرافى لمصر فى وسط العالم العربى، فإن حدود مصر مع دول عربية شقيقة، وقد نجحت مصر على مَرِّ العصور، فى المحافظة على كيانها المستقل، وأبعادها الجغرافية متمثلةً في حدودها السياسية التي ظلت مستقرة دون تغيير، وحدود مصر السياسية تحكمها اتفاقيات دولية، وتستند لمواثيق تاريخية وحجج تحميها) أما كتاب الجغرافيا للثانوية العامة في عهد "جماعة الإخوان" قد أخرج "حلايب وشلاتين" عن حدود مصر، وأظهر مثلث حلايب وشلاتين في الخرائط الموجودة بالكتاب على هيئة نقاطٍ صَماءْ[1].

وقامت أجهزة أمنية رفيعة المستوى تتولى مسئولية مراجعة كل الخرائط المدرسية التي يتم تدريسها للطلبة في مراحِل التعليم الأساسي المختلفة خوفاً من المغالطات التي يتم ترويجها، كذلك الخرائط التي نشرتها صفحة "حزب الحرية والعدالة" الذراع السياسية لجماعة الإخوان على موقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك" وما أعقبها من تصريحاتٍ لقياداتٍ بالجماعة تؤكد نيتهم في نشر تلك الخرائط المغلوطة، وقد أُجريت عمليات تفتيش شاملة من خلال جهاز الأمن القومي لقطاع الكتب بوزارة

(١) جريدة اليوم السابع -الأربعاء ١٩ ذي القعدة ١٤٣٤هـ ٢٥ سبتمبر ٢٠١٣م- العدد (٨٤٨)- ص: (١).

التربية والتعليم، المسئول عن طباعة ملايين الكتب المدرسية في مراحل التعليم المختلفة من الابتدائية حتى المراحل الثانوية، وتحديداً كتب مواد التاريخ والجغرافيا، أو الدراسات الاجتماعية، وذلك في إطار التأكد من كشف المغالطات التاريخية التي تم الترويج لها مُؤَخَّراً من خلال "جماعة الإخوان" خاصة أن وزارة التربية والتعليم خلال الفترة الراهنة يسيطر عليها وزير ينتمي للجماعة، ومنذ توليه ذلك المنصب دفع بعدد كبير من القيادات الإخوانية إلى ديوان عام الوزارة لدعمه في مخطط أخونة التعليم الذي ترسمه الجماعة بعناية، وأمدت القوات المسلحة كل الجهات المسئولة في الدولة بخرائط تفصيلية بحدود مصر الجنوبية وعمقها الاستراتيجي ومعلومات عن مدى أهميتها المباشرة على الأمن القومي المصري خلال المرحلة الراهنة مع توضيح تفصيلي لكل القرى والمناطق التي تشملها وتاريخها ودور الجيش في تعميرها على مدار السنوات الطويلة الماضية، موضحين أن من المقرر أن يتم تزويد كل المدارس والجامعات والمكتبات العامة والوزارات بخريطة تفصيلية تحدد الأبعاد الاستراتيجية المختلفة لمنطقتي حلايب وشلاتين، من أجل التأكد على مصرية تلك المدن[1].

ومما يؤكد ما نحن بصدده أن وزارة التربية والتعليم تُوقف طباعة كتاب علم النفس، المقرر على الصف الثالث الثانوي، حيث احتوى غلاف الكتاب الخلفي إشارة رابعة العدوية الصفراء ذات الأصابع السوداء، والتي يستخدمها الإخوان، وأنصار الرئيس المعزول في مظاهراتهم، فقرر وزير التعليم، الدكتور "محمود أبو النصر"، إيقاف طبع الكتاب، وأحال مستشار مادة علم النفس "محمد صالح الإمام" للتحقيق بالإضافة إلى تشكيل لجنة شكلها الوزير لمراجعة كتب العام الدراسي الجديد بعد شكاوي متهددة من أخونتها[2].

(١) جريدة اليوم السابع الخميس -غرة جمادي الآخر ١٤٣٤هـ ١١ إبريل ٢٠١٣م- العدد(٦٨١) -ص: (٦).

(٢) جريدة اليوم السابع -الثلاثاء ١١ ذي القعدة ١٤٣٤هـ -١٧ سبتمبر ٢٠١٣م- العدد (٨٤٠)- ص: (١).

مُؤَسَّسَةُ الْأَزْهَرِ الشَّرِيفْ:

الأزهر الشريف يمتاز دائما بالوسطية، ويبتعد عن المغالاة والتفريط، والتصعيد الآن يوضح فشل مكتب الإرشاد العالمي للإخوان، لذا لجئوا إلى التصعيد في جامعة الأزهر، لأنها على المستوى العالمي يوجد بها ١١٢ جالية على مستوى العالم، فأرادوا أن يَرَوْا مصر للعالم من خلال هذه المظاهرات، لأنهم هُزموا هزيمةً ساحقةً في الشارع بعد ١٤ أغسطس ٢٠١٣، وبعد فض "دلجا وكرداسة" فبدأوا ينظرون إلى جامعة الأزهر حتى يظهروا للعالم أن مصر في حالة شلل تام بسبب تلك المظاهرات يقول الأستاذ "محمد الشريف" القيادي المنشق عن "جماعة الإخوان": إن ما يجري داخل جامعة الأزهر من الحركات الطلابية الموالية لتنظيم الإخوان ليس وليد اللحظة، بل تمتد جذوره إلى أيام مؤسس الجماعة " حسن البنا" موضحاً أنه كان أحد أذرع الجماعة لتنفيذ مشروع "أخونة الأزهر" إيمانا من الجماعة، بأن الأزهر هو المنارة التي سينطلق منها فكر الإخوان إلى سائر دول العالم، إلا أن طبيعة الأزهر لم تكن تتقبل الفكر الإخواني، وظل ثابتا على موقفه رَافِضاً الأخونة، حتى طرحت فكرة إنشاء حركات طلابية تابعة للإخوان داخل جامعة الأزهر في أواخر السبعينيات، تحت مسمى" إخوان الأزهر" لمواجهة الحركات الشيوعية التي انتشرت في ذلك الوقت، وتطورت الأمور إلى أن دخلت الجماعة في صدام مع الدولة والنظام، فلجأت الحركات الإخوانية إلى السكون بعيداً عن الأمن واقتصر دورها على تنمية الموارد البشرية للجماعة، ويضيف "الشريف": إن كل الحركات الموجودة على الساحة الأزهرية الآن منبثقة من حركة "جيل النصر المنشود" الذي كانت ومازالت المحرك الأول لأعمال العنف داخل الجماعة، فالخطة التي رسمها قيادات الإخوان داخل اجتماعات التنظيم الدولي تقوم على زعزعة الأمن الداخلي، وإثارة الفوضى بالجامعات خصوصاً "الأزهر" التي يوجد بها أكبر تكتل إخواني، وحركة "جيل

النصر المنشود" كانت بمثابة الذراع اليمنى "لخيرت الشاطر" حيث اقتصرت أنشطتها قبل الثورة على تنظيم الرحلات التي من خلالها يم تجنيد مزيد من الطلبة ليصبحوا إخوانا، وكذلك تنظيم المعارض الخاصة بمستلزمات الدراسة من كتب وغيرها بأموال الجماعة، وكان يتزعم هذه الحركة مجموعة من أعضاء هيئة التدريس الإخوان، أما «حركة الفراشة»، فهي حركة منبثقة عن جيل النصر المنشود، وجرى اختيار مجموعة من طلبة الإخوان من أصحاب اللياقة البدنية العالية لتأسيس هذه الحركة وهى مكونة من ١٠٠ طالب إخواني، ومهمتهم كتابة العبارات المُسيئة للقوات المسلحة على الجدران داخل وخارج الجامعة، ورسم شعارات رابعة في كل مكان، وتنظيم وقفات احتجاجية، وترديد الشعارات والهتافات، على أن يلوذوا بالفرار قبل أن تصل الشرطة للقبض عليهم، ولذلك أُطلق عليهم اسم الفراشة للياقتهم البدنية ورشاقتهم عند الفرار حتى لا يتم القبض عليهم، أما حركة «أزهريون صامدون»، فعلى الرغم من قوة وضخامة عدد طلبة الإخوان داخل الأزهر، إلا أنهم غير قادرين على كسر الشرطة، وما كان منهم إلا الاستعانة بمجموعة من العناصر الإرهابية داخل المدينة الجامعية والتي يُسيطر عليها طلاب الإخوان، والاستفادة من هذه العناصر القادمة من شمال سيناء، وبعضها يحمل جنسيات أجنبية للقيام بأعمال عنف وتخريب، وبالتالي جرى تأسيس حركة "أزهريون صامدون" بعضوية مجموعة من العناصر الأجنبية من جنسيات يمنية، وسعودية، وبعض البلدان الأوربية، تم استئجارهم لمعاونة الإخوان في أعمال العنف داخل الجامعة، وهم من يستخدمون السلاح في مواجهاتهم مع الأمن على مختلف أنواعه، بدءاً من الخرطوش، والسلاح الأبيض، وهو ما اتضح خلال مظاهرات الإخوان في الفترة الأخيرة حيث تنتشر تلك العناصر بين الطلاب، وبعد سقوط مصابين وقتلى، يختفون تماماً من المظاهرات، أما (حركة الغضب الساطع)، فبعد القبض على فتيات الإسكندرية المنتميات إلى حركة "٧ الصبح" كان لابد من

الاستفادة من غضب فتيات الأزهر، إلا أن الحكم الذي صدر ضد فتيات الإسكندرية دفع القيادات الإخوانية إلى تغير مسمى الحركة داخل الأزهر للتنوع في مسميات الحركات مما يساهم في تضخيم فعاليات الإخوان حيث تم تدشين حركة مختلطة بين البنين والبنات المنتمين إلى تنظيم الإخوان، وهى حركة "الغضب الساطع"، على أن يكون دور الفتيات هو استفزاز قوات الأمن لتكون إشارة الانطلاق لخروج طلبة الإخوان في معارك مع الأمن مستخدمين زجاجات المولوتوف، إضافة إلى دورهم الاستطلاعي وترديد الهتافات داخل المدرجات الدراسية و الاعتداء على أعضاء هيئة التدريس.

لغز المدينة الجامعية بالأزهر: فهي عالم آخر يسيطر عليه تنظيم الإخوان، فلا يسمح للطلبة من غير الإخوان حضور الاجتماعات التحضيرية للمظاهرات باستثناء "شباب ٦ إبريل"، أما عن زجاجات المولوتوف والأسلحة البيضاء وطلقات الخرطوش التى يستخدمها الإخوان خلال مظاهراتهم (يؤكد عبد المنعم. م) عضو (حركة جيل النصر النشود سابقاً، أن هذه الأسلحة تُخَزنُ فى المدينة الجامعية داخل غرف تابعة لشباب الإخوان أو خلف معامل كلية العلوم، حيث يتم تخزين البنزين المخصص لصنع زجاجات المولوتوف هناك، كما يتم إحضار الأعلام المرسوم عليها شعارات (رابعة) مع الإخوات ويجرى إخفاؤها تحت النقاب، أما طلقات الخرطوش فتأتي عن طريق كلية الهندسة من خلال السور الذي حطمه طلاب الجماعة، ويكون بحوزة بعض المسئولين داخل الجامعة.

قيادات إخوانية وراء أحداث العنف:

وهذه الأسماء ممن يُطلق عليهم القيادات المكتبية، ويكتفون بتوزيع التكليفات على قائدي مسيرات طلاب الجماعة، وأبرزهم الدكتور "عصام أبو النصر" أستاذ

ورئيس قسم المحاسبة بجامعة الأزهر، والدكتور "حسين شحاته" مسئول المعاملات المالية بالجامعة، والدكتور "مرسي لاشين" الأستاذ بكلية التجارة، كما أن هناك قيادات ميدانية يتم رصدها قبل اندلاع أي أحداث بدقائق وهم "محمود الجارحي، وصفوت حسب الله، وناصر مرجان" والملاحظ أن عقب انصراف هؤلاء مباشرةً تندلع أحداث العنف، حيث يحرضون الطلبة على المظاهرات ومواجهة الأمن، ومن جانب آخر تقوم زوجة نائب مرشد الإخوان "خيرت الشاطر" مع مجموعة من الأخوات وبعض القيادات الطلابية على مستوى جامعات "عين شمس، والقاهرة، وجامعة الأزهر" داخل واحدة من الجمعيات الخيرية المملوكة لرجل الأعمال "حسن مالك" في مدينة نصر قبل أيام من اندلاع أحداث العنف بجامعة الأزهر، ويقول مصدر مقرب من عائلة "الشاطر" أن زوجة نائب المرشد تنفق ملايين الجنيهات منذ القبض على زوجها[1].

مُؤَسَّسَةُ الإِعْلَامْ:

استهدف "مرسي،وجماعته" الصحف، والقنوات الفضائية المعارضة، حيث قام بالتلميح بعد أحداث الاتحادية ورأى الهجوم الصارخ عليه، وعلى جماعته، فقال في تصريحاته: أنه بصدد اتخاذ إجراءات ضد بعض الصحف ومحطات التلفزيون والمعارضين بزعم الدور الذي تلعبه في التحريض على العنف، وبالرغم من التصريحات، فإن الصحف، والقنوات الفضائية المعارضة، لم يرهبهم مرسي، وجماعته، ولم يثنيهم عن التصدى له بالكلمة، وبكل قوة عن دورهم الفعال في انتقاده وبشده عن ما يفعلوه من قتل المتظاهرين، وسحلهم والتعدي عليهم بالضرب والإهانة، والسحل وغير ذلك من أمور التصدى، فقاموا بوصف تلك المشاهد في الجرائد، بالصورة والكلمة وصفاً دقيقاً، لا مواربة فيها ولا تسويف، ليعطوا للقارئ الصورة الحقيقة عن تلك المشاهد، وكأن القارئ يراها رأى عين، وهكذا لقنوات الفضائية والتي قامت بدور فعالٍ وذلك

(١) جريدة الصباح -الاثنين ١٣ صفر ١٤٣٥هـ- ١٦ ديسمبر ٢٠١٣م-السنة الثانية- العدد (٢٥) - ص: ٥

بانتقاد "مرسي، وجماعته" إنتقاداً حقيقياً، لَا لَبْسَ فيهِ وَلَا غُمُوضَ، فَتَصَدَتْ لقرارته وتصريحاته عندما رأته هو وجماعته يريدون أن يأكلون ويبتلعون هذا الشعب المصري الأبي، وهؤلاء الإعلاميين لم يُرهبهم محصرة مدينة الإنتاج الإعلامي، والذي تزعمها آنذاك أنصار (حازمون)، لأنهم وطنيون حتى النخاع بدءاً من قناة الفراعين، والذي أغلقها القضاة المنتمون لمرسي ٤٥ يوماً بسبب هجوم الدكتور "توفيق عكاشه" لقرارات مرسي المستبدة، وتعرية مرسي، وكشف خيانته بوصفه بالعميل وكشف المخطط الصهيو أمريكي أمام شاشته، مما جعل جماعة الإخوان يخططون لاغتياله ولكن الله سلم، وسار على نهجه قنوات دريم، والقاهرة والناس، و القاهرة اليوم، وقناة "سي. بي. سي" وغيرهم من القنوات الخاصة والتي لم تتوانى في كشف مخطط هذا العميل الخائن هو وجماعته ومحاولة تركيع الشعب المصري لإرادتهم، ولكن الله قَيَّدَ لهذا الشعب هؤلاء المخلصين لمصر وجيشها، وشرطتها، وشعبها، ونقول بملء أفواهنا: جزاكم الله خيراً على ما قدمتموه بالتحليل وبالكلمة، لأن أعظم الجهاد هو جهاد الكلمة، كما قال رسول اللهﷺ: (أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ)[1].

مُؤَسَّسَةُ الْقَضَاءْ:

لقد حاول "مرسي،وجماعته" كسر شوكة القضاة لمحاولة إجبارهم على التحيز ناحيته، ولكنه وبغبائه السياسي لم يَعِ جيداً أن تلك المؤسسة تضع نصب أَعْيُنِها قول الحق تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾ (الرحمن: ٩) ليطبقوه قولاً وعملاً، ولم يَعِ أيضاً أن هؤلاء هم الذين دافعو عنه، وعن جماعته في العهود السابقة فقضاةُ مِصْرَ، وقد أثبتت الأيام أن غالبيتهم عَادلون، لأنهم فقهوا قول رسول اللهﷺ: (إِنَ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَ كِلْتا يَدَيْهِ يَمِينٌ

(١) الحديث صحيح: رواه أبو سعيد الخدرى - رضي الله عنه - وجاء فى تخريج السنة برقم: (١٠٩٦)، ومشكاة المصابيح برقم: (٣٦٣٣)، والسلسلة الصحيحة برقم: (١/ ٨٠٦).

الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَاوَلُّوا)[1].

فالإقساطُ، والقسطُ، والْمقْسِطينَ، وَالْمُقْسِطُونَ، هم العادلونَ، ويقال: قَسَطَ، إِقْسَاطًا، فهو مُقْسِط إذا عدل في حكمه، كما قال تعالى: {وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ} [المائدة:٤٢]، وَيُقَالُ: قَسَطَ، يَقْسِطُ، بفتح الياء، وكسر السين، وَقَسُوطًا، وقَسْطًا، فهو قَاسِطٌ، وهم قَاسِطُونَ: إذَا جاروا في حكمهم، كما قال تعالى: {وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا} [الجن:١٥] فمن أجل ذلك حاولوا قدر استطاعتهم أن يكونوا عادلين في حكمهم، رغم إرهاب الإرهابيين، وإرعابهم، وتهديدهم بقتلهم، إلا أنهم تصدوا لهذا كله، وحكموا بما يُرْضِي ضمائرهم، ولم يجد مرسي وجماعته من ذلك كله إلا أنه يقوم بقص أظافرهم، فقد كشفت صحيفة (الجريدة) الكويتية عن التسجيل الصوتي لحوارها مع «مهدي عاكف» المرشد السابق لجماعة الإخوان والذي قال فيه: (إن مجلس النواب سوف يقوم بعزل ٣٥٠٠ مستشار وقاضٍ، متسائلاً كيف يتم عزل النائب العام الذي عينه الرئيس؟.!)، وجاء كشف الجريدة للتسجيل بعد نفي «عاكف» ما نشرته الصحيفة الكويتية على لسانه في حوارها معه، على أنه أكد أن المطالبة بعزل النائب العام (عيب) وعندما تم حل مجلس الشعب الذي تم انتخابه عبر ٣٢ مليون مواطن، فذلك دليل على أن القضاء مريض) وقال: (كل القضاة خايفين لما يجي مجلس النواب الجديد هيصدر قرار بعزل ٣٥٠٠ مستشار، وقاض) وأضافت الجريدة أن تصريحات «عاكف» جاءت متواكبة مع إعداد اللجنة القانونية للحزب الحاكم (الحرية والعدالة) مشروع قانون للسلطة القضائية يتضمن خفض سن تقاعد القضاة، ما سيؤدي إلى خروج عدد كبير منهم، مما يُؤكد صدق تصريحات «عاكف» للجريدة، ومن أجل ذلك قام الأسد لذي دافع عن عرينه

(١) الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما -رواه البخاري (٢٦٩١)، ومسلم (١٧٩٩)، وانظر في مسند الإمام أحمد برقم: (٣/ ١٥٧).

المستشار «أحمد الزند» ومن معه من القضاة بالتصدي، ودفاعهم دفاعاً مستميتًا من أجل عدم مرور هذا القانون وطبخه في مجلس الشورى، والذي كان يستحوذ على أغلبيته (حزب الحرية والعدالة)، ومن والوهم، ولكن إرادة الله عاجلت بقيام ثورة ٣٠ يونيو ٢١٠٣ وأزاحت «مرسى وحزبه» عن حكم مصر، ومن ناحية أخرى ليكمل مرسى هيمنته على السلطة القضائية قام بإصدار ثلاثة مواد في دستور الإخوان ٢٠١٣، وهما (١٧٦، ١٧٧، ١٧٨) حيث تقلل من اختصاص المحكمة الدستورية خصوصًا المادة (١٧٦) والتي تنص على: (تشكيل المحكمة الدستورية العليا من رئيس، وعشرة أعضاء، ويبين القانون الجهات، والهيئات القضائية، أو غيرها التي ترشحهم، وطريقة تعيينهم، والشروط الواجب توافرها فيهم، ويصدر بتعيينهم قرار من رئيس الجمهوريةو ثم يتم تقليص عدد أعضاء المحكمة الدستورية العليا من ١٨ إلى ١١ عضواً ويعينهم رئيس الجمهورية)، وهو ما يعني التعدي على الجمعية العمومية للمحكمة، ويقضى على استقلالية السلطة القضائية، وتم طبخ هذه المادة بالذات من أجل المرأة الحديدية المستشارة «تهاني انجبالي» التي لم تخضع لتهديدات (مرسى، وجماعته) من أجل استقلال القضاء، حتى قضى الله أمرًا كان مفعولاً، ألا وهو إزاحة هؤلاء عن حكم مصر، وفي سؤال الدكتور «سعد الدين إبراهيم» عن ما أصدره «عصام الحداد» مساعد رئيس الجمهورية للشئون الخارجية، بيانًا إعلاميًا، اعتبره الكثيرون إهانةً للمحكمة الدستورية العليا: هل تعتقد أن الإخوان يتعمدون التشهير بالمحكمة، والتشكيك؟ فَيُجِيبُ قَائِلاً: (ليس سِرًّا أن هناك عَدَاءً كبيرًا بين (الإخوان)، والمحكمة الدستورية، وهذا يعود إلى عدم قدرة الإخوان على اختراق هذه المؤسسة حتى الآن، على الرغم من محاولتهم المستميتة، كما إن الإخوان يحملون عداءً للداخلية، والمخابرات، وعداؤهم للدستورية له علاقة، لأنهم لاَ يَعْتَدُّونَ بالقوانين الوضعية، وإن كانوا يُحاولون قبولها على مَضَضٍ، إضافةً إلى أن المحكمة الدستورية في كل

قراراتها كانت واضحة في الإشارة إلى أن تنظيم الإخوان كيان عليه علامة استفهام، فهو ليس مسجلاً، لا كجمعية، ولا كحزب... إلخ، وأما السبب الأهم، فهو أنهم لا ينسون الإساءة، وانتقاميون، لأنهم اعتبروا أَنَّ حَلَّ المحكمة الدستورية لمجلس الشعب الذي كانوا يمثلون فيه الأغلبية (إهانة كُبرى) يستحق في مقابلها (الثأرُ، وَأَنْ تُغْسَلُ بالدِم)، و«جمال البنا» نفسه قال لي حرفيًا: إن الإخوان مثل أسرة (البوربون) الملكية في فرنسا، لاَ يَنْسُونَ شَيْئًا، وَلاَ يَتَعَلَّمُونَ شَيْئًا[1].

مُؤَسَّسَةُ الْجَيْشِ:

حاول "مرسى، وجماعته" أن يَفِتَّ عَضُدَهُ في الجيش، بالاستمالة بعباراتٍ منمقةٍ رنانة، ولكنهم فشلوا في ذلك، وحاولوا اختراق المخابرات الحربية أيضًا، وفشلوا أيضًا، لأنهم لم يَعُوا جيدًا أن مؤسسة الجيش وقادته عَصِيَّةٌ على الخيانة، فإذا ما حاول الإخوان استمالة أي مؤسسة، وتؤدي هذه الاستمالة إلى الفشل وعدم الاستجابة، قاموا بعد ذلك بالتآمر عليها، والتشهير بها والتعدي عليها، لأنهم يعلمون جيدًا أن المؤسسة الوحيدة التي تكسر أنوفهم، وتجعلهم داخل أسوار السجون لتكسر إرادتهم هي مؤسسة الجيش حيث أكد الفريق أول "عبد الفتاح السيسي" في كلمته التي وجهها يوم الخميس ٢٦/ ١٢/ ٢٠١٣ في الاحتفال بتخريج الدفعة (١٤٨) من معهد ضباط الصف المعلمين قائلاً: (إن مصر ستقف صامدةً في مواجهة الإرهاب، وأن ما يحدث لن يهز مصر وشعبها، وأن من يمس المصريين لن نتركه على وجه الأرض، وأن الشعب المصري لا يخاف أبداً ما دام جيشه موجودًا) وأضاف قائلاً: (لا تدعوا هذه الأحداث الإرهابية الغاشمة تؤثر فيكم، أو في روحكم المعنوية، فنحن على الحق المبين... أردتم الحرية والاستقرار، وهذا لن يأتي بسهولة، ولابد لكم من الثقة في

(١) الفيس بوك - صفحة الموجز -د/ سعد الدين إبراهيم، في حواره لجريدة الوطن.

الله، وفي أنفسكم، وفي جيشكم، والشرطة المدنية، وبأننا قادرون على العبور بمصر نحو الاستقرار والأمن والتقدم) هذا هو لسان حال جيش مصر، وهذه هي وطنيته، لأنه ملك للشعب، لا لغيره، وولاؤه للشعب، وليس لأيِّ حاكِم، أيًّا كان، فعندما قامت ثورة ٢٥/ ١/ ٢٠١١ ورأى الحرس الجمهوري الجماهير الغفيرة أمام قصر الاتحادية، تخيل "مبارك" ساعتها أن الحرس الجمهوري سيفض هذه الجموع الغفيرة، وأنه قادرٌعلى ذلك، لكنه عندما نظر من نافذة القصر لهذه الجماهير الحاشدة، وفوجئ بهذه الجموع الغفيرة، وأنه قادُر على ذلك، لكنه عندما نظر من نافذة القصر لهذه الجماهير الحاشدة، فوجئ بأن مدافع الحرس الجمهوري، بدلاً من أن تَصُوَّبَ مدافعها نحو الجماهير، وجدها تُصَوَّبُ نحو شبابيك القصر، ساعتها فهم "مبارك" أن الحرس مع الشعب، بل تحت أمر، وإرادة الشعبِ المصريِّ، فهذا ديدن الجيش المصري دائمًا، وهذا هو إيمانه العميق، لأنه يعلم جيِّدا، أنه من جذور هذا الشعب، ومن صُلْبِ كل مواطن مصريٍّ، آباء، وأمهات، وأعمام، وأخوال، وفيهم الأبناء، والأخوات. وقد حاول "مرسى" مرارًا وتكرارًا في خطاباته، أن يستقطب قادة الجيش ناحيته، ليكون الولاء له، ولجماعته، وظن أن بتمجيده للجيش في معظم خطاباته، قد يجعل هؤلاء القادة يميلون ناحيته، وناحية جماعته، فينحازون إليه بالكلية، لكنه فشل فشلاً ذريعًا في الاختيار، لأنه هو وجماعته لم يعهدوا هذه الوطنية، ولم يعرفونها، ولم يمارسونها، لأنهم كانوا بعيدون عن ذلك المجال، بل حُرِمُوا منه بالكلية، لأن الجيش لا يدخله إلا الوطنيون، أما الخائنون، فقد حُرِمُوا من الخدمة فيه، والجميع يعلم أن كل من انتسب لجماعة الإخوان ودخل في معيتهم، لا يخدم في هذه المؤسسة الوطنية، ولذلك حرص "مرسى" على أن يُنهك قوى هذه المؤسسة، بكل مَا أُوتِيَ من قُوَّةٍ، فأصدر العفو الرئاسي عن تجار المخدرات، والسلاح، واستدعى كتائب (عز الدين القسام)

من حماس، حيث دخلوا مصر بأرقام قومية مزورة، بعد سرقة ماكينات طباعة الرقم القومي المصري، والتي خرجت من مصر إلى غزة عن طريق الأنفاق في أحداث ٢٥ يناير، واستدعى بعض المنتسبين في تنظيم القاعدة بقيادة أيمن "الظواهري"، وبعض شباب الإخوان الذين دُرِّبَوا في (حماس)، والمتطرفين من السلفية الجهادية، ولكن الجيش المصري سحقهم جميعًا وجعلهم يستغيثون بأعوانهم في العراق، وأصبح هذا الجيُش الأَبِيُّ يتسيد المؤقف الآن في سيناء، لأن هذا ديدنه، بأن يعمل في صمت كالجراح الذي يلتف حول البؤرة السرطانية ليجتثها من جذورها خَوْفًا على حياة المريض، كذلك كان الجيش المصري يَجْتَثُّ بُؤَرَ الإرهاب في سيناء خوفًا على حياة القبائل التي تسكن في سيناء ورفح وَحِرْصًا على سلامة المقيمين هناك، فولاء الجيش لشعبه، بدأ في القضاء على الإرهابيين بطريقة مشرط الجراح، وليس كما كان يَدَّعُوَنَ الهجاسونَ، الذين ينعقون في ميدان (رابعة) بما لا يعلمون، أنهم سيسحقون الجيش في سيناء.

مُؤَسَّسَةُ الشُّرْطَة:

مؤسسة الشرطة لاَ تَقِلُّ وطنيةً عن مؤسسةِ الجيش، فكل يوم يمر علينا، إلا وللشرطة شهيدٍ يسيل دَمَهُ فداءً لهذا الشعب، ولهذا الوطن، وسبب عداء مرسى، وجماعته أن هذه المؤسسة استجابت لزئير الحناجر، وزمجرة الجماهير، وصراخ الضحايا، وتألمات الأمهات المكلومات، ولما رأت قادة الشرطة، وضباطها، وأفرادها هذا الظلم، وهذا التعدي على الجماهير المسالمة استجابت طَائِعَةً، مُلَبِّيَةً لنداء هذا الشعب، مُعَبِّرَةً، صَارِخَةً هي الأخرى أَنَى مِلْكٌ للشعبِ، وأما السبب الثاني، هو أن قادة الشرطة قد رفضوا الانصياع "لمرسى" بأخونة الشرطة، والآن سنتناول تفاصيل اختراق "مرسى، وجماعته" لوزارة الداخلية، وتجنيد أكثر من ٢٥٤ قيادة، إضافة إلى ٦٠٠ أمين شرطة،

ورفض اللواء "محمد إبراهيم يوسف" وزير الداخلية في حكومة "الجنزوري" الانتقالية رَفْضًا بَاتًّا، وإليك الأنباء بالتفصيل: (تولىّ (إبراهيمَ) مسئولية وزارة الداخلية -في ٧ ديسمبر ٢٠١١، إلى ٢٤ يوليو ٢٠١٢ -عقب حالة الانهيار التي اعترتها بعد الهجوم الإخوانى المدعوم بقوى من (حماس، وحزب الله) على جميع أقسام الشرطة، فأعاد تنظيم صفوفها، وبث في قواتها روح الأمل، وبدأ في زيارة جنود الأمن المركزي، والمرور على الأكمنة، وأدار حوارا معها مع ضباطه، لِيُعِيدَ إليهم ثقتهم بأنفسهم، ولم يتجاهل هذا التربص الإخواني الذي لم يكن على وئام مع فكرة عودة الأمن إلى الشارع المصري، فاصطدم كثيرًا بقادة الجماعة، حتى وصل صِدامه إلى ذروته مع "المعزول"، وعندما قام أعضاء مجلس الشعب من المحظورة بالقبض على النقيب "أحمد صلاح لطفي" داخل البرلمان، وسحلوه بحجة أنه يتجسس عليهم، أصر الوزير على زيارة المجلس، وأعلن أنه لن يُغادره إلا بصحبة ابنه الضابط ساخرًا منهم، كيف يتجسس عليكم وجلستكم على الهواء مباشرة؟. وبالفعل اصطحب الضابط المسحول، ووصل به إلى مستشفى الشرطة، وازداد عزمه على مواجهة الأمر مهما كانت تبعاته، فحاول قادة الجماعة زيارة الوزير في مكتبه إلا أنه رفض استقبالهم، بل أمر بعدم دخول أي إخواني إلى الوزارة، وهنا بدأت الجماعة في صنع الأزمات أمام حكومة "الجنزوري" وعندما وصل "مرسى" إلى قصر الرئاسة، وطلب حضور وزير الداخلية مصطحبًا معه حركة تنقلات الشرطة، ذهب الوزير إلى "المعزول" فلاحظ أنه يضع على منضدةٍ مجاورةٍ له ورقة مُدَوَّنًا عليها بعض قادة الداخلية، وبدأ ينظر إليها خِلْسَةً ليوجه بعدها تساؤله إلى الوزير، حيث أعلن عن رغبته في إحالة اللواء "محسن مراد" إلى التقاعد، فكان رَدُّ الوزير إن مراد من أكفأ رجالات الشرطة، وليس من المنطقي إحالته إلى التقاعد، فقاطعه "مرسى" طالبًا إحالة اللواء "خالد غراب" مدير أمن الإسكندرية في ذلك الوقت إلى التقاعد، فرد عليه الوزير قائلاً: "خالد" قاوم ببطولة "نادرة" اقتحام مديرية

أمن الإسكندرية، فهل تكون مكافأته، بإحالته إلى التقاعد؟!

نظر "المعزول" إلى الورقة، وطلب من الوزير إحالة كل من اللواءات "أمين عز الدين" مدير شرطة الكهرباء في ذلك الوقت، واللواء "كمال الدالي" مدير المباحث الجنائية بالجيزة، واللواء "سيد شفيق" مدير مباحث الوزارة، "وعصام حجاج" مدير الأمن الوطني، إلا أن الوزير "محمد إبراهيم" رفض بشدة، مُؤَكِّداً أن كل واحد منهم كفاءةً وقدرةً لا يُسْتَهَانُ بها، ولا يمكن الاستغناء عنهم دون مبررات حقيقية، انفعل مرسى على الوزير، وقال له: كل ما أسألك على قيادة تقولّى ده شغال، دول رجالة (حبيب العادلى)! رد الوزير: هؤلاء رجال وزارة الداخلية، وليسوا رجال حبيب العادلى، ثم إننى شخصياً عملت مع حبيب العادلى ومعظم قيادات الوزارة عملت معه، ولا أرى مُبَرِّرًا لإحالة هؤلاء للتقاعد، وإذا أردت أن تفعل ذلك فليس أمامك إلا إصدار قرار جمهورى قال مرسى: يا سيادة الوزير، أنت تسعى للصدام مع مؤسسة الرئاسة! قاطعه الوزير: نحن لا نصطدم أبداً مع مؤسسة الرئاسة، إننا نصطدم فقط مع أيِّ جماعة تخترق القانون أو تحاول خرقه، رد مرسى: مش كفاية كنت بتراقبنا وبتراقب تليفوناتنا، قال محمد إبراهيم: وظيفتي تحتم عَلَيَّ مراقبة كل خارج على القانون فقط يا سيادة الرئيس، وسوف أقوم بعملي مهما كانت الظروف، وبينما كان مكتب الوزير مشغولاً في الإعداد للمؤتمر الصحفي، فوجئ الوزير بمدير مكتبة يُخبِرُهُ أن الرئيس على التليفون، فَرَدَّ عَلَيْهِ: بلِّغْهُ أني مش فاضي، وأني في طريقي للمؤتمر الصحفي، لإعلان الحركة، وبالفعل أن الوزير قدم حركة تنقلات الشرطة دون مراجعتها مع "مرسى" ودون ما يكتب اسمًا واحدًا من ال ٨٥٤ المنتمين لجماعة الإخوان، ومكافأةً للوزير على إخلاصه لبلده، أنه في اليوم التالي صدر قرار بإقالته من منصبه[1]!!

أما وزير الداخلية «أحمد جمال الدين» في حكومة «هشام قنديل» حيث أعلن في

(١) جريدة فيتو -الثلاثاء -٢٢ محرم ١٤٣٥هـ -٢٦ نوفمبر ٢٠١٣م -العدد (٩٤) -ص: (٢٠).

تصريح منسوب إلى «خيرت الشاطر» والذي جاء فيه على لسانه قائلاً: (أن سبب الإقالة يرجع إلى ارتكاب «جمال الدين» أخطاء جسيمة، حيث غاب دور وزارة الداحلية في أحداث قصر الاتحادية، وأن الدكتور «مرسى» اتصل به ليقوم بدوره المنوط به، لكن الوزير لم يرد لأربع ساعات متصلة، وأنه عندما رَدَّ «جمال الدين» على الرئاسة طلب تفويضًا موقعًا من الرئيس لاستخدام الذخيرة الحية، وهو الأمر الذي رفضه «مرسى» بخلاف موقف الشرطة المتخاذل من حصار مسجد القائد إبراهيم، وبداخله الشيخ «المحلاوي» وعدد من المصلين لأكثر من ١٤ ساعة)، والسبب الآخر في الإقصاء هو: تقصير الوزير في حماية مقار (جماعة الإخوان)، ورفضه التعامل مع المظاهرات بالقمع، أو فض اعتصام الاتحادية بالقوة، وكان السبب الرئيسي من تغييره هو تهديد «حازم أبو إسماعيل» له، بعد أحداث حرق مقر حزب الوفد، ومطالبته بضرورة عزله، وعدم التساهل مع جماعة الإخوان في إعطاء تراخيص السلاح لشباب الجماعة[1].

وعلى نفس السياق، تم كشف أسماء الخلايا النائمة في وزارة الداخلة تحت قيادة «محمد إبراهيم» وزير الداخلية في حكومة «هشام قنديل، والببلاوي» حيث نجح «خيرت الشاطر» في تجنيد مدير أمن الجيزة، ونائب مدير الأمن الوطني السابق، وبدأت وزارة الداخلية حسب معلومات مؤكده التحقيق مع عدد كبير من القيادات السابقين والحاليين، وعدد من الضباط في بعض مديريات الأمن، بعد أن ثبت انتماؤهم لجماعة الإخوان المحظورة، وتشير المعلومات الأولية إلى أن عدد هؤلاء الضباط يصل إلى عدد ٢٥٤ ضابطاً من مختلف الإدارات ومديريات الأمن بينهم مساعدان لوزير الداخلية، بالإضافة إلى ٦٠٠ أمين شرطة تبين انتماؤهم للإخوان، ولم يكتفوا بالتعاطف مع أنصار الجماعة، وإنما استغلوا مواقعهم الوظيفية، وسربوا معلومات وأسراراً مهمة ساعدت العناصر الإخوانية والمتطرفة في تنفيذ أعمال تخريبية

(١) شبكة الإنترنت.

واستهداف بعض ضباط الشرطة والمنشآت الأمنية، وسهلوا هروب المطلوبين أمنيا[1].

وَمِمَّا لَهُ صِلَةً بذلك قامت وزارة الداخلية بوضع خطة لمواجهة اختراق (جماعة الإخوان) لهذه المؤسسة، وقد تم تحريات كاملة على ٩٠٪ من العاملين بقطاع الشرطة للتأكد وحسم مسألة تعاملهم واتصالاتهم مع أنصار (جماعة الإخوان)، وأضافت أن تلك التحريات توصلت مؤخرًا إلى وجود أكثر من ١٨٠٠ ضابط فرد وأمين شرطة على علاقة (بجماعة الإخوان) ويقومون بتسريب خطط وتحركات الأجهزة الأمنية، وكشفت عن أن جميع من تم إثبات علاقتهم (بالإخوان) تم تجميدهم داخل قطاعاتهم مشيرة إلى أن كل من ثبت بالتحريات والاستعلام بفحص ملفاتهم والذين تتعدى أعدادهم أكثر من ٤٠٠٠ مجند وفرد شرطة لهم أقارب (بجماعة الإخوان) تم تجميدهم عن طريق إبعادهم عن أجهزة البحث والاقتحام، وذلك بنقلهم إلى الإدارات الخدمية، حيث تم نقل الضباط إلى إدارة الحماية المدنية والخدمات الطبية، فيما نقل الأفراد والأمناء إلى إدارة المطاعم وبوفيهات الإدارات والخدمات التي لا تمكنهم من الحصول على معلومات، أو حتى حمل سلاح خلال أداء الخدمة في الشارع، أو تأمين المنشآت، وأكدت المصادر أن خطة الداخلية لمواجهة عمليات الاختراق لقطاعاتها تضمنت تغيير أطقم حراسة القيادات المهمة بالوزارة أسبوعيًا، إضافةً إلى أنه تم حصر الضباط والقيادات المهمة بالوزارة أسبوعيًا، إضافةً إلى أنه تم حصر جميع الضباط والقيادات سواء بالأمن العام، أو المباحث، أو الأمن الوطني ممن تلقوا تهديدات بالقتل لوضع حراسة عليهم، وعلى أسرهم لحين تغيير أماكن إقامتهم، مشيرةً إلى أن هناك تتبعا لكل الرسائل والمكالمات التي تتم بين القيادات ومن يُرسلون برسائل التهديد لهم، وأضافت أن جهاز الأمن الوطني يبحث حاليًا وضع خطة تمويه شاملة لإخفاء تحركات تلك القيادات ، والضباط لضمان عدم استهدافهم من قبل العناصر لمتطرفة التابعة لجماعة الإخوان[2].

(١) جريدة الموجز -الاثنين -٢١ من المحرم ١٤٣٥هـ -٢٥ نوفمبر ٢٠١٣ -العدد(٣٨٣) -الإصدار الثاني -السنة الحادية عشرة -ص:٢.

(٢) جريدة فيتو -الثلاثاء -٧ صفر ١٤٣٥هـ -١٠ ديسمبر ٢٠١٣م -العدد (٩٦) -ص: (٢).

عَدَاءُ مُرْسِى، وَجَمَاعَتَهُ لِلأَقْبَاطْ:

اعتقد "مرسى، وجماعته) أَنَّ ما كان يُرهب الناس بالأمس، سيرهبهم اليوم، وأن ما فعلوه وبعض السلفية المتشددة من منع الأقباط من الإدلاء بأصواتهم في الانتخابات البرلمانية، والرئاسية في محافظة المنيا وغيرها من المحافظات، وتطويقهم، وإرعابهم، وإرهابهم بالجنازير، والسلاح الأبيض، والآلي، والخرطوش سيتكرر اليوم، ولم يَعِ هؤلاء المثل الدراج جيدًا، والذي يقول (كثر الحزن، يعلم البكى)، لأن الناس من هَوْلِ مَارَأَوْ من كَثرةِ الدماءِ التي سُكِبَتْ على الأرض في تلك الفترة، جمدت عيونهم، وتبلدت مشاعرهم وذهب الخوف أدراج الرياح، وزهدت نفوسهم أرواحهم، فجعلت دمائها، وأرواحها فداءً لواجب الوطنية الذي يهون في سبيله الدماء، وهذا مما جعلنا نعود إلى الوراء قبل ذلك بمائةِ عام، أو يزيد من العزلة، أو ما يُسمى (بالفتنة الطائفية للأقباط) يقول الباحث، والصحفيِّ الأستاذ "سليمان شفيق": (إن الفتنة الطائفية إن دلت على شيء فهي تدل على أن النخبة المدنية وافقت ضمنا على تديين القضية، إذا أضفنا إلى ذلك (الحلول العرقية) فهذا يعني أننا نعود إلى ما قبل الدولة، إما أن تعتمد النخبة المدنية على (بيت العائلة) فهذا يعني أننا نعود إلى ما قبل الدولة الحديثة!، ولا أحد يهتم بأن الدولة تتفكك، والأمة تتحلل، ولا أحد أيضًا ينظر إلى تلك القضية من منظور أزمة الدولة المدنية الحديثة، ولم يلحظ أحد أن أول تَجليات الأزمة كان عام ١٩١٠ (المؤتمر القبطي) ومن ١٩١٠، وحتى (أحداث العمرانية) ٢٠١٠ مضى قرن من الزمان، وتبوأ الحكم في مصر أربعة ملوك (عباس حلمي، وحسين كامل، وفؤاد، وفاروق) وثلاثة رؤساء (عبد الناصر، والسادات، ومبارك) شهد هذا القرن (٦٥) حكومة منهم (٤٢) في العصر الليبرالي، منذ حكومة "بطرس غالي باشا" ١٩١٠، وحتى حكومة علي ماهر باشا ١٩٥٢، بتكليف من "الملك فاروق"، و(٧) حكومات في عهد "ناصر"، و(٧) حكومات في عهد "السادات"، و(٩) حكومات في عهد

"مبارك"، كل ذلك والمشكلة الطائفية قائمة بشكل، أو بآخر في العصر المسمى الليبرالي وفي فبراير ١٩٤٣ في حكومة "عبد الفتاح يحي باشا" أصدر "العزبي باشا" وكيل وزارة الداخلية الشروط العشرة لبناء الكنائس التي سببت ٨٦٪ من الأحداث الطائفية ارتبط ذلك بإسقاط دستور ١٩٢٣ وإعلان دستور صدقي ١٩٣٠ وظهور (جماعة الإخوان) وتحالفها مع (صدقي)، بل وفي ظل زخم رعامة "النحاس" للأمة تم "تجريس" حزب الوفد في الأربعينات من القرن الماضي على أنه حزب نصراني، أسس لهذه الحملة أيضًا (جماعة الإخوان)، وفي ظل حكومة الوفد ١٩٥٠، ولأول مرة بعد ثورة ١٩١٩ تم حرق كنيستين إحداهما في السويس، والأخرى بالزقازيق، وسقط قتيلان من الأقباط، ومن العصر (الليبرالي) إلى العصر (الناصري) لم تشهد المرحلة أي اعتداءاتٍ على أقباطٍ، أو على الكنائس، ثم جاء مشروع "السادات" بالتحالف مع الإخوان لضرب "الناصريين" "والماركسيين"، وانتقلت ظاهرة جماعة الإخوان والتديين من خارج النظام السياسي إلى داخله، بل وتسلق إلى قمته، وعبر الانفتاح الاقتصادي ضرب "السادات" الأساس الاجتماعي للمشروع الناصري، وبدأت البطالة تُطِلُّ برأسها، وبدأ تهميش الصعيد، مما مهد الطريق اجتماعيًّا للإرهاب في عصر "مبارك"، خاصة في العشر سنوات الأخيرة، لم تعد الدولة مدنية، ولا حديثة، بل صارت مملوكية، (بظهور مشروع التوريث)، وكانت هذه المرحلة هي العصر الذهبي للإخوان، حيث تم تمكينهم اقتصادياً، بالسيطرة على ٥٥٪ من تجارة العملة، وبلغت عمليات المضاربة، وغسيل الأموال أقصى مدى، وعلى الصعيد السياسيِّ وافق الإخوان على التوريث، مقابل التمكين في مجلس الشعب، إضافة إلى التمكين الدولي، وتأسيس التحالف الإخواني الأمريكي[1]!!

(١) جريدة الوطن-الأحد ١٨ جمادي الآخرة ١٤٣٤هـ-٢٨ أبريل ٢٠١٣م السنة الأولى-العدد(٣٦٤) صـ: (١٤).

وبعد إزاحة حكم «مبارك» بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، وتولي «مرسى» السلطة في مصر في ٣٠ يونيو ٢٠١٢، وعندما مَرَّ على ما يقرب من عام على توليه السلطة، واضطهاده لجميع الأحزاب والطوائف، والملل، وعند اقتراب موعد ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣، طلب مرسى من «البابا تواضروس» منع الأقباط من المشاركة في الثورة، فرفض «البابا» طلب «مرسى» بمنع الأقباط من المشاركة، ومن جانبه صرح «القس صفوت البياضى» رئيس الكنيسة الإنجيلية قائلا: (أن مجلس الكنائس قرر في اجتماعه بدير الأنبا بشوى بمشاركة رؤساء الكنائس الخمسة للمؤسسة للمجلس، أننا لا نستطيع أَنْ نُكبت حرية الشبابِ المسيحيِّ، وهم جزءٌ من هذا الوطن مثلهم مثل إخوانهم المسلمين)، وكان هذا الرد، وهذه التصريحات بمثابة القشة التي قسمت ظهر «مرسى» وجماعته»، فلم تشهد علاقة «تواضروس» «بمرسى» إلا الفتور، والإحباط، ولم يُرْهب البابا أن يقول لمرسى إن فترة حكمه لمصر هي أكبر فترة إحباطٍ للأقباط، ولم يخش من الإفصاح عن غضبه من النظام الحاكم وهو يرى مقتل (٦٠) قبطيًا في (٤٣) حادثًا طائفيًا وحرج (٩١٨)، وحرق (٨٠) كنيسة، وهدم (٤٠) مؤسسة تابعة لكنائس حُرقت، (١٥٠) أسرة شُرِّدُوا من بيوتهم ونُهبت محلاتهم ومنازلهم، ونحو (١٠٠٠) بيت تم مهاجمتها لقرى عديدة، فضلاً عن عشرات التصريحات التي كانت تهدد الأقباط من تيارات الإسلام السياسي برعاية جماعة الإخوان، كل ذلك وأكثر قد تم بعد فَضِّ اعتصامي (رابعة، والنهضة) يوم الأربعاء ١٤/ ٨/ ٢٠١٣.

إباحة سرقة الأقباط، وفرض الجزية على قرية (دلجا)، بالمنيا:

يقول أحد أقباط قرية (دلجا) -فَضَّلَ عدم نشر اسمه خلال مكالمة تليفونية لمحرري جريدة الصباح، أنه قامت مجموعة كبيرة ومنظمة بالسطو على محتويات الكنيسة وسرقة أكثر من (٤٥٠) (إردبًا) من القمح، فَضْلاً عن صندوق التبرعات

والذي يوجد بداخله آلاف الجنيهات من التبرعات، وصندوق الهبات المملوء بالذهب والنذور، وَقُدِّرَ حجم الأموال بأكثر من نصف مليون جنيه، ويقول أحد سكان (دلجا) ويُدعى «محمد.أ» ٣٠ سنة فلاح من أهالي القرية: إن إخوان القرية قاموا بتهديد أقباط القرية، والتضييق عليهم، وبعد أن أجبروهم على التزام منازلهم لفترة، قاموا بطرد عدد من الأسر القبطية وتهجيرها إلى خارج دلجا عُنْوَةً، وحملوا الأسلحة، وهددوا بمجزرة، قرر على إثرها الأقباط ترك منازلهم، والخروج داخل القرية، وبعدها تمت مداهمة تلك المنازل وتفريغها من جميع محتوياتها[1].

وَجَدِيرٌ بِالذِّكْرِ أن قرية (دلجا) التي تعد أكبر قرى (المنيا) والتي يبلغ تعداد سُكَّانِهَا منهم ما يقرب من ١٥٠ ألف قبطي وقعوا فريسة في يد (بلطجية الإخوان) الذين مارسوا كل أنواع العنف والإرهاب منذ يوم رحيل المعزول، وبدأت بحرق كنيستين وتدمير عددٍ من المنازل، وفي يوم فض اعتصامي (رابعة) والنهضة، كان أقباط القرية على موعد مع القهر، والاستبداد، والاضطهاد من قِبَلِ بلطجية الإخوان الذين قاموا بالانتقام من الأقباط بسبب مشاركتهم الفعالة في التظاهرات التي أطاحت بالمعزول، فقاموا بحرق ٤ كنائس بالقرية من أصل ٥ بالإضافة إلى حرق، وتدمير عشرات المنازل، والمحلات التجارية المملوكة للأقباط، وقاموا بفرض الجزية على أقباط القرية وإجبارهم على دفعها، والتي تتراوح قيمتها من ٢٠٠ إلى ٥٠٠ جنيه يوميًا، وكان التهجير هو المقابل لمن لا يقوم بدفع الجزية، حيث قاموا بتهجير أكثر من ٤٥ أسرة قبطية من منازلهم وقاموا بالاستيلاء عليها[2].

(١) جريدة الصباح -الاثنين ١٠ ذو القعدة ١٤٣٤هـ-١٦سبتمبر ٢٠١٣م -السنة الأولى -العدد (١٣) ص: (٩).

(٢) جريدة التحرير الثلاثاء -١١ ذي القعدة ١٤٣٤هـ-١٧ سبتمبر ٢٠١٣م -السنة الثالثة -العدد(٨٠٧) ص: (٥).

وَعَطْفًا عَلَى ذَلِكَ، فقد صَرَّحَ راعي كنيسة السيدة العذراء الأنبا إبرام القس يؤانس شوقي قائلا: (إن ظاهرة فرض الإتاوات على الأقباط ومطالبتهم بالجزية بدأت منذ رحيل المعزول وما زالت مستمرة وَتُفْرَضُ على جميع أقباط القرية، بلا استثناء، مُشِيراً إلى أن قيمة الجزية وطرق دفعها تختلف من مكان، لآخر داخل القرية، فهناك من يُفرض عليهم الجزية بواقع ٢٠٠ جنيه يوميًا، وهناك مناطق أخرى تدفع الجزية بواقع ٥٠٠ جنيه يَوْمِيًّا، وهناك طرق أخرى للدفع بالأسبوع، أو بالشهر، مُضِيفًا إلى أن عدد الأسر المهجرة إلى الآن وصل إلى (٤٠) أسرة[1].

وكان السبب في تلك الانتهاكات جميعًا، يوم الأحد ٣٠ يونيو ٢٠١٣، والذي كان نقطة الفصل في علاقة (الكنيسة بالإخوان)، فمن رفض أن يقابل مرشد التنظيم داخل الكاتدرائية، رفض أن يطلب من الأقباط أَلاَّ يشاركوا في مظاهرات إسقاط الإخوان، ليجلس بعدها بثلاثة أيام مع كَافَّةِ القوى الوطنية يرسم خريطة مصر الجديدة، بلا إقصاء، أو تهميش، وليعلن أنَّ للثورة وطنيون يشاركون فيها، وهم يعلم أن ثمن المشاركة رأسه، واستهداف الكنيسة، والأقباط، فَوُضِعَ اسمهُ على قوائم الاغتيالات، واستهدفت الكنائس، ونحر الأقباط جهارًا، نهارًا، وَقُتِلُوا، وَصُلِبُوا، لأنهم قالوا: لا للإخوان[2].

وقد وصلت حالات القمع والإرهاب والإرعاب الذي تعرض لها الأقباط في (دلجا) أنهم كانوا يختبئون في السراديب خوفًا من بطش الجماعات المسلحة، والتي جعلتنا نسترجع العصور الوسطى، ففي الماضي البعيد كان يتم بناء الحصون لحماية الرهبان من غارات البربر، أو الغزاة، وكان الرهبان يلجأون إليها وقت شعورهم بالخطر من هجمات الأعداء على الدير، فيختبئون في سراديب للهروب من الخطر، وقد

(١) جريدة التحرير الأحد -٢ ذي القعدة ١٤٣٤هـ -٨ سبتمبر ٢٠١٣م -السنة الثالثة -العدد(٧٩٨) صر: (٩).

(٢) جريدة الوطن -الأحد ١١ شوال ١٤٣٤هـ -١٨ أغسطس٢٠١٣م -السنة الثانية -العدد(٤٧٦) - من: (١١).

استفاد أقباط الصعيد من تلك السرديب، وتم تطويرها لتصبح العلامة المميزة لغالبية الأقباط في الصعيد في هذا الجزء الخطير من تاريخنا، والغريب هو عودة ظاهرة قديمة كهذه للحياة مرة أخرى بعد مئات السنين، نتيجة شعور الأقباط بالاضطهاد والخوف، يُحكى (ج.عطية) قبطي مقيم بقرية (دلجا التابعة لمركز ملوى) أنه حفر سرداب تحت منزله لحماية زوجته، ووالدته، وأطفاله من هجمات (الإخوان) المتكررة على منازل الأقباط بغرض السرقة والنهب وخطف واغتصاب النساء، وقال إن الفكرة جاءته بعد تكرار مثل هذه الحوادث في قرى ومحافظات كثيرة في كل أنحاء الجمهورية، فلم يجد حَلاً أفضل لتأمين أسرته إلا ذلك، يصف (عطية) السرداب بأنه عبارة عن دور أرضي ليس له باب، بل مُغطى بسجادة ينزل بعدها عن طريق ٣ درجات من السلالم إلى أسفل، وأكد أن السرداب كان يستخدم في البداية كمخزن لحفظ متطلبات المنزل، لكن الآن يستعمل كمخبئ بسبب ما يحدث من هجمات إرهابية (لجماعة الإخوان) في قريته، وأكد أنه تم سلب ونهب منازل أقباط قريته عدة مرات، وهذا ما اضطره إلى الاختباء تحت الأرض حين التعرض للخطر[1].

الْجِزْيَةُ، وَحُكْمُهَا:

الجزيةُ هي قَدْرٌ من المال يدفعه من هو قَادِرٌ على القتال من المسيحيين واليهود (أهل الذمة) في بلاد المسلمين مقابل حمايتهم، وَيُعْفَى منه الكهول، والنساء، والأطفال، والعجزة، والمُعاقين، والذين يُقاتلون في صفوف المسلمين، وكما يفرض الإسلام على المسلمين دفع الزكاة التي تُؤخَذُ من الأغنياء، وَتُرَدُّ على الفقراء والمساكين، كذلك الجزية التي تُؤْخَذُ من أهل الذمة، وأجمل ما قيل بخصوص الجزية، ما ذكره (الشيخ ناجح إبراهيم) فى ذلك الشأن قائلاً: (أن هناك نظرية فقهية اسمها غياب المحل، فباشتراك النصارى معنا في الجيش ودفاعهم عن ديار الإسلام، انتفت الجزية عنهم مثل

(١) جريدة الصباح الاثنين ٣٠ ذو الحجة ١٤٣٤هـ - ٤ نوفمبر ٢٠١٣م - السنة الثانية - العدد (١٩) ص: (١٣).

آيات الرقيق (عتق رقبة -إطعام المساكين)، فبإنتهاء الجواري، يلزمنا الحكم الثاني)، وجاء في التفسير في قوله تعالى: { قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ} [التوبة:٢٩] كان رسول الله ﷺ يرى ألا يجتمع في جزيرة العرب دينان، حيث قال: (لاَ يَبْقَيَنَّ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَانِ)[1].

ولأن شريعة الإسلام لم تأذن بإكراه أهل الكتاب على الإسلام، فقد ترك رسول الله ﷺ أهل نجران ولم يكرههم على دينهم، بعد أن دعاهم إلى الإسلام بالتي هي أحسن، فأبوا، وأعطاهم كتابًا جعل لهم فيه ذمة الله وعهده، وألا يُفتنوا عن دينهم، ومراتبهم فيه، ولا يحشروا، ولا يعشروا، وأن يؤمنوا على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وَعِيرِهِمْ، وبعثهم وأمثلتهم، لَا يُغَيَّرُ ما كانوا عليه، ولا يُغَيَّرُ حق من حقوقهم، ولا يطأ أرضهم جيش، ومن سأل منهم حقًا فبينهم النَّصَفَ غير ظالمين ولا مظلومين، ولهم على ذلك جِوارَ الله، وذمة رسوله أبدًا، حتى يأتي أمر الله، ما نصحوا وأصلحوا، واشترط عليهم ألا يأكلوا الربا، ولا يتعاملوا به، ولَمَّا اسْتُخْلِفَ أَبُوبَكْرٍ -رضي الله عنه- -أكد لهم عهدهم الأول ولما علم أنهم خانوا العهد، وتعاملوا بالربا، أمر في حال مرضه «عمر بن الخطاب» -رضي الله عنه- -بإجلائهم عن جزيرة العرب، دون أن يفتنوا في دينهم، وقد حرص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- -على قاعدة حماية الذِّمِّي في نفسه وماله، بتعويضه النجرانيين على أرضهم ومالهم بالمثل من أرض المسلمين ومالهم، لما قضت الضرورة بإجلائهم عن أرضهم، إلى غيرها من بلاد المسلمين، وقدُ ذكِرَ في سيرة «أبي بكر، عن عمر» - رضى الله عنهما -ما فعله من هذا القبيل من أهل عَرْ بسُوسَ من ثغور (الروم)، وكيف أنه لما أمر بإجلائهم عن

(١) أخرجه مالك (٢/ ٨٩٢)، وابن أبي شيبة (٧/ ٦٣٥)، والبيهقي (١٩٢٦٣) من حديث عمر -رضى الله عنه -وأخرجه الطبراني في (الأوسط) (١٠٧٠) من حديث عائشة - رضي الله عنها.

أرضهم لخيانتهم جوار لمسلمين، ونكثهم عهد الأمانة والصدق، أمر بأن يُعَوَّضُوا عن مالهم وعقارهم ونعمهم ضِعفَيْن، ومازال الخلفاء في أيام الفتوح العظيمة وما بعدها يحافظون على حق القرار الثابت، والملك القديم، للأقوام المغلوبين للمسلمين، الخاضعين لسلطانهم، سواء كانوا من المسيحيين أو غيرهم، ولم يُؤْثَرُ عن أحدٍ منهم أنه طرد قومًا من أرضهم، أو انتزعها منهم بغير حَقٍّ وَلاَ عِوَضٍ، وهذا شأن الإسلام في المحافظة على حقوق الأمم المغلوبة، فبالغوا في الرأفة بأهل جِوارهم، والداخلين في ذمتهم من أرباب الملل الأخرى، فتركوا لهم حرية التملك والدين، لم يُنازعوهم حَقًّا من حقوق المواطنة والجوار، بل كانوا يعتبرونهم جزءًا من الدولة، وعضوًا من أعضاء مجتمعهم لاَ غِنىً عن مشاركته في العمل، ومشاطرته أسباب السعادة المدنية، والحياة الوطنية، ويؤيد هذا اعتماد الخلفاء الأمويين، والعباسيين على أهل الكتاب من اليهود والنصارى في ترتيب دواوين الخراج، وترجمة علوم اليونان، وتقريب النابغين منهم في علوم الهندسة والطب إليهم، واعتمادهم في شفاء عللهم عليهم، بل بلغ بالمسلمين اعتبارهم لأهل الكتاب عُضْوًا من جسم هيأتهم الاجتماعية، ولا يجوز فصله في أَيِّ حالٍ من الأحوال، وعندما اكتسحت جيوش التتار بلاد المسلمين من حدود الصين إلى بلاد الشام، ووقع في أَسْرِهِمْ مَنْ وقع مِنَ المسلمين والنصارى، ثم خضد المسلمون شوكة التتار في الشام، وانتصروا عليهم، ودان ملوكهم بالإسلام، خاطب شيخُ الإسلام «ابن تيمية» رأس العلماء في عصره، أمير التتار (قطلوشاه) بإطلاق الأسرى، فسمح له بالمسلمين، وأبى أن يسمح له بأهل الذمة، فقال شيخ الإسلام: (لابد من افتكاك جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا، ولا ندع أسيرًا لا من أهل الملة، ولا من أهل الذمة، فأطلقهم له)[1]، ثم قال «أبو يوسف» مُخَاطِبًا «هارون الرشيد»: وقد ينبغي يا أمير المؤمنين -أيدك الله -أن تتقدم في الرفق بأهل ذمة نبيك، وابن عمك

(١) تفسير محاسن التأويل، للقاسمي: (٥/ ٤٠١، ٤٠٠)

محمدﷺ، والتفقد لهم حتى لا يُظلموا، وَلاَ يُؤْذُوا، وَلاَ يُكَلَّفُوا فوق طاقتهم، وَلاَ يُؤْخَذُ شيءٍ من أموالهم إلا بحق يجب عليهم، فقد رُوِيَ عن رسول اللهﷺ أنه قال: (مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ فَأَنَا حَجِيجُه)[1].

وكان فيما تكلم به عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- عند وفاته أنه قال: (أُوصِي الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بذمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُوَفَّى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَأَنْ يُقَاتِلَ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَلاَ يُكَلَّفُوا فَوْقَ طَاقَتِهِمْ)[2].

قال: وحدثنا هشام بن عروة عن أبيه، عن سعيد بن زيد، أنه مَرَّ على قوم قد أُقِيمُوا في الشمس في بعض أرض الشام، فقال: ما شأن هؤلاء؟ فقيل له: أقيموا في الشمس في الجزية! قال: فكره ذلك، ودخل على أميرهم وقال: إني سمعت رسول اللهﷺ يقول: (مَنْ عَذَّبَ النَّاسَ عَذَّبَهُ اللَّهُ)[3] وقال أيضًا: وحدثني عمير بن نافع عن أبي بكرٍ قال: مَرَّ عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ببَابِ قومٍ وعليه سائل يسأل، شيخ ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه وقال: من أَيِّ أهل الكتاب أنت؟ فقال: يَهُودِيٌّ، قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسال الجزية، والحاجة، والسن، قال: فأخذ «عمر» بيده، وذهب به إلى منزله، فرضخ له بشيءٍ من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال، فقال: انظر هذا وَضُرَبَاءَهُ، فو الله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته، ثم نخذله عند الهرم {إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ} [التوبة:٦٠] والفقراء هم المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية، وعن ضربائه. قال: قال: أبو بكر: أنا شهدت ذلك من عمر، ورأيت ذلك الشيخ[4].

(١) أخرجه أبو داود (٣٠٥٢)، والبيهقي (١٩٢٤٣) عن عدة من أبناء أصحاب النبيﷺ، عن آبائهم.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٩٧)، وعبد الرزاق (٢٠٠٥٨)، وابن أبي شيبة (٨/ ٥٧٥)، وابن حبان (٦٩١٧) من حديث عثمان بن عفان - رضي الله عنه -.

(٣) أخرجه أحمد (١٤٩٠٨) من حيث سعيد بن زيد - رضي الله عنه -

(٤) المصدر السابق: (٥/ ٣٩٥، ٣٩٦).

الصَّالِحُ وَالطَّالِحُ:

الرجل الصالح ينصلح بصلاحه حال الأمة، وأما الطالح فيفسد بفساده حال الأمة، قال تعالى: {فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [الأعراف:٣٥]، وأما عن المفسدين في الأرض فقد قال الله عنهم: {الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ} [الشعراء:١٥٢] وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ} [يونس:٨١]، وقال ﷺ: (مَنْ وَلِيَ مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا، فَاحْتَجَبَ دُونَ خَلَّتِهِمْ، وَحَاجَتِهِمْ، وَفَقْدِهِمْ، وَفَاقَتِهِمْ، احْتَجَبَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، دُونَ خَلَّتِهِ، وَحَاجَتِهِ، وَفَاقَتِهِ، وَفَقْرِهِ)[1].

وقال ﷺ: (مَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ عَمَلاً، فَأَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا، جَعَلَ لَهُ وَزِيرًا صَالِحًا، إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ)[2].

ومن خلال ذلك المنطلق يجب أن نفرق بين رئيسين أحدهما استمر في رئاسته لجمهورية مصر العربية بنحو (١٦) عامًا، وظل الشعب مُخَلِّدًا لذكراه أكثر من (٤٣) عامًا، أي بعد وفاته في ٢٨/ ٩/ ١٩٧٠ لأنه كان مثالاً للوطنية، والتضحية، والفداء، حيث اتهمه (جماعة الإخوان)، بأنه حاكم يُعادى الإسلام، لمجرد أنه يُعاديهم، حيث هم الإسلام وحدهم، ومن عاداهم، فهو يُعادى الإسلام، وقالوا عنه أيضًا إنه عِلْمَانِيًّا، أي: مُعَادِيًا للإسلام، وليس هذا كله، لا في شخص «عبد الناصر» ولا في اعتقاده، لأنه ساوى بين الطبقات، فأخذ من الإقطاعيين، وأعطى للمعدومين من الفلاحين، وحافظ على جميع الطوائف والملل وعاشت مصر في عهده على الوفاق الوطني، ولا تفرقة بين الأديان، وقد ذكرنا قبل ذلك ما فعله «ناصر» للإسلام والمسلمين، وأما الآن فنذكر

(١) الحديث صحيح: رواه أبو داود، وابن ماجة، والحاكم عن أبي مريم الأزدى، وجاء في الصحيحة برقم: (٦٢٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٦٥٩٥).

(٢) الحديث صحيح: رواه النسائي عن عائشة -رضي الله عنها -وجاء في الصحيحة برقم: (٤٨٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٦٥٩٦).

أن علاقة «ناصر» بالدين المسيحي كانت، ممتازة، فقد سأل (البابا كيرلس السادس) عن عدد الكنائس التي يرى من المناسب بناؤها سنويًا، وكان رد البابا من (عشرين إلى ثلاثين) وكان الرئيس «عبد الناصر» هو الذي أمر بأن يكون عدد الكنائس المبنية سنويًا خمسًا وعشرين كنيسة، وأن يكون التصريح بها بتوجيه من البابا نفسه إلى الجهات الرسمية، وعندما طلب «الباب كيرلس السادس» من الرئيس «عبد الناصر» مساعدته في بناء كاتدرائية جديدة تليق بمصر، واشتكى له من عدم وجود الأموال الكافية لبنائها كما يحلم بها، قرر الرئيس «عبد الناصر» على الفور أن تساهم الدولة بمبلغ ١٦٧ ألف جنيه في بناء الكاتدرائية الجديدة، وأن تقوم شركات المقاولات العامة التابعة للقطاع العام بعملية البناء للكاتدرائية الجديدة، وكلف «سامي شرف» مع المهندس «عدلي أيوب» بالتوجه للكاتدرائية وتسليم البابا الشيك وبدأت عملية البناء في نفس اليوم، وبناءً على أوامر الرئيس «جمال عبد الناصر» كان يُعقد اجتماع أسبوعيٌّ كل يوم اثنين بين «سامي شرف» -وزير شئون رئاسة الجمهورية، «والأنبا صمويل» أسقف الخدمات، لبحث وحل أيِّ مشاكل تطرأ للمسيحيين، كما أولى الرئيس اهتمامًا شديدًا بتوثيق العلاقات بينه وبين «الإمبراطور هيلا سيلاسى» حاكم الحبشة (أثيوبيا) مستغلاً في ذلك كون مسيحيٌّ أثيوبيا من الطائفة الأرثوذكسية، ودعا الإمبراطور هيلا سيلاسى لحضور حفل افتتاح الكاتدرائية المرقصية في العباسية عام ١٩٦٥، كما دعم توحيد الكنيستين المصرية والأثيوبية تحت الرئاسة الروحية للبابا كيرلس السادس، وكان الرئيس «عبد الناصر» كعادته بعيد النظر في ذلك، فقد أدرك أن توثيق الروابط بين مصر وأثيوبيا يضمن حماية الأمن القومي المصري، لأن هضبة الحبشة تأتي منها نسبة حوالي ٨٥٪ من المياه التي تصل مصر، وفي عهده لم تقع حادثةٍ واحدةٍ طائفيةٍ بين المسلمين والمسيحيين، ولم تنتشر دعاوى تكفير الآخر ومعاداته، لذا فقد كان «عبد الناصر» أقرب حكام مصر فهمًا للدين، لتمسكه بتطبيق العدالة والمساواة أما «مرسى،

وجماعته»، فقد قاموا بأعمال العنف والتعدي على الأقباط بالقتل والتشريد واقتحام الكنائس وسرقة محتوياتها والمنازل، وَحَرْقٍ للمحال التجارية، واختطافٍ للأطفال، والرجال، والنساء، وابتزازِ ذويهم، وقد ظهر هذا العنف تجاه الأقباط منذ ٣٠ يونيو، وحتى أغسطس ٢٠١٣، بعد تخليص (دلجا، وكرداسة) من أيدي الإرهابيين من (جماعة الإخوان، والسلفية المتشددة) فقد تعرض الأقباط لـــــــ ٢١٢ حادثًا بين تعدى بالقتل والهجوم على الكنائس، وحرقِ منازلٍ ومحالٍ وتهجيرٍ من القرى، وبياناتهم كالتالي:

- ١٥ قبطيًا قُتلوا منذ عزل «مرسى» حتى حادث الوراق الأخير.

~~- ٦ قُتلوا في أول أسبوع عزل «مرسى» بينهم كاهن العريش.~~

- ٥ أقباط قُتلوا منذ فض اعتصام رابعة.

- ٤ قتلى في حادث كنيسة العذراء بالوراق أمس بينهم طفلة ٨ سنوات، واسمها (مريم).

- تشريد أكثر من ١٠٠٠ أسرة ودور أيتام، ومؤسسات قبطية.

- اختطاف ٧ أقباط بمحافظات الصعيد.

- الاعتداء على ٧٣ كنيسة منهم ٣٨ كنيسة تم سلب ونهب محتوياتها وحرقها بالكامل ١٦ منهم في المنيا، أبرزهم كنيسة السيدة العذراء: والأنبا إبرام للأقباط الأرثوذكس، ومقر إقامة الأسقف وحضانة أطفال، و٣ في سوهاج، و٥ في الفيوم، و٤ في السويس، و٧ في أسيوط، وكنيستين بالجيزة، وكنيسة بالعريش.

- ٢٣ كنيسة تم الاعتداء عليها جزئيًا بإلقاء الحجارة والمولوتوف، وإطلاق الأعيرة النارية.

- الاعتداء على ٥٨ منزلاً، وتهجير بعض أصحابها إلى خارج المدن.

- التعدي على ٨٥ محلاً تُجَارِيًّا بمختلف المحافظات.

- مهاجمة ١٦ صيدلية مملوكة للأقباط.

- التعدي على ٦ مدارس للأقباط منذ فض اعتصام رابعة.

- التعدي على ٣ فنادق، و٧٥ أتوبيسًا، وسيارة مملوكين للكنائس والأقباط، تم حرق ٦ منها بالكامل.

- الهجوم على كنيسة مارجرجس للأقباط الكاثوليك، بقرية دلجا بالمنيا مساء الأربعاء ٣ يوليو.

- وفاة قبطي في ٤ يوليو بعد الهجوم على نحو ٣٠ منزلاً، ومحالا تجارية مملوكة للأقباط وحرق بعضها.

- في ٤ يوليو قُتل ٤ أقباط في الهجوم على نحو ٢٣ منزلاً بقرية (الضبعية بالأقصر) وترك أكثر مسيحيَّ القرية بيوتهم.

- قتل (القس مينا عبود شاروبيم)، برصاص إرهابيين أمام كنيسة العريش.

- سقوط ٥ قتلى في أحداث كنيسة مارجرجس باكوس بالإسكندرية، وقرية دلجا بالمنيا[1].

ومن هنا سأترك الحكم للقارئ لِيُدْلِي بدلوه، وليقرر، مَنْ مِنَ الرئيسين يُطْلَقُ عليه الصالح، ومن منهم يُطْلَقُ عليه الطالح؟

(١) ا ء شبكة الإنترنت.

الْمَبْحَثُ الثَّاني
وَطَنِيَّةُ الْإِخْوَانِ، وَوَطَنِيَّةُ الْأَقْبَاطِ

الوطن والوطنية والمواطنة، لا يحسها إلا من جَرَّبَ الْغُرْبَةَ، وعاش فترةً بعيدًا عن الأوطان، لذا تجد الأكثرية من البشر ممن اغتربوا عن مصر، عند النزول من سُلَّم الطائرة يسجدون على أرض المطار شكرًا لله، وهذا الإحساس الجارف لا يتأتي إلا بعد الغربة، وهذا الإحساس أيضًا يأتي لأُنَاسٍ لا يتركون أوطانهم وهم رِجَالُ الجيش، لأنهم يجبون تراب هذا الوطن حُبًّا جَمًّا، فضحوا بدمائهم ليعيش سالمًا من أَيِّ دنسٍ يدنسُ رمالهُ وأمنهُ وحدودهُ) فالوطن يمثل للإنسان مسكنه، ومحل إقامته، ففيه المولد والمنشأ والديار التي ينتسب إليها: ومن أجله تُبْذَلُ الدماء، والأرواح، والأولاد، والأموال، قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ} [النساء:٦٦] أي: لو أصبح أمر التكليف على الناس، نحو الأمر بالقتل، والخروج من الأوطان، فجعل الخروج من الأوطان، كقتل النفس.

وقال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ} [البقرة:٢٤٣] قال الإمام «محمد عبده»: إن الخروج من الوطن بمعنى التفريط في استقلاله، موت، بينما الحفاظ على استقلال الوطن حياة وإحياء)[1].

ولما كان رسول الله ﷺ يتحنث في غار حراء ونزل عليه أول ما نزل من القرآن، فخاف أن يكون قد نزل به مس، فحكى لزوجته «خديجة بنت خويلد»، فذهبت إلى عمها «ورقة بن نوفل»، ولما سمع منه قال: (يا ليتني أكون حَيًّا حين يخرجك قومك،

(١) مجلة الأزهر -ربيع الآخر ١٤٣٥هـ -فبراير ٢٠١٤م -الجزء (٤) السنة (٨٧) ص: (٦٨٧).

يعني: حتى أخرج معك وأنصرك؟ فعندما قال رسول الله ﷺ: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ»؟ قال السهيلي: وإنما قال ذلك، لأن فراق الوطن شديد على النفوس)، وعندما اشتد الأذى برسول الله ﷺ، وصحابته الكرام، من كفار قريش، أُمِرَ بالهجرة، وعندما خرج مُهاجراً بكى لفراق وطنه حتى ابتلت لحيته من فرط بكائه على موطنه قائلاً: (وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أرض اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَيَّ، ولَوْلاَ أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ)[1].

ولأن حب مكة ظل في فؤادهِ حُبًّا جَارِفًا، وحنينه إليها حنينًا دافقًا، فقد كان يدعوا ربه وهو بالمدينة أن يحبب إليه المدينة، كحبه لمكة، وظل هذا الحب لوطنه يملأ قلبه وجوانحه، حتى عاد إلى مكة فَاتِحًا، وَحَانِيًا على مواطنيه الذين عذبوه، وأخرجوه، وجاروا عليه وظلموه، وبعد أن عاد إلى مَكَّةَ، وأمسك «سعد» راية الإسلام، وقال اليوم، يوم الملحمة، فقال رسول الله ﷺ: بل اليوم، يوم المرحمة، ثم نزع الراية منه، ثم بكى، وقال: ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: بلى، أَخٌ كَرِيمٌ، وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، وعندما أرسل إليه أبو سفيان، وكان رسول الله ﷺ وقتها بالمدينة، عن جُوعٍ أصاب أهل مكة، بكى رسول الله ﷺ حتى ابتلت لحيته حُزْنًا على أهله، وأرسل إليه ١٢٠٠٠ دِرْهَم، مُسَاعَدَةً مِنْهُ لأهلهِ وعشيرته، إذن هل ابن آدم هو الذي يَحِنُّ لموطنه فقط؟ لا واللَّه، بل كل شيءٍ في الوجود يَحِنُّ لموطنه، فالأشجار، عندما تخرج من بيئتها، لتزرع في بيئةٍ أخرى، تَظَلُّ وكأن بها عِلَّةً، أي: مرض إلى أن تَتَعَوَّدَ على البيئة الأخرى، وهناك أنواع من الأشجار يَجِفُّ عودها، وتسقط أوراقها حنينًا لأوطانها، وكذلك الحيوان، فإذا اشترى التاجر، أو الفلاح بعض الحيوانات ووضعها في الحظيرة، استغرب المكان، وامتنع عن الطعام حتى ينهكه ذلك، ثم يعود ليأكل

(١) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، عن عبد الله بن عدى بن الحمراء -رضي الله عنه-، وجاء في المشكاة برقم: (٢٧٢٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٧٠٨٩).

طعامه، بعد أن يألف المكان، ويتعود عليه، وبما أني قد عشت في القرية أعوام، فقد كانت المواصلات للقرى القريبة هي «الحمار»، فإذا سها صاحب الحمار وتركه في مكان ما بعيدًا عن المكان الذي اعتاده، أو تربى فيه، يفك نفسه بطريقة ما، ثم يعود لمكانه، بلا قائد، أو دليل، وأما إذا ترك صاحب الحصان حصانه يمشي وحده دون أن يُوَجِّهَهُ بلجامه، فإنه يلتزم الطريق مهما اشتدت عليه ظُلمة الليل، وهو يرى، ولو كان الطريق غير واضح، فيحس بإختلاف درجة الحرارة في الطريق بعينين تتأثران قليلاً بالأشعة تحت الحمراء، فإذا اختلف صاحب الحصان عن مكان عودته، وتركه باختياره، أعاده الحصان إلى مَا يُرِيدُ صاحبه أما عن الحشرات، كالنمل، فقد قال تعالى: {وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ} [النمل:١٧-١٩]، فتدل هذه الآيات على تمسك النمل بموطنه، حتى لو داهمته أقدام سليمان وجنوده، لتصف موكب سليمان المهيب وحوله جنده من الجن، والإنس، والطير، وعند اقترابه من وادي النمل، فإذا بنملة تحمل هموم شعبها، فتنبؤهم بالخطر الذي سوف يهدد أفراد قومها، نتيجة وطء أقدام سليمان وجنده، فانبرت مُخَاطِبَةً أفراد قومها، مُحَفِّزَةً رَعِيَّتَهَا للتحصن في مساكنهم حتي ولو داهمهم سليمان وجنوده غير مُبَالِينَ بما يُصيبهم إلا أنها رغبتهم في عدم ترك مساكنهم وهذا يدلُّ دلالةً واضحةً على أنها متمسكةً بمسكنها، وموطنها، وآثرت أن تدخل فيه ولا تتركه حرصًا على مكانها وَتَحَصُّنِهَا فيه، أما النحل، فقد قال تعالى: {وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى

ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل:٦٨-٦٩]، فالنحل يتخذ من الجبال، ومن الشجر مسكنًا وملاذًا له، ولمستقره، فإذا تسلل إليه لِصٌّا، وأراد أن يسطوا عليه دافع عن موطنه دفاعًا مستميتًا بالالتفاف حوله، ووخزعه حتى يترك المكان فَارًّا من الهجوم الشرس الذي يلاقيه، فإذا طُمست خليتها، فإنها تجدها مهما طُمست، والطيور تحب أوكارها، وَتَحِنُّ إليها، ولها غريزة العودة إلى الوطن، فعصفور الهزار يُهَاجِرُ جنوبًا في الخريف، ولكنه يعودُ إلى عشه القديم في الربيع التالي، وفي شهر سبتمبر تطير معظم أسراب الطيور إلى الجنوب وتقطع نحو ألف ميلٍ فوق عرض البحر، ولا تضل طريقها، أما العناكب المائية، فتصنع لنفسها عُشًّا على شكل منطادٍ من خيوط العنكبوت وتعلقه بشيءٍ ما تحت الماء، ثم تُمسك ببراعة فقاعة هواء في شعرٍ تحت جسمها، وتحملها إلى الماء، ثم تُطلقها تحت العش، ثم تكرر هذه العملية حتى ينتفخ العش لتلد صغارها وتُربيها آمنةً عليها من تيارات الموج، وأما الثعابين المائية والتي تُهاجر عند اكتمال نموها من مختلف البرك والأنهار، فإذا كانت في أوربا، فإنها تقطع آلاف الأميال في المحيط قَاصِدَةَ الأعماق السحيقة جنوبي (برمودا) وهناك تبيض وتموت، أما صغارها والتي لا تملك وسيلة لتعرف أي شيء، فإنها تعود أدراجها وتجد طريقها إلى الشاطئ الذي جاءت منه أمهاتها، ومن ثَمَّ إلى كل نهرٍ، أو بحيرةٍ صغيرةٍ، فَيُصْبِحُ كل جزءٍ من الماء، آهلاً بثعابين البحر، لتقاوم تلك الثعابين الصغيرة التيارات القوية لِتُغَالِبَ تلك الأمواج على كل شاطئٍ ليدفعها قانونٌ خَفِيّ، وفطرةٌ فَطَرَهَا اللهُ عليها إلى الرجوع حيث كانت بعد أن تتم الرحلة كلها، إذن، فمن عَلَّمَ هذه المخلوقات حب الأوطان، والتمسك به؟. إنه الله: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك:١٤]

وَطَنِي أُحِبُّكَ لاَ بَدِيلُ ... أَتُرِيدُ مِنْ قَوْلِي دَلِيلُ
سَيَظَلُّ حُبُّكَ فِي دَمِي ... لاَ لَنْ أَحِيدَ وَلَنْ أَمِيلُ

سَيَظَلُّ ذِكْرُكَ فِي فَمِي ... وَوَصِيَّتِي فِي كُلِّ جِيلِ
حُبُّ الْوَطَنْ لَيْسَ ادِّعَاءُ ... حُبُّ الْوَطَنْ عَمَلٌ ثَقِيلُ
وَدَلِيلُ حُبِّي يَا بِلَادِي ... سَيَشْهَدُ بِهِ الزَّمَنُ الطَّوِيلُ
فَأَنَا أُجَاهِدُ صَابِرًا ... لأُحَقِّقَ الْهَدَفَ النَّبِيلُ
وَطَنِي يَا مَأْوَى الطُّفُولَةَ ... عَلَّمْتَنِي الْخُلُقُ الأَصِيلُ
قَسَماً بِمَنْ فَطَرَ السَّمَاءَ ... أَلاَ أُفَرِّطُ فِي الْجَمِيلِ
فَأَنَا السِّلاَحُ الْمُنْفَجِرْ ... فِي وَجْهِ حَاقِدٍ أَوْ عَمِيلِ
وَأَنَا اللَّهِيبُ الْمُشْتَعِلْ ... لِكُلِّ سَاقِطٍ أَوْ دَخِيلِ
سَأَكُونَ سَيْفًا قَاطِعًا ... فَأَنَا شُجَاعٌ لاَ ذَلِيلُ
عَهْدٌ عَلَيَّا يَا وَطَنْ ... نَذْرٌ عَلَيَّا يَا جَلِيلُ
سَأَكُونُ نَاصِحُ مُؤْتَمَنْ ... لِكُلِّ مَنْ عَشَقَ الرَّحِيلُ

وبعد هذه المقدمة الطويلة يسألُ سائِل، ما وطنية الإخوان؟

فعند الإجابة على هذا السؤال لابد لنا أَنْ نذكر أَنَّ الحيوانات، والهوام عندهم من الوطنية، والاحتفاظ بالأرض والدفاع عنها ما لا يوجد عند بعض البشر.

فَوَطَنِيَّةُ الإِخْوَانِ:

خِيَانَةٌ لِمِصْرَ، وأرضِهَا، وشعبِهَا، وحدودِهَا، وإليك عزيزي القارئ الدليل، بالأقوال، والأفعال أما الدليل بالأقوال، فهو، كما قال «سيد قطب»: (ما الوطن إلا حفنةٌ من ترابٍ عفنٍ).

وقال الأستاذ «حسن الهضيبى» المرشد الثاني (لجماعة الإخوان) في إحدى المناسبات: (نحن معشر الإخوان المسلمين، لا نعترف بحدودٍ جغرافيةٍ في الإسلام،

وإن اهتمامنا مُوَجَّهٌ لعزة الإسلام، وسوف نخوض دفاعًا عنه المعركة التي تضم العالم الإسلامي بِرُمَّتِه، فعلى سبيل المثال قد لا يكون مهمًا بالنسبة للإسلام أن تبدأ المعركة في القناة، بل أن تبدأ من تونس أولاً، إن لنا خططنا وأهدافنا وقادتنا المستقلين الذين يُكَرِّسُونَ حياتهم لهذا المجال الرحب، وليس ضروريًا أن تستثمر رؤيتهم المحلية في مصر)[1].

وهذا ما يتفق تمامًا مع ما قاله (عبد الناصر)، (لحسن الهضيبى) في مقاومة العدوان الثلاثي، واحتلال مدن القناة سنة ٥٦، ألم يكن لكم وجود في الحرب معنا في مدن القناة، وما موقفكم من ذلك؟ فرد الهضيبي قائلاً: (إن حر بنا ستكون في أرضٍ ثانيةٍ غير هذه الأرض، يعني: إحنا حنشوف بلد تانية نحارب فيها).

وأما ما يُصرح به، بأن تعبئة المسلمين، والمجاهدين العرب للجهاد في فلسطين ضد اليهود، فإن الكتائب التي أرسلها «البنا» إلى فلسطين، لم تذهب إلا (لغزة، وخان يونس)، ولم تدخل إلى العمق الذي كانت الحرب فيه على أشدها، إذا أن الذي قاتل قتالاً حقيقيًا من المتطوعين من كتائب «أحمد حسين» صاحب جمعية مصر القناة، ولكن دعايات الإخوان أعطت لجماعتهم الدور الريادي على غير الحقيقة[2]!

ويقول الأستاذ «على عشماوي»: (فمثلاً حرب فلسطين التي يفخر بها الإخوان باستمرار، فإنهم لم يدخلوا إلا معارك قليلة جدًا فيها، ثم صدرت من الشيخ (محمد فرغلي» الأوامر بعدم الدخول في معارك بحجة أن هناك مؤامرة لتصفية المجاهدين، ولكن هذا كان مبرره في الأساس لحماية اليهود من إحدى القوى الخطيرة إذا استعملت، وتم تنفيذ الأوامر وظل (الإخوان) في معسكرهم لا يُحاربون إلى أن عادوا من فلسطين، وكان (شباب الإخوان) وقتها في غاية التوتر والقلق، لعدم اشتراكهم في المعارك، لدرجة أنهم اجتمعوا وقرروا أن «الشيخ فرغلي» قد خان وينبغي تصفيته،

(١) مذكرات. الأستاذ/ على عشماوي -آخر قادة التنظيم الخاص، لجماعة الإخوان -ص: (٦٠)
(٢) أئمة الشر للأستاذ/ ثروت الخرباوي ص: (٢٤٢).

وفعلاً قَرَّروُا ذلك، لولا أن الخبر قد وصل إليه، فاجتمع بهم وشرح لهم الأمر، وأطلعهم على الأوامر التي صدرت ـه من القاهرة وأسبابها[1].

ويقول الأستاذ/ ثروت الخرباوي، نقلاً عن كتاب «مارك كيرتس» والذي يكشف من الوثائق معاملات المخابرات البريطانية مع قادة الإخوان، وعن اجتماعاتٍ متكررةٍ ضمت «حسن الهضيبى»، و«صالح أبو رقيق، ومنير الدلة» مع «تريفور إيفانز» مستشار السفارة، وعرضهم عليه في منزل «محمد سالم» بقاء جيش الاحتلال في القناة، مقابل دعم انقلابهم ضد الثورة، والاشتراك في حلف عسكري ضد الشيوعية، (مُحَذِّرِينَ) من أنه لم يرى النور ما دام «عبد الناصر» حَيًّا، لأنه يرفض الأحلاف ويصفها بالاستعمارية، ثم يرصد الكتاب تصريح «الهضيبي» في يوليو ١٩٥٣ لوكالة (الأسوشيتدبرس): (الغرب سيربح إذا حكمنا مصر، سيفهم مبادئنا المعادية للشيوعية، وسيقتنع بمزايا الإخوان)، ولذلك كان طبيعيًا أن يسجل «أنتوني إيدن» وزير خارجية بريطانيا وقتها، في مذاكراته: (الهضيبي كان حريصًا على علاقاتٍ ممتازة معنا، بعكس ناصر)، ونقلاً من مذكرات «حسن البنا»، والدعم الذي تلقاه من الانجليز لتأسيس جماعته حين كان في مدينة الإسماعيلية، والذي كُشف من طبيعة هذا الدعم واستمراره من خلال كتابات «روبرت دريفوس، ومارك كيرتس»، فإن خط سير الجماعة كشف بعد ذلك عن أشياء كثيرة، منها ما كان يحدث من مقاومة مصرية للإنجليز في مدن القناة الأعوام من ١٩٥٠ إلى ١٩٥٣، حيث كانت أعمال الفدائيين المصريين وقتها تُبهر العالم، وكان المشهد رائعًا، قوافل من الفدائيين تتحرك في سريةٍ تامةٍ إلى مدن القناة، لِتُحِيلَ معسكرات الإنجليز هناك جَحِيماً، حيث كان الفدائيون ينبضون بالعاطفة الوطنية الصادقة وهم يسمعون من خلال عملياتهم إلى إقلاق الإنجليز، وَجَعْلِ تواجدهم في المنطقة يكون مستحيلاً، وكانوا يحتاجون إلى تشجيع القوى السياسية لهم، حيث

(١) مذكرات، الأستاذ/ على عشماوي آخر قادة التنظيم الخاص، لجماعة الإخوان -ص: (٨، ٩).

كانت كتائب المجاهد المصري «أحمد حسين» رئيس جمعية مصر الفتاة تقوم بالجهد الأكبر، ويقول (الإخوان) عبر مذاكرتهم الشخصية إنهم كانوا من المجاهدين في القناة ضد الإنجليز، ولكن هل هذا الأمر كان حقيقيًا، ولكن المرشد الثاني «حسن الهضيبي» «يُنكر ذلك، وَيَسْخَرُ من الفدائيين هناك، فيقول ساخرًا لمجلة (الجمهور المصري عدد مارس ١٩٥٢): (هل العنف سَيُخرِجُ الإنجليز؟) ثم قال: (قلت لشباب من الإخوان، طلبوا الانضمام للفدائيين ضد الإنجليز: اذهبوا واعكفوا على تلاوة القرآن)[1].

إذن فالقضية عند (جماعة الإخوان)، ليست الحفاظ على أمن الوطن، ولكن القضية عندهم اغتصاب هذا الوطن، لتسليمه إلى أعداء هذا الوطن، أما ما يعرفون حقيقتهم واضحةً، جليةً أمام نَاظِرَيْهِمْ، ويقولون بالرغم مما تواجههم بالوثائق، والحقائق من كل اتجاه: الله أعلم، أي: يُكَذِّبُونَ كل كلام يُقَالُ، بخلاف الواقع الذي يشهد له كل متنطع، يَهْرِفُ بما لا يعرفُ، عَمِيَتْ أعينهم، وَغُلِّفَتْ قلوبهم، وَصمَّتَ آذانهم، وَأُغْلِقَتْ صدورهم عن الحقيقة، فأقول لمن يعرف الحقيقة، أي: (حقيقة جماعة الإخوان) إذا صادفك موقف مثل هذا، وتحاورت مع أَيٍّ منهم وسمعت منهم ما يُشكك في عرضك لحقائقهم، فلا تُولي لهم اهتمامًا، وكأنهم لا يجلسون معك، واستمر في سَرْدِكَ لحقيقتهم، لأن هذا دأبهم، وَدَيْدَنَهُمْ، فإنهم يُكذبون الحقائق، حتى تتوه معالمها، لتستوى بالكذب، وهذا مُنَافٍ لمبادئ الإسلام وعدله، لأن كفة الباطل لا تستوي مع كفة الحق أبدًا، ولأن الوثائق، هي أم الحقائق، فإليك تلك الحقائق بالأفعال على أرض الواقع، لتثبت أن (جماعة الإخوان) هي أصل إثارة الفتن، وَدَسَّ الدسائس، والمكائد، كالمثل القائل: (يِعْمِلِ الْعَمْلَهْ، وَيِلْبِدْ لَكْ فِى الدُّرَهْ، أو زَيَّ الذِّيبْ اللَّى بِيَسْرَحْ بِالْغَنَمْ)، أو (بِيقْتِلْ القْتِيلِ، وَيِمْشِى فِى جَنَازْتُهْ)، وَالْآن سَأَسْرِدُ لِلْقَارِئِ الْعَزِيزِ بَعْضًا مِنْهَا.

- أحداث محمد محمود (١): تم خلالها اغتيال عشرات الشباب، وتصفية عيون

(١) أئمة الشر، للأستاذ/ ثروت الحزباوى، ص: (٩٦-٩٧).

الكثير منهم في شارع «محمد محمود» بوسط القاهرة والمتفرع من ميدان التحرير باتجاه وزارة الداخلية، وكانت الاشتباكات قد اشتعلت في الثمن عشر من نوفمبر ٢٠١١ إثر اعتداء الشرطة على عدد محدود جدا من أسر الشهداء كانوا متمركزين في وسط الميدان (الصينية)، وهو الأمر الذي أثار العديد من المتظاهرين والنشطاء، خصوصًا بعد نشر مقاطع فيديو وصور للاعتداءات، وشاركت أعداد كثيرة جِدًّا في هذه المظاهرات إلى درجة أن أُطلق عليها الموجة الثانية للثورة، وتعليقًا على ذلك أن ظاهرة تصفية عيون المتظاهرين لم تكن معهودة في المظاهرات قبل ذلك ولكنها ظهرت في تلك الآونة لعدد من ميلشيات جماعة الإخوان الذين تم تدريبهم في غزة من حركة حماس.

- **أحداث مجلس الوزراء:** بدأت بعد أحداث محمد محمود الأولى والتي راح ضحيتها أكثر من ٤٠ متظاهرًا، فبدأت مجموعات من النشطاء في الاعتصام أمام مجلس الوزراء حتى استقال الدكتور «عصام شرف» رئيس مجلس الوزراء، وتم تعيين الدكتور «كمال الجنزوري»، فاستمر الاعتصام احتجاجًا على هذا التعيين، ورغم أن الاعتصام ظل سلميًا لبعض الوقت، إلا أن الاشتباكات اندلعت بين المتظاهرين والشرطة العسكرية، واستخدمت فيها الحجارة والمولوتوف مما أدى إلى حريق «المجمع العلمي»، وقد خلفت الاشتباكات ١٧ قتيلاً، ونحو ١٩١٧ مُصَابًا كما اقتحمت القوات خلال هذه الأحداث ميدان التحرير، وتم خلال هذا الاقتحام سحل الفتاة (المعروفة إعلاميًا بست البنات) وتعريتها في واقعةٍ شهيرةٍ استحوذت على اهتمام الإعلام في الداخل والخارج، وتعليقًا على ذلك أيضًا فأقول: أن (جماعة الإخوان) كانت رافضةً رَفْضًا بَاتًّا لكل من اللواء «عمر سليمان، والدكتور (كمال الجنزوري) حتى أننا قد ذكرنا قبل ذلك وما جاء في «الملاءة الرطبة» أنهم قد هددوا اللواء (عمر سليمان) باغتياله عند توليه السلطة بعد مبارك في فترة مؤقتة، وإما أن يهاجر مصر، وقالت إنه عَدُوُّ الإخوان

الأول.

- **أحداث محمد محمود(٢)**: تكررت الأحداث في العام التالي في نوفمبر ٢٠١٢ حيث حاولت مجموعة من الشباب إحياء ذكرى الأحداث مجدداً، وقد تسببت الاشتباكات بين المتظاهرين وقوات الأمن واستمرت عدة أيام أسفرت عن مقتل الناشط السياسي (جابر صلاح جيكا») وإصابة العشرات من المتظاهرين.

- **أحداث مدينة الإنتاج الإعلامي**: حشد الشيخ "حازم صلاح أبو إسماعيل"، عددًا كبيرًا من أنصاره، أمام مدينة الإنتاج الإعلامي، وأعلن الاعتصام أمامها بدءًا من يوم الجمعة ٧ ديسمبر ٢٠١٢، وقال إنه أتى للضرب بيدٍ من حديدٍ على إعلام الفتنة الذي يريد إحراق البلاد والدفع بها نحو النفق المظلم، واشترط "أبو إسماعيل" لتعليق اعتصامه، انسحاب متظاهري الاتحادية من محيطه وفض اعتصامهم، وخاطب أنصاره قائلاً: إن الإعلام له دور كبير في هذه اللحظة الراهنة، وزعزعة استقرار البلاد من خلال القتل الممنهج والحرائق المتكررة في المباني، والمؤسسات العامة والخاصة، وكان ١٦ حزبًا، وحركةً إسلامية قد دعوا جموع الشعب المصري للاحتشاد أمام البوابة رقم ٤ بمدينة الإنتاج الإعلامي، وقالوا في بيانٍ لهم، إن ذلك يأتي، نظرًا لتصاعد الأحداث لإجهاض الثورة المصرية التي قامت في ٢٥ يناير، وقد تعرض بعض الإعلاميين لأعمال العنف أثناء دخولهم مدينة الإنتاج الإعلامي؛ مثل الكاتب الصحفي "خالد صلاح" رئيس تحرير (اليوم السابع) والمخرج "خالد يوسف" واضطر الكثير من الإعلاميين للدخول من الأبواب الخلفية لمدينة الإنتاج الإعلامي فرارًا من المتظاهرين أمام أبواب المدينة، وتعليقًا على ذلك أيضًا، أنه قد ظهرت الأنياب الزرقاء "لأبو إسماعيل" وَتَحَوَّلَ الداعية الإسلامي من الداعِ إلى الرقائقِ، ونشر الخير والسلام، إلى الداعِ إلى الإرهاب والتطرفِ، حَالُه، كَحَالِ "صفوت حجازي، ومحمد عبد المقصود"، وقد قام "جمال صابر، وولدية" بقتل بعض متظاهري شبرا، والذي

كان يتولى الدعاية الانتخابية "لأبو إسماعيل" لو كان قد دخل لانتخابات الرئاسية، ويحاكم الآن "جمال صابر وولديه" بتهمة قتل بعض متظاهري شبرا.

- **أحداث مسجد القائد إبراهيم:** شهدت ساحة مسجد القائد إبراهيم بالإسكندرية في الرابع عشر من ديسمبر ٢٠١٢ مواجهة بين معارضي الرئيس وعدد من المؤيدين، أسفرت عن إصابة عشرات المتظاهرين، واحتراق ٣ سيارات، وفيما قام عدد من المتظاهرين بقطع طريق الكورنيش، بعدما تبادل الطرفان بالرشق بالحجارة، حتى تدخلت قوات الأمن المركزي بالقنابل المسيلة للدموع لتفريق المتظاهرين، كان الآلاف قد خرجوا للتظاهر في ساحة مسجد القائد إبراهيم بالإسكندرية، اعتراضًا على مسودة الدستور، وإصدار رئيس الجمهورية على إجراء الاستفتاء على الدستور في موعده، وردد المتظاهرون العديد من الهتافات الرافضة للدستور، ولجماعة الإخوان، والمرشد، والرئيس «محمد مرسى»، وساهمت خطبة الشيخ «أحمد المحلاوي» إمام مسجد القائد إبراهيم في اشتعال الأحداث، وعقب الصلاة، حدثت مناوشات لفظية بين المؤيدين والمعارضين، تلاها تراشق بالحجارة، وقام عدد من المتظاهرين بمحاصرة مسجد القائد إبراهيم لمحاولة التعدي على الشيخ «أحمد المحلاوي» ومنعه من إلقاء كلمة للمصلين بعد الخطبة، وطرد المؤيدين «لمرسى» في ساحة المسجد، وتطورت الأمور بعدما قام مؤيدو قرارات الرئيس بخطف ٥ أشخاص من المتظاهرين المعارضين[1].

- **موقعة الجمل، والتي حدثت يومي ٢،٣ فبراير ٢٠١١م:**

أودعت محكمة جنايات القاهرة، حيثيات حكمها ببراءة ٢٤ من رموز الحزب الوطني المنحل، وعدد من رجال لأعمال، والمتهمين في قضية قتل المتظاهرين يومي٢، ٣ فبراير ٢٠١١ بميدان التحرير، والمعروفة إعلاميًا بإسم "موقعة الجمل"

(١) التقرير الاستراتيجي العربي -٢٠١١ -٢٠١٢ -ص: (٤٧٥-٤٧٦).

ومنهم الدكتور "فتحي سرور" رئيس مجلس الشعب السابق، و"صفوت الشريف" رئيس مجلس الشورى السابق، و"عائشة عبد الهادي" وزيرة القوى العاملة السابقة، والمحامي "مرتضى منصور" ورجل الأعمال محمد أبو العينين، و"رجب حميدة" عضو مجلس الشعب السابق.

وقالت المحكمة برئاسة المستشار "مصطفى حسن عبد الله"، في حيثيات حكمها، التي جاءت في ٦٠ صفحة، إنها لا تطمئن إلى صحة الاتهام المسند إلى المتهمين، وإن أوراق القضية خلت من أيِّ دليلٍ يقينيٍّ وجازمٍ على ما نُسب إليهم من اتهامٍ بالتحريض على ارتكاب الجريمة، أو الاتفاق، أو المساعدة على ذلك.

وأضافت المحكمة أن أوراق القضية تفتقر إلى الأدلة، وأقوال شهود الإثبات لا يوجد بها أي دليل يقيني يؤيدها وتطمئن المحكمة إليه، الأمر الذي يجعلها محل ريب وشكوكٍ ولا تطمئن إليه المحكمة، وأن الشهادات جاءت سمعية، وظنية، واستنتاجيه، وجاءت اعترافات المتهمين الذين ضُبطُوا نتيجة الإكراه الواقع عليهم بالتعدى بالضرب وإحتجازهم بمعرفة المتظاهرين فى أماكن عدة داخل ميدان التحرير حسبما شهد بعض شهود الإثبات، إضافة إلى عدم اطمئنان المحكمة إلى بعض شهود الإثبات حيث جاءت مشوبة بالكيدية والتلفيق لخلافات سابقة سياسية، وحزبية، ونقابية بين الشهود والمتهمين.

وجاء بشهادة اللواء "حسن الروينى" أن المهمة الأساسية لوحدات القوات المسلحة بميدان التحرير اعتبارًا من ٢٨ يناير وحتى صباح ٣ فبراير ٢٠١١ كانت تأمين الأهداف الحيوية والمنشآت الموجودة بمحيط ميدان الحرير، وأنه كان متواجدًا بالميدان أيام ١و٢و٣ فبراير من عام الثورة، وشاهد على شاشة مركز القيادة وجود أفراد أعلى العقارات الموجودة أمام المتحف المصري بالميدان، وأحدهم مُلتح ويرتدي جلبابًا ويعتقد أنه من (جماعة الإخوان) وأنه التقى يوم ٣ فبراير بالدكتور

"محمد البلتاجي" بالميدان، وطلب منه إنزال الأشخاص الموجودين أعلى العقارات وإلا سيستخدم القوة معهم، وتم إنزالهم، وتعهد له بتأمين المتظاهرين داخل الميدان، ولم يحدث أيَّ تَعَدٍّ على لمتظاهرين بالميدان اعتبارًا من ٣ فبراير، وحتى ١١ من ذات الشهر، تاريخ تخلى الرئيس الأسبق عن الحكم، وأشارت المحكمة إلى أن أوراق القضية خلت من أي دليلٍ قوليٍّ، أو فنيٍّ

على حدوث أي اتصالاتٍ هاتفيةٍ بين المتهمين تؤيد ما تضمنه أمر الإحالة بالتهمة الأولى المسندة إليهم بتلاقي واتفاق إرادتهم من خلال الاتصالات الهاتفية التي جرت بينهم على إرهاب وإيذاء المتظاهرين السلميين بميدان التحرير، كما ثبت بشهادة الدكتور "صفوت حجازي"، والدكتور طارق زيدان "أن المتظاهرين بميدان التحرير كانوا يعتدون بالضرب على من يتم ضبطهم من مؤيدي النظام السابق، وكانت محكمة جنايات القاهرة قد قضت في ١٠ أكتوبر ٢٠١٣، برئاسة المستشار "مصطفى حسن عبد الله"، وعضوية المستشارين "أنور رضوان، وأحمد الدهشان" ببراءة جميع المتهمين في قضية الاعتداء على المتظاهرين يومي ٢، ٣ فبراير ٢٠١١ بميدان التحرير، والتي عُرفت إعلاميًا (بموقعة الجمل)[1].

ثم يأتي الأستاذ "أمير سالم" في خاتمة كتابه الدولة البوليسية في مصر: (في يوم السبت ٢ يونيو ٢٠١٢) وأمام محكمة الجنايات صدر الحكم المشؤوم الذي يمثل زلزالاً في عرش العدالة والقضاء، ببراءة كل قيادات وزارة الداخلية مساعدي العادلي وزير الداخلية من جرائم قتل شهداء الثورة والمصابين جملةً وتفصيلاً وسبقتها أحكام متتالية ببراءة كل ضباط الشرطة وأمناء الشرطة والجنود على مستوى كافة أقسام الشرطة في أنحاء جمهورية مصر العربية، وذلك كله تأكيدًا لاستمرار نظام وحكم

(1) http://www.oc.mas/yaclyum.com/news/detocils/261605

الدولة البوليسية في مصر)[1].

ولم يكلف نفسه البحث عن الطرف الثالث، ولم يكلف نفسه أيضًا الاعتذار بعدما علم الطرف الثالث المتورط في تلك القضية وهم (جماعة الإخوان)، والدليل: هو في تسجيل مصور للدكتور "أسامة ياسين" أذاعته قناة (الجزيرة) اعترف فيه تفضيليًا بأن قيادات مكتب الإرشاد كانت تتابع معه الموقف لحظةً بلحظةٍ وتبلغه بكل المعلومات عن تحركات أنصار (الوطني) كَاشِفاً أنه قاد مجموعات من الثوار (وشباب جماعة الإخوان) لإلقاء القبض على بلطجية (الوطني) المتواجدين على أسطح العمارات واحتلال مواقعهم، وقد كللت جهودهم بالنجاح، وأثناء التحقيق معه أمام نيابة شرف القاهرة، بشأن أحداث (موقعة الجمل) قال "ياسين": (الحزب الوطني خطط، والإخوان نفذوها) لاَفِتًا إلى أنه في المقابل تعهد قيادات (الوطني) بالإفراج عن بعض قياداتهم في المتعقلات والتزم بإجراء انتخابات برلمانية تكون للإخوان الأغلبية فيها من أجل القضاء على ثورة ٢٥ يناير، وبينما تؤكد هذه الاعترافات أن (الإخوان) كانوا يسطيرون على مجريات الأحداث يوم (موقعة الجمل)، نشير إلى أنه حتى الحادية عشرة من مساء الثاني من فبراير لم تسفر المواجهات بين ثوار (التحرير) وأنصار (الوطني) إلا عن وقوع عشرات الإصابات نتيجة تبادل القذف بالطوب والرخام، إلا أن الموقف تغير تمامًا بعد سيطرة (مجموعات الإخوان) على أسطح العمارات، حيث بدأت عمليات القنص، وسقوط عدد من شهداء الثورة على أيديهم، وجاءت شهادة اللواء "حسن الروبني" عضو المجلس العسكري السابق في القضية، لتؤكد ذلك، حيث قال لـ "البلتاجي" خلال لقاء جمعهما في الميدان: ("يا بلتاجي" نزل رجالتك بدل ما نضربهم) مُؤَكِّدًا أن (الإخوان) اعتلوا أسطح المنازل وقاموا بضرب المتظاهرين، فيما قدم اللواء "عمر سليمان" رئيس المخابرات السابق، تقريرًا إلى

(١) الدولة البوليسية في مصر، الثورة والثورة المضادة، للأستاذ/ أمير سالم. ص: (٤٣٧).

الرئيس المخلوع "حسنى مبارك" أكد فيه أن عناصر من (حركة حماس) اخترقت مصر، واشتركت مع (الإخوان) في قتل المتظاهرين يوم (موقعة الجمل) لاَفتًا إلى أن (الإخوان) استخدموا نَوْعًا غريبًا من الذخائر غير موجود في مصر، وأن هذه الأسلحة تم تهريبها لهم من سيناء عن طريق كتائب (القسام) التي تدعمها حماس، مشددا على أن الشرطة المصرية لا تملك هذه الذخائر، وأنها بريئة من قنص المتظاهرين، والمستندات التي تؤكد تورط (الإخوان) في قتل المتظاهرين يوم موقعة الجمل كثيرة ومنها أن أجهزة سيادية رصدت شبكة اتصالات لاسلكية حديثة مثبتة داخل إحدى شركات السياحة المتواجدة في (ميدان التحرير)، وبالرصد تبين أنها تتبع (الجماعة) ويرأس مجلس إداراتها أحد أكبر قياد تها، المدعو "أحمد.ج" ومن خلال تلك الشركة تمكنت الجماعة من تثبيت شبكة اتصالات لاسلكية داخل مقرها قبل ثورة ٢٥ يناير بأربعة أيام ليكون مقر الشركة بمثابة غرفة عمليات لإدارة الأحد ث من خلالها[1].

- أحداث بورسعيد: وقعت في الذكرى الأولى لموقعة الجمل في الثاني من فبراير ٢٠١٢ في مباراة كرة القدم بين فريقى المصرى والأهلى فى استاد بورسعيد الرياضى حيث تم الإعتداء على مشجعى النادى الأهلى عقب المباراة، وأسفرت الأحداث عن مقتل ٧٣ من جماهير النادي الأهلي (الأولتراس)، وقد اعتبر البعض أن هذه الأحداث عقابًا للأولتراس لمشاركتهم في أحداث (محمد محمود، ومجلس الوزراء) التي كانت بصمتهم فيها لا تخفي على أحد، وقد تسببت هذه الأحداث في العديد من أحداث العنف الأخرى أبرزها ما حدث في بورسعيد عقب الحكم على بعض المتهمين في القضية بعد سنة تقريباً بالإعدام على ٢٢ متهمًا، وهو الأمر الذي تسبب في مقتل أكثر من ٥٠ مواطنًا في صدامهم مع قوات الأمن التي قتل وأصيب

(١) مجلة الإذاعة والتليفزيون السبت ١ ربيع الثاني ١٤٣٥هـ -١فبراير ٢٠١٤م -السنة (٧٩) -العدد (٤١١٦) ص: (٢٤).

بعض رجالها في الأحداث أيضًا، كما تم حرق مباني الشرطة، كمبنى الأمن الوطني، ومبنى المحافظة، وقد تصاعدت الأحداث بعد الحكم النهائي بالإعدام لمن سبق إحالة أوراقهم للمفتى، والحكم بالسجن المؤبد للبعض، والمشدد للبعض الآخر، وسنة لمتهم واحد، والبراءة ل ٢٨ متهمًا[1].

- وقد تم تأجيل تنفيذ الأحكام على المتهمين لظهور أدلةٍ جديدة للقضية، بشهادة الدكتور "أسامة ياسين" وزير الشباب السابق، بأن وراء هذه الحادثة، والمحرضون عليها، المهندسي "خيرت الشاطر، والدكتور أكرم الشاعر، والدكتور محمد البلتاجي، والدكتور صفوت حجازي"، وكان السبب وراء هذا التحريض إثارة الفتنة، وإشاعة الفوضى في البلاد، ومن ناحيةٍ أخرى قد تقدم الكاتب الصحفي والناشط السياسي "حسام السويفي" ببلاغ إلى النائب العام المستشار "طلعت عبد الله" اتهم فيه "الشاطر، والشاعر، وحجازي" بالتورط في التحريض على ارتكاب مجزرة ستاد بورسعيد، والتي وقعت في أول فبراير ٢٠١٣، وأرفق "السويفي" مع بلاغه رسالة خطية من الشاب الإخواني "سعيد عبد السلام محمود قنديل" الذي كان يعمل لدى "خيرت الشاطر" ومن ضمن طاقم حراسته الخاصة

إلى شقيقته "سوسن" وكشف فيها تفاصيل تورط قيادات الإخوان وحجازي في مجزرة الإستاد، وفيما يلى نص الرسالة :بسم الله الرحمن الرحيم:

(أختي سوسن: أنا بخير يا أختي وعاوزك تطمئني عَلَيَّ وتخلي بالك من أمك، وأخواتك... والله ياأختى أنا مظلوم ومنهم لله "محمد البلتاجي، وصفوت حجازي" هما اللي قتلوا بتوع بورسعيد، وظباط أمن مركزي خدوا ٨ مليون جنية من " المهندس الشاطر"، ولبسوا العساكر فانلات كورة، "وأكرم الشاعر، وابنه، وقريبهم الظابط" هما

(١) التقرير الاستراتيجي العربي ٢٠١١-٢٠١٢، ص: (٤٧٥).

اللى ظَبّطُو كل حاجة، والله يا أختي أنا (كلمة غير مفهومة) ناحية الفلوس خالص (كلمتان غير مفهومتان) أخوكي كويس، ومنه لله "صفوت حجازي" هو اللي ظلمني وربنا يا أختي هيظهر الحق قريب خالص، ولو جرالى أي حاجة عاوزك تروحى المديرية وتاخدي معاك ولاد عمك "محيى، وجمال" وتبلغي عن كل حاجة، وأنا بحاول أشوف طريقه علشان أهرب، وعاوزكو تدعولي ومش (كلمة غير مفهومة) على أمك واخواتك)

في هذا السياق قال السويفي: إن هذا الشاب البالغ من العمر ٣٦ عاما، كان متواجدًا أثناء الاجتماع الرباعي بين "محمد البلتاجي، وصفوت حجازي، وأكرم الشاعر "بمقر (جماعة الإخوان، قبل حدوث المجزرة بيومين فقط، والذي تم فيه تسليم الشاعر لمبلغ ٨ مليون جنية كاش، لتوصيلهم إلى بعض القيادات الأمنية ببورسعيد، أي: "الأمن المركزي بالتحديد، وأحد كبار ضباط البحث الجنائي بمديرية أمن بورسعيد" وتلقينهم التعليمات النهائية لتنفيذ خصة المجزرة، وهذا الشاب أيضا كان من ضمن ٣ آخرين من شباب الجماعة ممن قاموا بعملية (عد النقود) بو سطة ماكينات العد الأوتوماتيكية، والتي تمتلك الجماعة ٤ ماكينات منها بمقرهم الرئيسي بالمقطم، وكان مكلفا (برص رزم النقود بداخل 'لشنطة) وفي فجر يوم ٣ فبراير ٢٠١٢ فوجئت شقيقته الكبرى "سوسن" بعدد كبير من "بلطجية الشاطر" وهم يقتحمون منزلهم الكائن "بمنطقة منشية ناصر، ويلقون القبض على شقيقها الأصغر "سعيد" ومنذ ذلك اليوم وحتى الآن الشاب مُختفيا، ولا أحد يعرف مكانه سوى أحد أصدقاءه من شباب الجماعة، وكشف البلاغ عن عدة وقائع من بينها:

أولا: الشاب المختطف المدعو: سعيد عبد السلام محمود قنديل -٣٦ عاما، وعضو "بجماعة الإخوان"، ويعمل لدى الشاطر منذ عام ١٩٨٨.

ثانيا: الشاب مصدر الوثيقة، والصديق الصدوق للمدعو (سعيد).. حاصل على مؤهل متوسط، وكان عضو "بجماعة الإخوان" وتركها منذ سنوات، ويقطن في إحدى المراكز القريبة من القاهرة، وكان يقيم بصفة دائمة لدى صديقه "سعيد" بمنشية ناصر، وقد حكي لنا عن ظروف وأسباب اختفاء صديقة وقال: الدكتور "صفوت حجازي" نقل كَذِبًا إلى "الشاطر" بأن سعيد قام بإختلاس ١٠٠ ألف جنية أثناء عملية العد، وقال له بأن الدكتور "أكرم" قد أبلغة بذلك فور وصوله إلى بورسعيد، وادعى أيضا للشاطر، بأنه قام بمعاتبته، وتوجيه اللوم له، لقيامه بسرقة النقود وقال للشاطر بالحرف الواحد: الواد ده أصبح خطر علينا جميعًا، لقد قام بتهديدى بفضح خطة المجزرة في حالة إبلاغك بأمر السرقة، وادعى أيضا بأن سعيد صرخ في وجهه وقال: اللي هيقطع عيشي هقطع رقبته[1].

أما الأمر الثاني، فهو ملف التخابر، أو التجسس:

فالتخابر، أو التجسس، أو التنصت لصالح بلادٍ أجنبيةٍ، المراد منه: أَنْ يَفِتَّ عَضُدَ المجتمع المصريِّ أي: يفتتهُ، ويفرقهُ، فهل هذا الكلامُ يجوزُ عند حاكمٍ يَدَّعِي أعوانهُ، ومُريديه، بأنهُ حاكمُ إسلاميٌّ؟ فإذا أجاب الرجلُ المنصفُ، وقال: ما أراه على أرض الواقع، أن نعم، يقول لك: من أين أتيت بذلك؟ فإذا أتيت له بالمصدر، يُكذبك، ويكذب كل شيءٍ، إلا نفسه، ولذلك عندما التقيت ببعض أصحاب اللحى، وتذاكرنا ما يحدث على أرض الواقع، فخرج منى، أن "مرسى" نجح في الانتخابات الرئاسية بالتزوير، وعددت له الحقيقة، ألا وهي: التزوير في المطابع الأميرية، وهم أساتذة في ذلك، وقد تعلموها من "الحزب الوطني"، بل فاقوهم في هذا المجال -٢- عدم السماح للأقباط في المنيا، بالإدلاء بأصواتهم، وإرهابهم وإرعابهم-٣- شراء أصوات الفقراء بالزيت، والسكر، والبطاطس-٤- مشروع النهضة، والمسمى إعلاميا الآن، بالفنكوش-٥- الاعتراف المعلن في القنوات الفضائية، والصحف العالمية، والمحلية،

(١) شبكة الإنترنت.

وذكرت له: أن صحيفة "معاريف الإسرائيلية" قد ذكرت، بأن مرسى نجح في الانتخابات الرئاسية، بنسبة ٤٠٪، فقال لي بالحرف الواحد: يا فلان انت بتصدق صحيفة إسرائيلية، فعند ذلك الحد، وجدت أنه مُغَيَّبٌ عن الواقع تماماً؛ لأنه لم يذكر ذلك وفقط، بل ذكر أن العسكر قاتلون، فذكرت له، بأن "حزب النور" يؤيدون العسكر، لأنهم علموا حقيقة "مرسي وجماعته" عندما تعاملوا معه، وذكرت له "حزب النور" بالذات، لأنه سَلَفِيُّ المنهج، وما عليه إلا أنه اعترض، وخاض في الجميع، وقال: أيعجبك حكم العسكر القاتلون؟ فيا أخي إذا اعتدى عليك، وعلى أسرتك رجل، فماذا تفعل؟ يا أخي إذا أَمَّنَكَ الله على مكان ما، مثل سيناء، ورفح، والعريش، وغيرها، وجاءك الإرهابيون يحتلون هذه الأماكن، ويقتلون الأبرياء، وَيَعِيثُونَ في الأرض الفساد، فيهلكون الحرثَ، والزرع، والنسل، فماذا تصنع؟ يا أخي إذا كنت أميناً، أوراعيًا للجيش، والجيش هو حامي الحدود، والأوطان، والأفراد، وطلبت من الشعب تفويضك، بل يأمرك، بمحاربة الإرهاب، فهل تترك الحدود، والأوطان، والأفراد، لأناس ليس لهم هم، إلا الخيانة، وبيع تراب هذا الوطن، وتفتيته، وسفك دمه، أم أنت مُبَرْمَجٌ علىٰ أن الْعَسْكَرَهُمُ القتلةُ، وفقط، أقول لك: حَكِّمْ الْعَقْلَ أَوَّلاً. وُكُنْ وَسَطِيَّ الْمَنْهَجِ، لَا تُغَالِي، وَلاَتُفَرِّطْ، فإن في المغالاةِ ظلمٌ، وكذلك في التفريط ظُلْمٌ، كما كان معلم البشرية وَسَطِيٌّ في منهجه، فقد جاء في الصحيحين من حديث أنس -رضي الله عنه- واللفظ للبخاري، أنه قال: جاء ثلاثةُ رهْطٍ إلى بيوت أزواج النبيﷺ يسألون عن عبادة النبيﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تَقَالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبيﷺ، قد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ وقال أحدهم أما أنا أُصلي الليل أبدا، وقال الآخر: أصومُ الدَّهْرَ ولا أُفطر، وقال الآخر: أنا أعتزل النساء، فلا أتزوجُ أبداً، فجاء رسول الله ﷺ، فقال: (أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذا وَكَذَا.. أَمَا وَ اللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَ أَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَ أُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَ أَرْقُدُ، وَ أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)[1].

(١) الحديث متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) عن أنس-رضي الله عنه-، وجاء في الإرواء برقم: (١٧٨٢)، ومختصر مسلم برقم: (٧٩٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (١٣٣٦)، والرهط، هم مجموعة العدد، من الثلاثة إلى التسعة.

قال تعالى: { وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } (البقرة: ١٤٣).

أما عن ملف التخابر، فهل لهذا الكلام من دليل؟

نقول بحمد الله تعالى، سنأتي بالدليل من جميع الاتجاهات، وهي كالآتي:

الاتجاهُ الأولُ، وهو من عند أنفسهم، كما جاء على لسان الأستاذ "على عشماوي" قَائِلاً: (يُولعُ الإخوانُ دائماً بجمع المعلومات والتجسس على الآخرين، وهم يفخرون دائما أن لديهم جهاز مخابرات قادرٌ على جمع وتحليل المعلومات، فهم يتجسسون على كل شيء، على الأحزاب والهيئات، والحكومات، بل على الأجهزة، وكل فردٍ في موقعه جاسوس لحساب الجماعة، فكل موظف، وكل عامل يُرسل باستمرار وظيفته أو عمله إلى قيادة الجماعة، بل كل ضابط، وكل شرطي يقوم بنفس العمل لحساب قيادته داخل الجماعة، وأن هذا السلوك ينوط بهم منذ نشأتهم، فهم يتجسسون على الشيوعيين، وعلى الوفد، فقد قام (الإخوان) بإدخال كوادرهم إلى التنظيمات الشيوعية فى مصر، وأدخل (أسعد السيد) الذى كان فى مخابرات الإخوان إلى حزب "مصر الفتاة"، وبعد أن وصل إلى أعلى الدرجات هناك وهو الحرس الحديدي، قام بإقناع "أحمد حسين" أنْ يَدْخِلَ الإخوان ليأتيه بأخبارهم، ولما ضُبِطَ مع الأخوان في حادث السيارة الجيب، "تطوع أحمد حسين" للدفاع عنه مُعْتَقِدًا أنه ضُبِطَ مع الإخوان خطأ، وقد قام "الإخوان" بجمع المعلومات عن القيادة البريطانية في القناة، ومن الأحداث التي رواها "صلاح شادي" عن علاقته بالضابط الإنجليزي "جود" الذى كان على علاقة بالعملاء من المصريين، وطبعاً كان هدف "صلاح شادي" من القصة أن يعرف أسماء العملاء، فصحبه من الإسماعيلية إلى القاهرة، وكانت معه سيارة يقودها "حسن" أحد ضباط الطيران العراقي الهارب من الحكم العراقي بسبب

ثورة "رشيد عالى الكيلاني"، ولجأ إلى الإخوان في القاهرة، وكلفت بوضعه تحت رعايتي، والاستفادة من إمكاناته، حتى تتهيأ له أسباب العودة)[1].

ثم يستطرد الكاتب قائلاً: (ومن العمليات التي قاموا بها وهي متابعة تنظيم الضباط الأحرار وجمع المعلومات عنهم وإلحاق بعض الإخوان معهم مثل "عبد المنعم عبد الرؤوف، وأبو المكارم عبد الحي، ومحاولة احتواء أنور السادات" الذى كان همزة وصل بينهم وبين قادة الثورة، ووصل الأمر بالإخوان أنهم تصوروا أنهم يسيطرون سيطرة تامةً على ضباط الحركة حتى وصل الأمر إلى أن المرحوم الأستاذ "الهضيبي" كان يتعامل معهم بعد أن قامت الثورة، على أنهم يأخذوا تعليماتهم من قادة الإرشاد، ورفض "عبد الناصر" ذلك الأمر رفضاً بَاتًّا، وهكذا تبين أنهم يجمعون المعلومات ويقومون باختراق الآخرين، لكنهم في النهاية دائما يفشلون في تحليل المعلومات وتقدير المواقف، وذلك لأنهم يعيشون في خيالاتٍ من عندهم تمنعهم من التقدير الموضوعي للأمور، فقد راقبوا الملك وعرفوا بجميع علاقاته النسائية بالتفصيل وسهراته على موائد القمار، وعرفو جميع أوراقه، حتى النساء اللاتي عرفهن الملك، وراقبوا الوزراء ورجالهم، وعلموا عنهم الكثير، وقد استعملو تلك المعلومات عن الملك حين يختلفون معه ويرغبون في لهجوم عليه، وهكذا بوظفون معلوماتهم عند اللزوم أحياناً، ولقد راقبوا حُكَّامَ الدول العربية التي عملوا بها، وُفُتِحَتْ لهم أبوابها، كم جمعوا عنهم معلومات؟! وكم استعملوا تلك المعلومات ضدهم أحياناً، أو للسيطرة والحصول على مزايا ومواقع في تلك الدول؟! أنهم يُركزون الأن على الأحزاب الموجودة في الساحة، ويكثفون علميات المراقبة، والاختراق بُغية السيطرة على أكبرِ عددٍ مُمْكِنٍ من الأحزاب الموجودة[2].

(١) مذكرات الأستاذ/ على عشماوي ص: (٧٣).

(٢) المصدر السابق: (٧٢- ٧٣).

وما نحن بعملية زرع كاميرات التنصت في مكتب المحامي العام السابق "طلعت عبد الله" ببعيدٍ، حيث تم زرعها بمعرفته شخصياً، وقام بالإشراف عليها وعلى تنفيذها وزير الشباب السابق "أسامة ياسين" وذلك للبَثِّ المباشِر للاجتماعات التي تَتمُّ في مكتب المحامي العام، وَإيَصالهاَ مُبَاشَرَةً لمكتب الإرشاد لجماعة الإخوان، وقد تناولتها وسائل الإعلام المختلفة في حينها، بعد أن تم اكتشافها، ولأن في التجسس مهلكةٌ للنفس وللغير، فقد نهي الإسلام عنه، حيث قال تعالى: (ولا تجسسوا) (الحجرات: ١٢) أي: لا يتجسس بعضكم على بعض، لأن التجسس غالبا لا يأتي من ورائه إلا كل شَرٍّ، فعن زيد -رضي الله عنه- -قال: أُتِيَ ابنُ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه- برجل، فقيل له: هَذَا فُلَانٌ تَقْطُرُ لِحْيتهُ خَمْراً، فقال عبد الله -رضي الله عنه- :إِنَّا نُهِينَا عَنِ التَّجسُّسِ، فقد جاء في الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إِيَّاكُمْ وَ الظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَنَافَسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَتَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِباد اللَّهِ إِخْوانًا)[1].

أما الاتجاه الثاني، فهو من عند غيرهم:

وهو من واقع "عملية الملاءة الرطبة" ملف عملية استخباراتية نفذتها الاستخبارات المركزية الأمريكية C.I.A في مصر خلال الفترة من عام ١٩٧٥ حتى عام ٢٠١٣، تحت عنوان "الجماعة الإسلامية" أعدمت ٣ من إخوان أسيوط لتجسسهم لحساب أمريكا، حيث جاء في برقيةٍ، كُتِبَ فيها: (استغاثةٍ عاجلةٍ وردت من "محمد حامد أبو النصر" المرشد الرابع لجماعة الإخوان في الفترة من ١٠ سبتمبر ١٩٨٦ حتى وفاته بتاريخ ٢٠ يناير ١٩٩٦، والذي وُصِفَ بين سطور البرقية بحليف واشنطن المهم، أبلغ فيها عن تصفية ٣ عناصر سرية من الجماعة عملت لحساب

(١) الحديث متفق عليه أخرجه البخاري (٦٠٦٦)، ومسلم (٢٥٦٣)، ورواه مالك، وأحمد، وأبو داود، والترمذي عن أبي هريرة أيضاً، وجاء في غاية المرام برقم: (٤١٧)، وصحيح الجامع برقم: (٢٦٧٩)

جهاز "C.I.A" بمدينة أسيوط الواقعة في صعيد مصر على أيدي "تنظيم الجماعة الإسلامية المتشددة"، وأن تلك العناصر الإخوانية الثلاثة أُعدمت ميدانياً بدَمٍ بَارِدٍ في عملية واحدةٍ وقعت عقب اكتشاف الجماعات السلفية المتطرفة تجسسهم وعملهم لحساب الأجهزة الأمنية المصرية ضد خلايا الجماعة الإسلامية، وجماعة الجهاد الإسلامي في صعيد مصر، حيث أُثبت أن تنظيم الجماعة الإسلامية خطف في البداية الثلاثة عناصر الإخوانية إلى مكان آمن تمهيداً للتحقيق معهم، حيث أجرت مجموعة من "شورى الجماعة الإسلامية" جلساتِ تحقيقٍ دقيقةٍ مع المختطفين الثلاث شاركت فيها بشكلٍ غير مسبوق عناصر متشددة من جماعة " الجهاد الإسلامي " في الصعيد، وأسفرت التحقيقات عن حصول الجماعة الإسلامية على إفادات مفصلة اعترف فيها المختطفون الإخوان الثلاث بالعمل لحساب جهاز مباحث أمن الدولة المصري، وهو المُنافي للحقيقة على حد معلومات الضابط الأمريكي محرر البرقية، الذي أكد أن عملية تصفية العناصر الإخوانية الثلاثة بمدينة أسيوط في شهر يوليو ١٩٨٨ أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك أن الثلاثة عرفوا قبلها حقيقة عملهم من الباطن لحساب وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية "C.I.A"، ومع ذلك فَضَّلَ الثلاثة الموت كعملاء غير حقيقيين للجهاز الأمني المصري المتوقع أن ينكر صلته بهم، على أن يقتلوا كجواسيس عملوا في حياتهم لصالح استخبارات الولايات المتحدة في مصر، مما كان سيهدد عائلاتهم بقوة على المدى القريب وَيُقَوِّضُ مصداقية جماعة الإخوان على المدى البعيد، وفي مفاجأة غير مسبوقة كشف ضابط C.I.A في البرقية نفسها أن الجماعات الإسلامية الجهادية التي تمركزت وقتها في صعيد مصر عملت عن طريق الخطأ المهني الجسيم، وغير المقصود بنشاط جواسيس الإخوان الثلاثة في أسيوط، والذي تسبب فيه ضابط استخبارات أمريكي شاب حديث الرتبة والتخرج كُلف بمهمة اتصال عاجلة نجليه تابعة للجماعة الإسلامية المصرية لتحذيرهم من القيام بعمليات

عدائية نوعية ضد المصالح الأمريكية في القاهرة، وفشل الضابط يومها أثناء لقائه مع خلية الجماعة الإسلامية بسبب ضعف لغته العربية، وعدم إلمام من تَقَابَلَ معهم باللغة الإنجليزية لإجراء الحوار وترجمة فقرات كاملة من خطة تكليفه الرسمي، وكشف دون خبرةٍ وعمدٍ منه على هامش اللقاء معلومات استخبارية حقيقية عن وجود تعاون استخباري سري لجماعة الإخوان مع الإدارة الأمريكية، وفي المضمون ذكر هذا الضابط الأمريكي إشارات دقيقة حددت شخصيات عملاء جماعة الإخوان الثلاث المختفين ساعتها وسط التنظيمات الإسلامية المختلفة في منطقة الصعيد، وعندما وصلت المعلومات إلى قيادة الجماعة الإسلامية في إقليم الصعيد قررت مراقبة العناصر الإخوانية الثلاث حيث رُتِّبَ لَهُمْ فَخًّا معلوماتياً أسقط الثلاثة فيه، فألقت الجماعة القبض عليهم، وعقب اعترافهم بالتجسس حاكمتهم، ثم أعدمتهم مَيْدَانِياً، وعلى هامش معلومات البرقية استبعدت C.I.A الضابط المخطئ، وَسُحِبَ بعدها إلى واشنطن، وتسلمت جماعة الإخوان من إحدى الجماعة الإسلامية في أسيوط جثث جواسيسها الثلاثة وفي التفاصيل طلب محرر البرقية في خاتمة معلوماته وضع خطة استخبارية أمريكية عاجلة لإنقاذ جماعة الإخوان في مصر من انتقام متوقع من الجماعات الإسلامية المتشددة، فجاءت الاستجابة سريعة من الرئيس الأمريكي "رونالد ريجان"، حيث قرر التدخل السريع لحماية "جماعة الإخوان" وأجرى اتصالاً رئاسياً هاتفياً بنظيره "مبارك" مُطالباً إِيَّاهُ بضرورة وقف جميع أشكال العنف ضد جماعة الإخوان وأعضائها، وانطلاقاً من الأهمية الاستراتيجية "لجماعة الإخوان المصرية" في خدمة المصالح الأمريكية في مصر كلف الرئيس "ريجان" "وليام هيدجكوك ويبستر" مدير المباحث الفيدرالية الشهيرة باسم "F.B.I" لاستغلال العلاقات الخاصة والرسمية التي يديرها جهازه من الأجهزة المصرية المختصة لوضع خطة أمنية سريعة هدفت وقتها إلى توفير حماية مناسبة لجماعة الإخوان

أمام الاعتداءات المتوقعة والمحتملة من قبل الجماعة السلفية، وَحَصْرياً قد تُثبت تلك الواقعة عمل جماعة الإخوان المصرية كعملاء، وكجواسيس لصالح أجهزة الاستخبارات الأمريكية، كما تُؤَكِّدُ الواقعة حرص "البيت الأبيض" الدائم على أمن الجماعة في مصر، ولدواعي التأكيد والتوثيق أثبتت البرقية رقم ٧٩٩٧ الصادرة من واشنطن بتاريخ ١٠ ديسمبر ٢٠٠١ تحت كود رقم ٦٢٧٠ أن جماعة الإخوان المصرية هى من أبلغ الأجهزة الإستخبارتية الأمريكية بملف معلومات تنظيم "الوعد" الإرهابي الذي قُبض عليها في مصر نهاية نوفمبر ٢٠٠١ قبل أن تعلم به السلطات المصرية المحلية المختصة، وعلى ضوء معلومات تلك البرقية ضم تنظيم الوعد ٩٤ متهماً حُكم على ٥١ منهم في القاهرة، بأحكام مختلفة على خلفية اتهامهم بالتخطيط لاغتيال الرئيس الأسبق "حسني مبارك" في منطقة كوبري الجلاء وشيراتون المطار، والتخطيط لاغتيال الدكتور "محمد سيد عطية طنطاوي" شيخ الأزهر)[1].

ومن التجسس، أو التخابر أيضاً نص مكالمات "مرسي" الأربع مع (الظواهرى) والتى رصدتها الأجهزة السيادية فى مصر، وفحواها أن (مرسى) يتعهد في أول مكالمة له بفتح الأبواب أمام "الجهاديين"، والإفراج عن "لائحة متهمين"، ويحرض صراحةً على (بدء مهاجمة قوات الجيش في سيناء)، لتفتيته. وإخلاء سيناء تماماً من الوجود المصري، تنفيذاً لاتفاق الثمانية مليارات دولار الذي كان السبب في الدعم الأمريكي، ومن خلفه القطري له للبقاء فى سدة الحكم، وإليك عزيزي القارئ نَص المكالمة التى تمت بين " محمد مرسي"، وبين :"أيمن الظاهري" عِبْرَ هَاتِفِ "ثُرَيَّا"، وبعضها تم من داخل القصر الجمهوري، وبياناتها كالآتي:ـ

الأولى: تتحدث عن تأكيد "الظواهري" لدعم القاعدة للإخوان، عبر التنظيم

(١) -جريدة الصباح الاثنين- ١٢ ربيع الأول ١٤٣٥هـ -١٣ يناير ٢٠١٤م- لسنة الثانية -العدد (٢٩) -ص: (١١).

الدولي للجماعة، وبعدها تواصل "خيرت الشاطر" رسميا مع "محمد الظواهرى" في مصر، للتنسيق، والتقاُه مراراً بعد ذلك.

الثانية: كشفت تفعيل التعاون بين مؤسسة الرئاسة، والإخوان من جانب، وتنظيم القاعدة من جانب آخر، لإيجاد خلايا داخل البلاد تحمي نظام الإخوان، وعاتب "مرسي" زعيم القاعدة على هجومه وقتها على نظام حكم الإخوان، وتعهد له قائلاً: (سنطبق الشريعة والشرعية، بما يُرضي الجماعة، لكن نحن في مرحلة التمكين ونحتاج إلى مساندة كل الأطراف، ولا يجوز أن نطبق من الآن المنهج الإيراني نفسه، أو حكم طالبان في مصر) فرد "أيمن الظواهري": (لازم تفرج عن الجهاديين اللى كانوا في سجون "مبارك" كلهم، كضمان وعهد للتعامل، وتأكيداً لِطَيِّ صفحة الماضي) ووعده مرسي بتسهيل عودة " محمد الظواهري" للقاهرة، ملحوظة: تم بعد ذلك الإفراج عن قائمة كاملة من المسجونين ضمن لائحة أعدها "محمد الظواهري" بالتنسيق مع شقيقه "أيمن"، وعُرضت على الرئاسة، فصدقت على العفو عنها.

الثالثة: قرر "مرسي" خلالها تعهده، بأنه لن يُعتقل أَيَّ جهاديٍّ في عهده، لن يُضيق على الجماعات الجهادية، والسلفية الجهادية، وباستمرار التواصل الذي بدأ قبل تسلمه الرئاسة مع الجماعات وبمنع ملاحقة الأمن للمجموعات المسلحة في سيناء، وطلب " أيمن" فتح معسكرات في سيناء لدعم الإخوة وتدريبهم، فكشف له "مرسي" أن تنظيم الإخوان ينوي "تشكيل حرس ثوري" لمواجهة أي محاولة للانقلاب على الشرعية، وطلب "الظواهري" دعم الجماعات وتدريبهم، ووعد بإقامة معسكرات تدريب لهم في سيناء، وتأمين الدعم من تنظيم الإخوان،وتوفير كل التسهيلات لهم بالقرب من الحدود الليبية، نَتِيجَةً لِذَلِكَ قام "محمد مرسي" فعلياً بتوفير أربعة معسكرات تدريب للجماعة الجهادية، وأوقف العديد من العمليات

العسكرية في سيناء.

الرابعة: حدثت فجر ٣٠ يونيو، وتمت بحضور "أسعد الشيخة، ورفاعة الطهطاوي، ومسئول الأمن في الرئاسة"، و"مرسي" "حَرَّضَ" "الظواهري" على مهاجمة الجيش في سيناء وطالبه بدعم شرعية الرئاسة، وإثارة الفوضى في الشارع، وقال له: (فيه ناس عايزه تتقلب على الشرعية، ويجب القضاء على المعارضة، وأطالب الجهاديين في كل مكان بمساعدتنا).

والتقى "أسعد الشيخة" فعلاً مع "محمد الظواهري" أثر المكالمة، وطلب منه أن تقوم الجماعات الجهادية بحماية الرئاسة، وقمع المعارضة، والتقى "الشاطر" صباح اليوم نفسه، وفداً من الجهاديين بحضور "محمد الظواهري"، وطالبهم بمساندة الجماعة والرئاسة، لمنع السقوط المبكر، ووعده "محمد الظاهري" بذلك[1]، فأصبحوا يخططون لهدم الجيش، بل ومحوه {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} (الأنفال ٣٠) ولكن إرادة الله حكمت، بأن الجيش والذين أرادوا إبادته، أعادهم لسكناتهم، ومستقرهم قبل الرئاسة، وأدخلهم السجون، يُعانون مرارة الحسرة والندامة بين جدران الزنازين، بسبب خيانتهم، ومكرهم لأوطانهم {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} (فاطر:٤٣) فمهما احتاط المرء، وتحصن بمحصنات الدنيا الفانية، فلابد لإرادة الله وأمره أن تكون {وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (يوسف: ٢١) فإرادة الله أرادت أن تبقى على مصر، وجيشها، وشعبها في سلام وأمان، وتذل من خانها، وأراد هدمها، لتصبح أنوفهم التي ارتفعت أثناء حكمهم تنظر في التراب من خزيهم وعارهم: {لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ} (فصلت: ١٦).

---

(١) -جريدة الصباح- الاثنين ٣٠ ذو الحجة ١٤٣٤هـ-٤ نوفمبر ٢٠١٣- السنة الثانية- العدد (١٩) ص: (٥)

أما عن ما أُفرج عنه استجابة لطلب "الظواهري"، فقد أفرج "مرسي" عن ٨١٢ إرهابياً، وتاجر سلاح من بينهم ٦٧٢ مصريا، و ١٤٠ سودانيا، منهم من حكم عليه بالإعدام، وبالمؤبد، وبـ١٥ سنة، وبعشر سنوات، وبثلاث سنوات، ومن أراد الحدث بالتفصيل، فليتصفح جريدة الوطن يوم السبت-٢٧ شعبان ١٤٣٤هـ -٦ يوليو ٢٠١٢م- السنة الثانية - العدد(٤٣٣) -ص: (٨، ٩).

وكشفت مصادر مطلعة نقلاً عن القيادي الجهادى " محمد الظواهري" باعترافه في تحقيقات النيابة بتلقيه ٢٥ مليون دولار من قبل " خيرت الشاطر" للقيام بأعمال إرهابية في سيناء، كما كشف عن ضلوع بعض أعضاء تنظيم الجهاد، بأوامر من "الشاطر" في قتل الجنود في رفح رمضان قبل الماضي، وأيضا في حادث اختطاف الجنود، وأشار المصدر إلى أن " الظواهري" اعترف أن الأخوين "طارق، وعبود الزمر" كانا همزة الوصل بينه وبين "الشاطر" من خلال بعض التعليمات التي كانوا ينقلونها له، ولأعضاء تنظيم الجهاد، وكشف الظواهري عن مخطط الجماعة الدنيء التي تسعى لتنفيذه بمصر، بعد أن أسقط المصريون حكمها، لافتاً أن المخطط مقسم إلى أربعة مراحل:

المرحلة الأولى: وتتمثل في احداث بلبة، ونشر الشائعات في الشارع المصري، وترويع المواطنين من خلال أحداث الحرق، والتدمير المستمر لمنشآت الدولة، ونشر الشائعات عِبْرَ بعض القنوات الفلسطينية من خلال تأجيرها، ودفع أموالٍ طائلةٍ لها، ومن خلال قناة الجزيرة القطرية، بتعليماتٍ قطريةٍ.

المرحلة الثانية: وتتمثل في إنهاك الجيش، والشرطة في معارك معهم من أجل إنهاكهم في معارك شرسة معهم، والسعي إلى قتل أكبر عدد منهم حتى يُظهروهم في صورة ضعيفة أمام الشعب، وفي حالة قتلهم يقومون بإدانتهم، واستخدام ذلك أمام

العالم الخارجي.

المرحلة الثالثة: وتتمثل في السعي الخارجي للجماعة من خلال بعض دول الاتحاد الأوروبي المؤيد لها عن طريق الحظر الجوي، والاقتصادي، وإيقاف المساعدات المالية منها ومن أمريكا.

المرحلة الرابعة: وهى المفاجأة، والغير معلومة، لدى كثيرين، فتتمثل في دخول طالبان وتنظيم القاعدة إلى سيناء، وهو ما ظهر بالفعل من ظهور بعض الشخصيات الأفغانية، والباكستانية بعد القبض عليهم من قِبَلِ الأجهزة الأمنية[1].

ولذلك فقد صرح "البلتاجي" في أحد الفيديوهات وسمعها القاصي والداني، وهو يقول: (في نفس اللحظة الذي يفرج فيها عن "مرسي" سوف يتوقف العنف في سيناء).

عُمْدَةُ الْقَرْيَةِ الْمُفْلِسْ:

تخيل "مرسي" وأعضاء مكتب الإرشاد العالمي، والمصري، أنهم قد امتلكوا قريةً، لا أهل لها، ولا أصحاب يحرسونها ويدافعون عنها وعن أرضها، وأطفالها، وشبابها، ورجالها، ونسائها، وكهولها، ولأنه العمدة، وأعضاء مكتبه الخفراء، أصبحوا يعيثون في الأرض الفساد، ويرتعون في خيراتها كيف شاءوا بالرغم من أنهم لا يمتلكون في هذه القرية شبراً واحداً، لا محل إقامتهم، إذ به يجلس هو وخفراءه على زمام القرية، لتصبح أراضيها جميعاً مُسْتَبَاحَةً لهم، يقتطعون منها ما يشاءون لأي غازٍ يغزوها من القرى المجاورة، فجلسوا يتفاوضون سِراً مع أصحاب القرى لمجاورة، ويدرسون المشاريع التي تخدمهم وتخدم مصالحهم، وأصحاب القرية يشاهدون الاجتماعات ويترقبون عن بُعْدٍ، وكأنهم يبتلعون الطُعْمَ، أو كما يقول المثل الدارج (كَالطَرْشِ فِي الزَّفَّةِ)، وعندما حانت لحظة التنفيذ، وأصبحت الخيانة لها رائحة أَذْهَى وَأَمَرُ من رائحةِ

(١) شبكة الإنترنت، نقلا عن جريدة اليوم السابع، يوم الثلاثاء ٢٠/٨/ ٢٠١٣م

النَّتِنِ الْفَجَّةِ، هَبَّتِ الْقَرْيَةُ عن صَمْتِهَا، وَزَأَرَتْ زَئِيرَ الأسدِ، لِتَزُودَ عن عَرِينِهَا، مُمْسِكَةً بالطاغية وأعوانه، لتضعهم في أماكنهم حيث يستحقون، وهكذا كان "مرسي"، وأعوانه يتخيلونَ أن أَرْضَ مِصْرَ، أصبحت مستباحةً له، ولأعوانه، يرتعون فيها وفي ربوعها كيف شاءوا، ويقتطعون من أرضها كيف شاءوا، ويفسدون فيها حيث شاءوا، وهو ما نراه من فحوى مخططاتهم، وما يدور في اجتماعاتهم ودهاليزهم، وهي كالآتي:

١. عندما أفرج "مرسي" عن ٨١٢ إرهابيا، وتاجر سلاح، ليصبح هذا الإفراج نواةً لبداية تكوين ما يُسمى بالحرس الثوري، على غرار الحرس الثوري الإيراني، وتكشف التقارير الأمنية، عندما تم فك الأحراز التي تم العثور عليها في مكتب "مرسي" بقصر الاتحادية، حيث تم العثور على ٣ شرائح لخطوط تليفونات لشركات أجنبية، وهاتف الثريا، هذه المستندات والأوراق المحرزة ستكشف أسرار تمويل جماعة الإخوان والتنسيق بين مكتب "مرسي" بالرئاسة ومكتب الإرشاد بالمقطم، لتشكيل ميليشيا قوامها ٥آلاف جهادي في سيناء ليكون نواة لحرس ثوري على غرار الحرس الثوري الإيراني، ومهامه دعم وتثبيت حكم جماعة الإخوان لعشرات السنين، والوقوف في وجه القوات المسلحة والشرطة مع منح هذه الميليشيا الغطاء السياسي والتحرك بحريةٍ تامةٍ دون رقيبٍ، أو حسيبٍ، كما تتضمن الأحراز تسجيلات لاجتماعات رسمية مغلقة بين قيادات من الجيش وجهات سيادية مع الرئيس المعزول "محمد مرسي" تم طرح فيه تحركات الميليشيات، أو ما يسمى "الحرس الثوري" في سيناء وتفرض سيطرتها بالكامل على عدد من القرى، وتتجول حاملين السلاح ورافعين أعلام القاعدة، وأقاموا معسكرات للتدريب على أحدث الأسلحة، إلا أن "مرسي" رفض الاقتراب من هذه الميليشيات بكل قوة.

٢. من بين خزينة الأسرار، وفك أحرازها، منح "مرسي" ٥٠ ألف فلسطيني الجنسية المصرية، بالمخالفة للقانون والتعهدات ما بين الدول العربية، بينها وبين

بعض على عدم السماح لأي دولة عربية بمنح الجنسية للفلسطينيين الحق في تملك الأراضي والعقارات.

٣. من بين خزينة الأسرار أيضا، ملف تفجيرات الغاز بين " مصر، وإسرائيل، والأردن" والذي وصل عددها إلى ١٤ تفجيراً كانت تتم بعمليات وأوامر "مكتب الإرشاد" و حقيقة التسجيلات الصوتية التي أذاعها التليفزيون الإسرائيلي والتي سجلها الموساد الإسرائيلي بين قيادات إخوانية في مصر وعناصر فلسطينية وتكفيرية في سيناء.

٤. محاولة " خيرت الشاطر" إنشاء منطقة حرة بعمق ١٠ كيلومترات على جانبي الحدود بين مصر وغزة بدعوى التنمية، ومحاولة إسناد الأعمال فيها لشركة بريطانية فلسطينية، وتنفذ مليون وحدة سكنية في سيناء، وهي المدينة الضخمة التي تعد النواة الحقيقية للوطن البديل للفلسطينيين في سيناء.

٥. حصول "جماعة الإخوان على مبلغ ٨ مليارات دولار من الولايات المتحدة الأمريكية، لتنفيذ خطة الوطن البديل في سيناء، وما رصدته الأجهزة الأمنية من صفقات تجارية كبيرة، وبطريقة غير شرعية بين شركات "خيرت الشاطر، وحسن مالك" مع مؤسسات في الدولة، ومحاولة التهديد و الضغط على رجال أعمال مصريين وعرب لبيع شركاتهم و مؤسساتهم بأبخس الأثمان للحصول عليها[1].

وهذا ما كان يؤكد عليه اللواء الدكتور "مجاهد الزيات" تحت مسمى خفايا الصفقة الكبرى في الشرق الأوسط وتصفية قضية فلسطين للأبد، وخطة إسرائيل لإقامة دولة غزة الكبرى على أرض سيناء، وهذه دراسة وضعها "جيورا إيلاند" مستشار الأمن القومي الإسرائيلي السابق عام ٢٠٠٨ ونشرها بعد ذلك معهد واشنطن لدراسات

(١) -جريدة اليوم السابع- السبت ٢٩ من ذي القعدة ١٤٣٤هـ-٥ أكتوبر ٢٠١٣م- العدد(٨٥٨)- ص: (٥).

الشرق الأدنى، حيث استعرض "إيلاند" أن كل مبادرات السلام بين الإسرائيليين، والفلسطينيين منذ مؤتمر مدريد ١٩٩٣، حتى حل الدولتين لشعبين، حكم عليها جميعاً بالفشل، وعدم الواقعية، واقتراح حَلاً نهائياً للمشكلة، وخلاصته: تنازل العرب عن جزء من الأرض لإسرائيل و الدولة الفلسطينية ويخرج الجميع رابحين وتكون كالآتي:

١. تتنازل مصر إلى غزة عن ٧٢٠ كيلومتراً من سيناء، وهناك اقتراحات بزيادتها لنحو ٤٠٠٠ كم تشمل الشريط الممتد على طول ٢٤كيلو مترا على شاطئ البحر المتوسط من رفح حتى العريش، ويمتد جنوبا ٣٠ كم على طول حدود مصر مع إسرائيل وغزة بما يضاعف مساحة غزة الحالية ثلاث مرات، وفي المقابل تضم إسرائيل مساحة مماثلة من أراضي الضفة ضمن حدود الجدار العازل.

٢. تنازل إسرائيل لمصر عن مساحة مُقَاربَةٍ في صحراء النقب.

٣. يتخلى الأردن عما يُعادل ٥٪ من الضفة للفلسطينيين، ويتم تعويضه من أرض السعودية بجواره.

٤. يرى "جيور إيلاند" أن مصر ستربح فوائد، لمجرد تبادل أراضٍ كَفَكٍّ عُزلتها الجغرافية شرقا عن طريق قناةٍ، ونفقٍ للسكك الحديدية، والسيارات، وحركة التجارة إلى الأردن عبر إسرائيل، يخضع للسيادة المصرية يتفرع إلى السعودية و العراق، ويرتبط بمطار ومرفأ العريش الفلسطيني.

٥. ضخ استثمارات ضخمة لتحلية المياه.

٦. السماح بحصول القاهرة على تكنولوجيا ومفاعلات نووية.

٧. إلغاء القيود القاسية على انتشار قواتها العسكرية في سيناء.

٨. تنازل مصر عن ١٪ من أرضها، مُقابل السيادة على ٩٩٪ المتبقية.

٩. إذا تم ذلك ستصير إسرائيل دولة يهودية محضه، وتتخلص من حق العودة

للاجئين نهائيا، و تنتزع أراضي استراتيجية بتوطين الفلسطينين على حدود الأردن وغزة التي يمكن توسيعها ثانية في سيناء، ومن ثَم إرساء سلام دائم بين الأطراف المتصارعة، ومن المدهش فعلاً أن الوثيقة تؤكد أن مقدمات تنفيذ هذا المخطط بدأت بالفعل، وأن إشارة البدء كانت حديث الرئيس الأمريكي "أوباما" عن التنازلات المؤلمة من أجل السلام في الشرق الأوسط في خطابه بجامعة القاهرة الموجه للعالم الإسلامي[1]. وسأختم ملف التخابر، أو التجسس، برحلة "مرسي" إلى ألمانيا بما يسمى المؤتمر الصحفي الرئاسي المشترك مع المستشارة الألمانية "ميركل" حيث نبهت "مرسي" إلى مخاطر على الأمن القومي، وأن لديها معلومات أن هناك إرهابيين سيصلون إلى مصر لتنفيذ عمليات إرهابية بالبلاد، وبدلاً من أن يُسارع الرئيس المخلوع بنقل المعلومات إلى أجهزة الدولة للتصرف بسرعة، ومنع الخطر، قام "مرسي" بقلب اللعبة، فسارع بإجراءِ اتصالٍ هاتفيٍّ بمن يهمه الأمر من الإرهابيين لتحذيرهم، وتم رصد المكالمة الهاتفية: ونقل محتواها للمستشارة الألمانية، فكان رَدِّ فعلها سريعاً وعنيفاً، اختصرت الزيارة، ونبهت نضيرها الفرنسي إلى ما حدث من "مرسي"، وكان الرئيس الفرنسي "أولاند" لديه أسباب إضافية للغضب من "مرسي"، فقد ساند "مرسي" المتطرفين في مالي، ووقف ضد التدخل الفرنسي، وهكذا خسر "مرسي" كُلاً من "ألمانيا و فرنسا" في أقل من ٢٤ ساعة[2].

وَنَعُودُ أَدْرَا جَنَا سَرِيعاً، لِنُلَمِلمَ ما تبقى في هذا الملف، لنعرف حقيقة الإيميل المرسل من "أحمد عبد العاطي" إلى "محمد مرسي"، فى قضية التخابر، والمعروفة إعلامياً باسم (الهروب الكبير) والذى تم بموجبه القبض على محمد مرسى و٣٤ قيادياً إخوانياً تم وضعهم في سجن "وادي النطرون" وعندما التقوا بضابط مباحث أمن الدولة

(١) شبكة الإنترنت

(٢) -جريدة الفجر- الخميس ٢٤ أكتوبر ٢٠١٣م-السنة السابقة -العدد (٤٢٩، -ص: (٥).

"محمد عبدالحميد عبدالله" والذي كان في استقبالهم، قالو له: (على فكره إحنا حنطلع من هنا يوم ٢٩ أو ٣٠ يناير وسنحكم البلد) وقد تم ذلك بالفعل، فما حقيقة ذلك: وما الدور الذي لعبته "جماعة الإخوان، وحزب الله اللبناني، وعناصر من حركة حماس الفلسطينية"؟

لقد جاء في هذا الشأن بلاغ مقدم للنائب العام برقم ٦٨٠ لسنة ٢٠١٢ من الأستاذ "أمير سالم" المحامي بالنقض، ضد السيد "حبيب العادلي" وزير الداخلية الأسبق، وموضوعه:

قام المبلغ ضده وقت أن كان وزيراً للداخلية بإصدار أوامره يومي ٢٨ و٢٩ يناير ٢٠١١ بفتح السجون وإطلاق السجناء ليعيثوا في البلاد إرهاباً و ترويعاً للسكان الآمنين في مصر، بغرض توجيه ضربة قاسمة لثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، بإصداره أوامر بقطع الاتصالات التليفونية بكافة أنواعها والانترنت، وكذا بقطع الكهرباء بالمناطق التي بها السجون التي تقرر إطلاق السجناء منها.

-إصداره أوامر لكافة قوات وزارة الداخلية بالانسحاب من الميادين والشوارع وحماية المرافق العامة ومديريات الأمن وأقسام الشرطة، وإصداره أوامر لفرق الشرطة من مباحث أمن الدولة، والمباحث الجنائية، وفرق البلطجية التابعة لوزارة الداخلية، بإحراق أقسام الشرطة، مما أدى إلى إحراق ٩٩ قسم شرطة على مستوى الجمهورية وذلك بالاتفاق الجنائي مع عدد من قيادات الشرطة ومديري الأمن وخاصة قيادات أمن الدولة ومباحث السجون العمومية لإرتكاب تلك الجرائم، وقد تم ذلك ايضاً بالاتفاق الجنائي والتنسيق والتعاون والتنظيم في تلك الجرائم مع قيادات سياسية من الحزب الوطني، وأخرى عسكرية غير معلومة لنا أسماؤها على وجه الدقة، وحيث أننا قد سبق لنا وتقدمنا ببلاغ لسيادتكم عن وجود تنظيم سري سياسي «يُديره أحمد عز و صفوت الشريف و فتحي سرور و جمال مبارك وزكريا عزمي و حبيب العادلي و حسن

عبدالرحمن و عدلي فايد و أنس الفقي، وآخرين»، فإننا نعتبر بلاغنا هذا ينصب على اتهام وزير الداخلية الأسبق "حبيب العادلي" بصفته وزيراً للداخلية يملك السلطة والقرار في شأن السجون المصرية العمومية، وكذا أقسام الشرطة، ومديريات الأمن، وكذا المنشآت والمرافق العامة، وهو وحده المسئول مباشرة

كذلك عن إصدار أوامر سحب كافة قوات الأمن من كافة ميادين وشوارع وأقسام جمهورية مصر العربية، وكذا قيامه بالاتفاق الجنائي مع السابق ذكر وظائفهم وأسمائهم[1].

والرد البليغ لهذا البلاغ، أنه مَحْضُ إفتراء، وكذب، والمتهمون بريئون من هذا الادعاء براءة الذئب من دم ابن يعقوب: وسنسرد للقارئ العزيز الحقيقة بالبراهين و القرائن والأدلة، وهى كالآتي:

· خطة اقتحام السجون وُضعت في غزة ليلة ٢٥ يناير ٢٠١١ مُقابل سبائك ذهبية بخمسة ملايين دولار.

· ومع تطور الأحداث، وفي يوم السبت ٢٩ يناير ٢٠١١، ووسط انهيار الحالة الأمنية جراء تداعيات الثورة بدأت عملية مهاجمة عدد من السجون المصرية شديدة الحراسة بأساليب غير تقليدية، مما ساعد على هروب ٤٢ عنصراً من أخطر العناصر الإسلامية المتشددة والمعادية لنظام "مبارك" بينهم ٣٤ قيادياً من جماعة الإخوان على رأسهم الدكتور "محمد مرسي".

· تأكيداً لما يجرى على الأرض في مصر، ومن واقع ملفات سرية "عملية الملاءة الرطبة" أرسل ضابط العملية "بي بارسلي" شاهد عيان "C.I.A" من القاهرة في تمام الساعة الواحدة صباحاً و٢٢دقيقة و٣٨ ثانية بتاريخ ٣١ يناير ٢٠١١ برقيته المثيرة للجدل سري للغاية برقم ٢٧٤١٨٦٤ أرفق بها صوراً وأفلاماً حصريةً عاليةَ الجودةِ سجلت على الأرض عمليات اختراق المنشآت المصرية شديدة الحراسة في منطقة

(١) الدولة البوليسية في مصر، لثورة والثورة المضادة، للأستاذ/ أمير سالم – ص: (٣٩٣-٣٩٤).

سجون "أبي زعبل، والقطا، ووادي نطرون"، كما أورد معها معلومات سرية للغاية رقم ١٦٥٢٠١٨ المحررة من ضابط العملية "إس نونان" المتخصص في ملف شئون الجماعات والتنظيمات الإسلامية المتطرفة في منطقة الشرق الأوسط بتاريخ الأول من فبراير ٢٠١١ في تمام الساعة السابعة صباحاً و٨ دقائق و٤٦ ثانية، وسجل فيها الآتي:-

- (شهدنا على الطبيعة حالة غير مسبوقة من الانقلاب الأمني في أرجاء مصر ورصدنا تأجير عناصر أجنبية مدربة من ميليشيات حركة حماس الفلسطينية وجيش الإسلام لأعداد غفيرة من البدو المدججين بالأسلحة والمعدات الثقيلة والبلدوزرات الذين هاجموا في توقيت واحد تقريباً مناطق السجون مشددة الحراسة في أبي زعبل، والقطا، ووادي النطرون)

بعدها سجلت برقيات العملية أدق تفاصيل الهجوم من بينها بالبرقية سري للغاية التي حررها ضابط العملية "بي بارسلي" من القاهرة بتاريخ الأول من فبراير ٢٠١١ برقم ١٦٩٧٢٧٣ في تمام الساعة الرابعة و٢٧ دقيقة و٢٥ ثانية، وسجل فيها الآتي:-

- (استخدم منفذو الهجوم على السجون المصرية أسلحة ورشاشات ثقيلة من بينها "R.B.G" وقنابل عنقودية محرمة دولية، ومضادات أرضية حديثة محمولة كتفاً ضد الطائرات، بينما أمنت طرق مداخل ومخارج القاهرة مجموعات مدربة من "حركة حماس، ومنظمة جيش الإسلام الفلسطينية" دخلت مصر عبر أنفاق الحدود عند مدينة رفح بسيارات دفع رباعية حديثة)

وفي السياق نفسه حرر "بي بارسلي" من القاهرة في تمام الساعة السابعة مساءً، و١٩ دقيقة، وعشر ثوان بتاريخ الأول من فبراير ٢٠١١ البرقية سري للغاية رقم ١١٤٣٨٢١ أكد فيها توثيق وتصوير عملية اختراق أربعة سجون مشددة من واقع ٤٢ سجناً بواسطة عملاء من جهاز الموساد الإسرائيلي، ووكالة الاستخبارات الأمريكية

C.I.A في مصر، وعندما طلبت "كيه بوخاري" المديرة الإقليمية لعملية "الملاءة الرطبة" تفصيلات إضافية دقيقة عما حدث، فحرر "بي بارسلي" من القاهرة في تمام الساعة الواحدة، و٤٢ دقيقة، و١٢ ثانية فجراً بتاريخ الأول من فبراير ٢٠١١ البرقية سري للغاية رقم ١١١٨٧٨١، وسجل فيها الآتي:-

- (رصدت عناصرنا في مداخل ومخارج مدينة القاهرة عدد ٣٠ سيارة دفع رباعي من طراز "تويوتا" معظمها حديث يبدو لأول وهلة أنها هبطت للتو من الحاوية التي جاءت بها بحراً من اليابان محملة بعدد غفير من الرجال بلغ عددهم تقريباً ٣٥٠ فرداً ارتدى بعضهم ملابس العمليات العسكرية والسترات الواقية من الرصاص فوق الجلباب البدوي، وتسلح المهاجمون بالقنابل اليدوية وبالرشاش الروسي الصنع ٤٧ AK "كلاشينكوف" ٣٩ ملليمتراً، وحمل بعضهم قذائف RBG الروسية المضادة للمدرعات، وآخرون تسلحوا بوحدات صاروخية محمولة كَتِفاً ضد الطائرات، وتأكد أنها صناعة أمريكية، ولم تستخدم من قبل.)

بعدها حررت ضابطة العملية "آربهالا" من واشنطن في تمام الساعة الواحدة، و٣٧ دقيقة، و٢٥ثانية برقيتها سري للغاية رقم ١٦٩٧٢٢٨ سجلت فيها أن خطة استهداف السجون المصرية وُضعت في قطاع غزة مساء ٢٥ يناير ٢٠١١، وأن تمويل الخطة المالي ودعمها اللوجستي نقل إلى القطاع صباح الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١ من داخل الحدود المصرية في شكل سبائك ذهبية قيمتها خمسة ملايين دولار أمريكي خبأت في خزانات مياه عادية، وذلك نظراً لتعذر نقل السيولة المالية اللازمة لتجهيز العملية بسبب غلق البنوك المصرية وخطورة التنقل وسط الأحداث بهذا الكم من السيولة، وفي الأصل لتفادي سحب المبلغ من البنوك العاملة في قطاع غزة لدواعي السرية، والمثير أن نفس المعلومات أكدها ضابط العملية "بي بارسلي" في برقيته سري للغاية التي حررها من القاهرة في تمام الساعة الرابعة، و٢٢ دقيقة برقم ١٧١٤٤٩٥

بتاريخ الأول من فبراير ٢٠١١، وعندما أرفق معها عدداً من الفيديوهات التي صورت عملية انسحاب المهاجمين بصحبة السجناء المحررين ومقتل عدد من المواطنين المدنيين وآخرين من السجناء المصريين على أيدي مجموعات الهجوم الأجنبية، وتحرير ثمانية سجناء من ميليشيات حماس، ومنظمة جيش الإسلام الإرهابية من سجن "أبي زعبل" شديد الحراسة الذي يبعد ٢٠ كم شمال شرق العاصمة المصرية القاهرة، مُؤكداً مهاجمة قسمين "عنبرين" فقط من بين الثلاثة أقسام الموجودة في سجن أبي زعبل، مما يعني أن خطة الهجوم الأصلية اعتمدت على "خريطة رسم كروكي" حديثة للسجن، وأن الهجوم حرر تسعة عشر عنصراً خطيراً من تنظيم القاعدة اعتقلوا على خلفية قضية "القديسين" مع آخرين خمسة منهم عادوا إلى قطاع غزة في نفس اليوم من بينهم "معتصم القوقا" من حركة حماس ٢٧ عاماً قُبض عليها عام ٢٠٠٤ بتهمة التسلل، و"أيمن نوفل" من حركة حماس، و"عمر شعث" حركة حماس معتقل من عام ٢٠١٠ بتهمة التسلل، و"جمعة الصلحة" حركة حماس، و"حامد عبد الهادي" حركة حماس، و"حسن وشاح" ٢٧ عاماً، والذي عاد مباشرةً إلى مخيم "البريج" وهو أحد عناصر تنظيم جيش الإسلام الموالي لتنظيم القاعدة، وقُبض عليه في مصر عام ٢٠٠٧. وحُكم عليها بالسجن عشرة أعوام، لاختراقه الحدود، والتخطيط لتنفيذ عملية فدائية ضد إسرائيل من الأراضي المصرية[1].

وكانت أولي جلسات قضية "وادي النطرون، أو الهروب الكبير" يوم الثلاثاء ٢٨ يناير ٢٨ يناير ٢٠١٤ بمحاكمة الرئيس المعزول "محمد مرسي"، و١٣٠ متهماً بينهم قيادات بارزة في جماعة الإخوان الإرهابية، وعناصر من حركة حماس الفلسطينية، وحزب الله اللبناني في اتهامهم بالتخطيط والتنفيذ لاقتحام السجون وتهريب نزلائها والاستيلاء على ما بها، مقروناً بجرائم قتل عمد في الأيام التي أعقبت ثورة ٢٥ يناير،

(١) -جريدة الصباح- الاثنين ٢٦ ربيع الأول ١٤٣٥هـ ٢٧ يناير ٢٠١٤م- السنة الثانية- العدد(٣١) ص: (١١).

في القضية المعروفة إعلامياً "بوادي النطرون؟، أو الهروب الكبير" حيث ٢٢ متهما من "جماعة الإخوان الإرهابية".

وطالبت المحكمة النيابة، بتلاوة أمر الإحالة، والذي جاء فيه:

(أن النيابة العامة تتهم المتهمين لوارد أسماؤهم بأمر الإحالة بأنهم في الفترة من ٢٠١٠ حتى أوائل فبراير ٢٠١١ في محافظات شمال سيناء، والقاهرة، والقليوبية، والمنوفية، وأكثر من ٨٠٠متهمين هاربين اشتركوا عن طريق المساعدة والاتفاق مع المتهمين بأن اتفقوا مع هيئة المكتب السياسي لحركة حماس، وحزب الله، وقيادات التنظيم الدولي للإخوان على إحداث حالة من الفوضى وإسقاط الدولة المصرية ومؤسساتها تنفيذاً لمخططهم الإرهابي، إضافة إلى تدريب عناصر مسلحة من الحرس الثوري الإيراني، لارتكاب أعمال عدائية وعسكرية داخل البلد، وضرب واقتحام السجون، وطالبت النيابة بتوقيع أقصى العقوبة على المتهمين، وواصلت النيابة تلاوة أمر الإحالة الذي أعده المستشار "حسن سمير" قاضي التحقيقات وأضافت أن المتهمين الواردة أسماؤهم في قرار الاتهام الذين ارتكبوا هذه الجرائم، منهم من هو متوفي، وآخرون من حركة حماس، وحزب الله "يزيد عددهم على ٨٠٠شخص" وبعض الجهاديين التكفيريين من بدو سيناء، أفعالاً تؤدي إلى المساس باستقلال البلد وسلامة أراضيها، تَزَامناً مع اندلاع تظاهرات ٢٥ يناير ٢٠١١، وأضاف أمر الإحالة أن المتهمين أطلقوا قذائف صاروخية من طراز " آر. بي. جي" وأعيرة نارية كثيفة بجميع المناطق الحدودية من الجهة الشرقية مع قطاع غزة، وفجروا الأكمنة الحدودية وأحد خطوط الغاز، وتسلل حينذاك عبر الأنفاق غير الشرعية المتهمون من الأول حتى الحادي والسبعون، وآخرون مجهولون، لداخل الأراضي المصرية على هيئة مجموعات وأوضح أمر الإحالة أن المتهمين استقلوا سيارات دفع رباعي مدججة بأسلحة نارية تقيله "آر. بي. جي" وجرينوف، وبنادق آلية، فتمكنوا من السيطرة على

الشريط الحدودي بطول ٦٠ كيلومتراً، وخطفوا ثلاثة من ضباط الشرطة، وأحد أمنائها، ودمروا المنشآت الحكومية والأمنية، وواصلوا زحفهم، كما تضمن أمر الإحالة توجه ثلاث مجموعات من المتهمين صوب " سجون المرج، وأبو زعبل، ووادي النطرون" لتهريب العناصر الموالية لهم، وباغتوا قوات تأمين السجون بإطلاق النيران عليها وعلى أسوارها وأبوابها مستخدمين السيارات سالفة البيان، ولوادر قادها بعضهم في منطقتي سجون أبو زعبل والمرج، ولوادر أخرى دبرها وأدار حركتها المتهمان الخامس والسبعون، والسادس والسبعون في منطقة سجون وادى النطرون نظراً إلى درايتهما بطبيعة المنطقة، وأكدت النيابة أن المتهمين حطموا أسوار السجون، وخربوا مبانيها وأضرموا النيران فيها، واقتحموا العنابر والزنازين، وقتلوا عمداً بعض الأشخاص، وشرعوا في قتل آخرين، ومكنوا المسجونين من (حركة حماس، وحزب الله اللبناني، وجهاديين، وجماعة الإخوان، وجنائيين آخرين) يزيد عددهم على ٢٠ألف سجين من الهرب، وبعد أن تحقق مقصدهم نهبوا ما بمخازنها من أسلحة وذخيرة وثروة حيوانية، وداجنة، وأثاثات، ومنتجات غذائية، وسيارات الشرطة ومعداتها على النحو المبين بالتحقيقات، وأضاف أمر الإحالة أن المتهمين المذكورين، قتلوا عمداً المجني عليه "رضا عاشور محمد إبراهيم"، مع سبق الإصرار، بأن بيتوا النية وعقدوا العزم على قتل من يحول دونهم في اقتحام السجون وتهريب المسجونين، وأعدوا لهذا الغرض الأسلحة والأدوات سالفة البيان، وتوجهوا إلى سجن أبو زعبل، وما أن ظفروا بالمجني عليه، حال تأديته أعمال خدمته بأحد أبراج حراسة السجن، حتى أطلق مجهول من بينهم صوبه أعيره نارية قاصدين إزهاق روحه فأحدثوا إصابته التي أودت بحياته، وكان ذلك تنفيذاً لغرض إرهابي على النحو المبين بالتحقيقات، وفي ذات الزمان والمكان سالفي الذكر قتلوا عمداً الجندي "صابر أحمد عاشور" من قوة تأمين سجن أبو زعبل، والمحكوم عليه "شريف عبدالحليم محمد النجار" بسجن

المرج، وعدد ٣٠ مسجوناً بسجن أبو زعبل مجهولى الهوية، لعدم التوصل للأوراق والسجلات المثبت بياناتهم، و١٤ مسجوناً بمنطقة سجون وادي النطرون الموضحة أسماؤهم بالتحقيقات، مع سبق الإصرار، بأن بيتوا النية وعقدوا العزم على قتل من يحول دون تنفيذ مخططهم الإجرامي في شأن اقتحام السجون، وتهريب العناصر التابعة لهم من المسجونين وذكر أمر الإحالة أن المتهمين شرعوا أيضاً في قتل المجني عليهم "عيد جابر موسى، وإبراهيم محمود عبدالقادر، وأحمد سعيد عبدالرحمن" من قوة تأمين سجن أبو زعبل، عمداً مع سبق الإصرار، وقد خاب أثر جريمتهم بسبب لا دخل لإرادتهم فيه وهو مداركة المجني عليهم بالعلاج، وأشار أمر الإحالة إلى أن المتهمين من السابع والسبعين حتى احادي والعشرين بعد المائة اشتركوا بطريقي الاتفاق والمساعدة مع المتهمين من الأول حتى السادس والسبعين بأن اتفقوا مع هيئة المكتب السياسي لحركة حماس، وقيادات التنظيم الدولي الإخواني، وحزب الله اللبناني، على إحداث الفوضى لإسقاط الدولة المصرية ومؤسساتها، تنفيذاً لمخططهم، وتدريب عناصر مسلحة من قِبَلِ الحرث الثوري الإيراني لارتكاب أعمال عدائية وعسكرية داخل البلاد، وضرب واقتحام مباني الليمانات والسجون، وتهريب المسجونين الموالين لهم، الأجانب والمصريون، وكذا المسجونون الجنائيون، وساعدوهم بأن أمدوهم بالدعم والمعلومات والأموال وبطاقات هوية مزورة لاستخدامها في الدخول إلى البلاد، وتوفير السيارات والدراجات النارية، وقد تم بناء على هذا الاتفاق وتلك المساعدة الجرائم سالفة البيان على النحو المبين بالتحقيقات، وذكر أمر الإحالة أن المتهم الحادي والثلاثون بعد المئة، أخفى بنفسه محكوما عليهما بالسجن المشدد، وهما المتهمان التاسع والعشرون، والثلاثون بعد المئة، وأعانهما على الفرار من وجه العدالة، بأن وفر لهم المأوى اللازم لإخفائهما، وسهل لهما الفرار خارج البلاد على النحو المبين بالتحقيقات، وأضاف أمر الإحالة أن المتهم من

الحادي والثمانين، حتى الثالث عشر بعد المائة، ومن العشرين بعد المئة حتى الثلاثين بعد المئة حال بعضهم محكوماً عليه، والبعض الآخر مقبوضاً عليه، هربوا من سجون المرج، وأبو زعبل، ووادي النطرون، وكشفت أوراق القضية أن من بين المحالين ٦٨ متهماً ينتمون لحركه حماس، وتنظيم حزب الله، أبرزهم :أيمن أحمد عبدالله نوفل" من قيادات حركة حماس الذراع العسكرية للتنظيم الإخواني، وتنظيم حزب الله، و"محمد محمد الهادي" من قيادات حركة حماس، و"سامي شهاب" القيادي البارز بحزب الله، و"رمزي موافى" أمير تنظيم القاعدة في شبه جزيرة سيناء، وآخرين[1].

(١) -جريدة التحرير- الأربعاء ٢٨ ربيع الأول ١٤٣٥هـ ٢٩ يناير ٢٠١٤م -السنة (الثالثة)- العدد (٩٤١) ص: (٨-٩)

obeikan.com

(المتهمون)

م	الاسم	م	الاسم
١	محمد أحمد موسى علي/ فلسطيني هارب	١٦	بلال إسماعيل أحمد أبودقة - فسلطيني هارب
٢	حسام عبد الله إبراهيم الصانع/ ///	١٧	توفيق خميس حامد القدرة///
٣	عاهد عبدربه خليل الدحدوح///	١٨	جمعة سالم جمعة لسحجاني///
٤	عبدالعزيز صبحي أحمد العطار///	١٩	حافظ عبد النعيم محمد أبو راس///
٥	أحمد عيسى علي النشار///	٢٠	رائد محمد حسن غيون///
٦	أحمد غازي أحمد رضوان///	٢١	رامي حسن علي صمصوم///
٧	أسامة فتحي علي فرحان///	٢٢	رمزي زهدي شحدة أبو رزق///
٨	أنيس حسين منصور وافي///	٢٣	سامي فايز أحمد أبو فسيفس///
٩	عيسى زهير عيسى دغمش///	٢٤	نائل عطا أبو عبيد///
١٠	سعيد سمير سعيد شبير///	٢٥	محمد سمير أبو لبدة///
١١	شادي حسن إبراهيم حمد///	٢٦	بلال فتحي أبو فخر///
١٢	مصطفى ناهض مصطفى شهوان///	٢٧	وسام علي الخطيب///
١٣	نعيم عوض العبد عبدالعال///	٢٨	أحمد ياسين رصرص///
١٤	هارون جمال عبدالرحمن هارون///	٢٩	عبدالناصر ياسين رصرص///
١٥	وليد عادل خليل الطبش///	٣٠	بشير أحمد مشعل///

٣١	محمد موسى أبو حميد - فسلطيني هارب	٤٩	ناصر خليل منصور - فسلطيني هارب
٣٢	رامي شوقي منصور / / / / /	٥٠	محمد سهيل بدوي/ / / / /
٣٣	محمد خليل شبانه / / / / /	٥١	محمود رشاد كمال أبو خضيرة / / / / /
٣٤	ناصر فتحي أبو كرش / / / / /	٥٢	رائف جمال أبو هاشم / / / / /
٣٥	حسن سلامة / / / / /	٥٣	محمد لطفي أبو عبيد / / / / /
٣٦	فيصل جمعه أبو شلوف / / / / /	٥٤	نضال سامي البلبيسي / / / / /
٣٧	تيسير أبو سنيمة / / / / /	٥٥	محمود فضل حسين / / / / /
٣٨	محد السلاوي / / / / /	٥٦	أشرف عبد المجيد الهمص / / / / /
٣٩	رامي عياش / / / / /	٥٧	محمد خليل أبو شاويش/ / / / /
٤٠	أدهم أبو ريالة / / / / /	٥٨	محمد جمال أبو الفول / / / / /
٤١	سعد الله أبو العمرين / / / / /	٥٩	ناصر خليل منصور / / / / /
٤٢	سعيد محمد علي الحمامي / / / / /	٦٠	علي إبراهيم الحمص / / / / /
٤٣	محمد فايق جودة / / / / /	٦١	رامي أحمد خير الله / / / / /
٤٤	زكريا محمود التجار / / / / /	٦٢	أحمد فايز أبو حسنة / / / / /
٤٥	إياد صبري عبدالهادي العكوك / / / / /	٦٣	محمود فضل حسين / / / / /
٤٦	محمد عبد المجيد المغازي/ / / / /	٦٤	صلاح العطار / / / / /
٤٧	رياض محمود بهلول/ / / / /	٦٥	محمد جامع محسن معيوف / / / / /
٤٨	باسل إبراهيم الدربي/ / / / /	٦٦	محمد فتحي أبو فخر / / / / /

٦٧	أيمن محمود خليل أبو طاهر - فسلطيني هارب	٨١	محي حامد محمد السيد أحمد / طبيب بمستشفى الزقازيق / محبوس
٦٨	أكرم خليل جبر صيام / / / /	٨٢	محمد سعد توفيق مصطفى الكتاتني/ أستاذ بكلية العلوم جامعة المنيا / محبوس
٦٩	خميس أبو النور / / / /	٨٣	محمد محمد مرسي عيسى العياط/ رئيس الجمهورية سبقا / محبوس
٧٠	أكرم الحية / / / /	٨٤	عصام الدين حسين العريان / طبيب/ محبوس
٧١	رائد العطار / / / /	٨٥	أحمد أبو مشهور أبو مشهور عوض / مدرس محبوس
٧٢	عبدالرحمن داود السيد الشوربجي/ موظفاً	٨٦	سعد عصمت محمد الحسيني/ محافظ كفر الشيخ سابقا/ محبوس
٧٣	عادل مصطفى حمدان قطامش / هارب	٨٧	مصطفى طاهر علي الغنيمي/ طبيب محبوس
٧٤	محمد محمد محمود عويضة / هارب	٨٨	محمود أحمد محمود أبو زيد زناتي/ أستاذ جراحة محبوس
٧٥	إبراهيم إبراهيم مصطفى حجاج / هارب	٨٩	أحمد علي علي عباس/ مهندس هارب
٧٦	السيد عبد الدايم إبراهيم عياد/ مهندس هارب	٩٠	ماجد حسن حسن زمر/ صاحب مكتبة هارب
٧٧	محمد بديع عبدالمجيد سمي/ أستاذ بكلية الطب البطري جامعة بني سويف / محبوس	٩١	أحمد رامي عبد المنعم عبد الواحد/ صيدلي هارب
٧٨	رشاد محمد علي بيومي/ أستاذ بكلية العلوم جامعة القاهرة/ محبوس	٩٢	عبدالغفار صالحين عبدالباري محمد/ صيدلي هارب
٧٩	صفوه حموده حجازي رمضان / محبوس	٩٣	أحمد عبدالوهاب علي دله/ مدرس هارب
٨٠	السيط محمود عزت إبراهيم عيسى / أستاذ بكلية طب الزقازيق / هارب	٩٤	محمد محسن محمد الشيخ موسى / مدرس هارب

٩٥	السيد حسن شهاب الدين أبو زيد/ عميد كلية الهندسة جامعة حلوان سابقا/ محبوس	١٠٦	أحمد أحمد على العجيزى/ مدير عام المنطقة للإحصائية الغربية/ محبوس
٩٦	محسن يوسف السيد راضي / صحفي محبوس	١٠٧	رجب عبد الرحيم متولي هباله/ مدرس محبوس
٩٧	ناصر سالم سالم الحافي/ محامي هارب	١٠٨	عماد شمس الدين محمد عبد الرحمن/ استشاري تخاطب بمستشفى المنصورة محبوس
٩٨	صبحي صالح موسى أبو عاصي/ محامي محبوس	١٠٩	أحمد إبراهيم بيومي صبره / محامي بشركة الملاحات بالفيوم/ هارب
٩٩	حمدي حسن علي إبراهيم/ طبيب بشري/ محبوس	١١٠	السيد النزيلي محمد العويضه/ بالمعاش هارب
١٠٠	يحيى سعد فرحات سعد محمد/ مدرس هارب	١١١	حسن علي أبو شعيشع علي/ طبيب أطفال بمستشفي كفر الشيخ العام/ هارب
١٠١	أحمد محمد محمود دياب/ مدرس بكلية الألسن جامعة عين شمي/ محبوس	١١٢	رجب محمد محمد البنا/ مفتش تموين بإدارة تموين دسوق/ هارب
١٠٢	أحمد محمد عبدالرحمن عبدالهادي/ طبيب وصاحب مستشفى مكة التخصصي/ هارب	١١٣	علي عز الدين ثابت/ أستاذ بكلية الطب جامعة أسوان/ هارب
١٠٣	أيمن محمد حسن حجازي/ مدرس هارب	١١٤	حازم محمد فاروق عبد الخالق منصور/ نقيب أطباء أسنان مصر/ محبوس
١٠٤	عبد المنعم محمد أمين أحمد تغيان/ أستاذ بكلية الهندسة جامعة حلوان/ محبوس	١١٥	محمد محمد إبراهيم البلتاجي/ أستاذ بكلية الطب جامعة الأزهر/ محبوس
١٠٥	محمد أحمد محمد محمد إبراهيم/ باحث علمي بجامعة الملك عبدالعزيز آل سعود بجدة / هارب	١١٦	يوسف عبدالله علي القرضاوي/ هارب

١١٨	إبراهيم إبراهيم أبو عوف يوسف/ هارب	١١٧	متولي صلاح الدين عبدالمقصود/ وزير الإعلام السابق/ هارب
١١٩	أسامة سعد حسن جادوا/ هارب	١٢٥	أيمن أحمد نوفل/ فلسطيني قيادي بالجناح العسكري لحركة حماس/ هارب
١٢٠	كمال علام محمد علي الحفني/ قيادي بالتنظيمات الإرهابية / هارب	١٢٦	محمد محمد الهادي/ قيادي بالجناح العسكري لحركة حماس/ هارب
١٢١	رمزي موافي/ طبيب بن لادن/ هارب	١٢٧	محمد محمد حسن السيد/ هارب
١٢٢	يسري عبدالمنعم علي نوفل/ موظف بالبنك الأهلي المصري/ هارب	١٢٨	محمد يوسف أحمد منصور، وشهرته سامي قيادي بحزب الله اللبناني/ هارب
١٢٣	محمد رمضان الغار/ هارب	١٢٩	إيهاب السيد محمد مرسي، وشهرته مروان/ قيادي بحزب الله اللبناني/ هارب
١٢٤	معتصم وليد القوقا/ هارب	١٣٠	طارق أحمد قرعان السنوسي/ إمام وخطيب مسجد/ هارب

(١)

هذه هي أعمال جماعة تقمصت بقميص الدين وهى منه ببعيد، وها هو الأستاذ "علي عشماوي" والذي كتب مذكراته في ستينيات القرن الماضي، وكأنه يكتبها اليوم حيث يقول في الخاتمة بعنوان الإخوان إلى أين؟ :(لابد من استشراف مستقبل هذه الجماعة مع الأخذ في الاعتبار كل ما جاء من معلومات عنها، ولقد نوهت في الخاتمة إلى احتمال أن تستهلك هذه الجماعة في "حرب طائفية مع.الأقباط"، إلا أنه يبقى احتمالات أخرى، منها أن تتاح لهم الفرصة لاعتلاء "كرسي الحكم"، وعندها سوف

(١) -جريدة الأخبار- الأربعاء ربيع أول ١٤٣٥هـ-٢٩ يذير ٢٠١٤م- العدد (١٩٢٨٢) السنة (٦٢) ص: (٤).

يتغير المسرح تماماً وحيث أنهم سيجرون البلاد إلى صدام عالمي)[1].

نعم كانت ستجرنا إلى صدام عالميّ مع الدول الصديقة، وغير الصديقة، لأن هذا هو دينهم الدسائس والمكائد وزرع الفتن، وإشاعة الفوضى، وقتل الأبرياء، وسفك الدماء، والتعاون مع الأعداء، وبيع الأوطان، هذه هى وطنيتهم التي نُقِشَتْ في صدورهم، من أجل ذلك سينتظر قادتهم الدمويون حكم الأشغال الشاقة المؤيدة، أو حكم الإعدام بنص المادة ٨٦ مكرر (جـ) من قانون العقوبات والتي تنص على أن:

(يُعاقب بالأشغال الشاقة المؤبدة كل من سعى لدى دولة أجنبية، أو لدى جمعية، أو هيئة، أو منظمة، أو جماعة، أو عصابة يكون مقرها خارج البلاد، أو بأحد ممن يعملون لمصلحة أَيٍّ منها، وكذلك كل من تخابر معها أو معه، للقيام بأيِّ عملٍ من أعمال الإرهاب داخل مصر، أو ضد ممتلكاتها، أو مؤسساتها، أو موظفيها، أو ممثليها الدبلوماسيين، أو مواطنيها أثناء عملهم، أو وجودهم بالخارج، أو الاشتراك في ارتكاب شئ مما ذكر، وتكون العقوبة الإعدام إذا وقعت الجريمة موضوع السعي، أو التخابر، أَوْ شُرِعَ في ارتكابها) ألم يكن ذلك فى صلب ومضمون قضية "الهروب من سجن وادي النطرون"، والمعروفة إعلامياً باسم "الهروب الكبير" لِيُصْبِحَ هذه نهاية عادلة لكل خائنٍ غدارٍ خان مِصْرَ وأرضها وترابها وحدودها وشعبها، وعلى الباغي تدور الدوائر.

وَطَنِيَّةُ الْأَقْبَاط:

الأقباط وطنيونَ حتى النُّخَاعِ، وَمَنْ يَقُلْ غير ذلك فهو قصيرُ النظرِ، لا يرى إلا من تحت قَدَمَيْهِ فقط، أو من ثقب إبرةٍ وسنذكَر ذلك من خلال أقوالهم وأفعالهم، وهى كثيرة، ولكن سندكرُ بعْضاً منها على سبيلِ الْقَصْرِ، لَا الْحَصرِ، وهى كالآتي:

(١) مذكرات الأستاذ/ على عشماوي -آخر قادة التنظيم الخاص ص: (٦٦).

وطنيتهم من خلال أقوالهم:

لابد لنا في ذلك المقام أن نذكر شهادة "اللورد كرومر" والذي مكث في مصر خمسة وعشرين عاماً، فكتب يقول: (إن المصريين المسيحيين كانوا يقابلوننا بمشاعر الغضب والكراهية، ولم أجد فرقاً بين المصري المسلم، والمصري المسيحي سِوَى أن الأول يذهب إلى الصلاة في المسجد، و لثاني يذهب إلى الصلاة في الكنيسة) هذه الشهادة توضح بجلاء عن مصداقية الشعورِ الوطنيِّ بين المسلم، والقبطيِّ، ومدى وحدُة الصفِّ بينهم وأنهم في الوطن واحد، مشاعرهم واحدة، وأحاسيسهم واحدة، وقد حاول "اللورد كرومر" مراراً وتكراراً أن يطبقَ سياسة فَرِّقْ تَسُدْ، وإحداث الفتن بين الأقباط والمسلمين، ولكن الشعورَ القومى، والالتحام الوطني، جعله لا يفلح في ذلك!!، ولننظر إلى أحد ثُوَّارِ ١٩١٩م من المصريين الأقباط، وهو القس "مرقص فارجيوس" الذي وقف على منبر الأزهر أيام الثورة، مُخَاطِباً الإنجليز قائلاً: (إن كان الإنجليز جاءوا إلى مصر لحماية الأقباط، فَلْيَمُتْ الأقباطُ جميعاً، وَلْيَحيَا المسلمونَ) هذه هى الوطنيةُ المصرية التي ربطت جذور أقباط مصر، ومسلميها وَدَعَّمَتْ فروعها طوال التاريخ، ولا ننسى مقولة "البابا شنودة" لأمريكا عندما طلبت حماية الكنائس في مصر قائلاً: (إن كانت أمريكا، ستحمي الكنائس في مصر، فَلْيَمُتْ الأقباطُ، وتحيا مِصْرَ)، وقال أيضاً: (إِنَ مِصْرَ لَيْسَتْ وَطَنٌ نَعِيشُ فِيهِ، بَلْ وَطَنٌ يَعِيشُ فِينَا)، ومن أشعاره كان يقول:

جَعَلْتُكِ يَا مِـصْر فِي مُهْجَتِي وَأَهْـوَاكِ يَا مِصْرُ عُمْقَ الْـهَوَى

وَقَالَ الزَعِيمُ الْوَطَنِيُّ "مكرم عبيد" (أَنَا مَسِيحِيُّ الدِّيَانَةِ، مُسْلِمُ الْوَطَنِ).

ونهجَ "البابا تواضروس" نهج "البباشنودة"، وحذا حذوه، عندما أحرق "الإخوان" بعض الكنائس بعد فض اعْتِصَامَيْ "رابعة، والنهصة" يوم الأربعاء ١٤/ ٨/ ٢٠١٣م، حيث قال: (تحرق لكنائس، ويموت المسيحيون، وتحيا مصر)،

وأضاف قائلاً: (فإذا أُحرقت الكنائس، سنصلي في المساجد، وإذا أُحرقت الكنائس والمساجد، سنصلي جميعاً مُسلمين ومسيحيين مَعاً في الشوارع)

وعندما طلب منه "المعزول" أن يُصْدِرَ بَيَاناً، لجموع الأقباط بمنعهم من النزول في مظاهرات ٣٠ يونيو رَفَضَ رَفْضاً بَاتاً مُؤَكَّداً "لمرسي" أنه لا يملك ذلك، وأن الشباب القبطي حُرّ في قناعته السياسية وتوجهاته، ولم يَقْتَصِرُ الأمرُ على ذلك وفقط، بل التحم النسيجُ الوطنيُّ تحت مسمى شعار الوطنية، مسلمين، وأقباط، فاتحدت شعاراتهم، وامتزجت أصوات المآذن، وَأجراس الكنائس، وانطلقت مُدَوِّيةً في وقتٍ واحدٍ، لتعلن للعالم أجمع أن مِصْرَ جُبِلَتْ جيناتها على الحبِّ الجمعيِّ، لَا تُؤَثِّرُ فيها الفتن، ولاَ يَفِتُّ عَضُدَهَا الْفُرقَةُ، فأصبح هذا اليوم عِيداً لجميع الطوائف والملل، فدقت أجراس الكنائس، مع آذان المآذن في وقتٍ واحدٍ على مدار اليوم كله في الخمسةِ فروض، ولم يقتصر الأمر على ذلك أيضاً، بل في يوم الخميس، أول أيام عيد الفطر المبارك ١ شوال ١٤٣٤هـ -٨أغسطس ٢٠١٣م، التحم المسلمُ مع القبطيُّ في تلاحم جميل، وتجانس ليس له نظير، شارك المصلين، ومجندي الأمن المركزي، وضباطَ الشرطة، ورجال الجيش المكلفين بتأمين محيط قصر الاتحادية، وعندما حَلَّ موعد الصلاة، قام جموع المصلين بترديد تكبيرات العيد، وفي لافتةٍ تَدُلُّ على مدى المشاركة، وأن الوطنَ نَسِيجٌ وَاحِدٌ، قام عَدَدٌ من الشباب القبطيِّ بعمل حواجز أمنية من اتجاه شارع "باب اللوق"، وشارع "محمد محمود"، لتأمين الصلاة داخل الميدان، في حين أَمَّ المصلين الشيخ "جمعة محمد علي" إمام وخطيب ميدان التحرير[1].

فَإذا عُدْنَا إلى الزمن الجميل وسمعنا من فيه رسول الله ﷺ، حَيْثُ يُوصِي وَصِيَّةً خَاصَّةً بأقباط مِصْرَ، لأن لهم شأنٌ خَاصٌّ، ومنزلةٌ متميزةٌ، يَعِيَها عقل كل مسلم، ويضعها في السويداء من قلبه، فقد روى مسلم من حديث عبد الرحيم بْنِ شِمَاسَةَ

(١) -جريدة التحرير- الجمعة ٢ شوال ١٤٣٤هـ ٩أغسطس ٢٠١٣م -السنة الثالثة- العدد (٧٦٨) ص: (٣).

اَلْمَهْدِيَّ- قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا)، وفى رواية أخرى قال: (ذِمَّةً وَصِهْرًا)[1].

وعنه أيضا، أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ، وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا، فَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلَيْنِ يَخْتَصِمَانِ فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ، فَاخْرُجْ مِنْهَا)[2]، ومعنى أرضًا يُذْكَرُ فيها القيراط: أى مصر، والحديث الذي يليه وضح ذلك، والقيراط: جزء من أجزاء الدرهم والدينار وغيرهما، وكأن أهل مصر يُكثرون من استعماله والتكلم به، بل هم لا يزالون كذلك بالنسبة للمساحة، والصاغة وغيرهما، وكل شئ قابل لأن يُقسم الى ٢٤ قيراطًا، ورسول الله ﷺ يوصى بالإحسان إلى قبط مصر، قال العلماء: الرحم التي لهم: كون "هاجر أم إسماعيل عليه السلام" منهم، وَالصِّهْرُ: كَوْنُ "مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ" منهم، فالرسول ﷺ يجعل للقبط هنا من الحقوق أكثر مما لغيرهم، فلهم الذمة، أى: عَهْدُ الله ورسوله ﷺ، وَعَهْدُ جماعة المسلمين وهو عَهْدٌ جَدِيرٌ أَنْ يُرْعَى وَيُصَانُ، ولهم رَحِمٌ، وَدَمٌ، وَقَرَابَةٌ ليست لغيرهم، فقد كانت "هاجر أم إسماعيل" أبى العرب المستعربة منهم، بالإضافة إلى "مارية القبطية" التى أنجب منها عليه الصلاة والسلام "ابنه إبراهيم"[3].

وَلَمَّا فَتَحَ الْإِسْلَامِيُّونَ مِصْرَ ودخل شعبها، أى: الأقباط فى دين الله أفواجًا، وجماعاتٍ بعدما وجدوا فى الفاتح المسلم ذلك الإنسان العادل الرحيم المؤمن بعد

(١) مسلم برقم(٢٢٦-(٢٥٤٣)»، ومسند الإمام أحمد: (٥/ ١٧٤).

(٢) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، ومسلم عن أبى ذَرٍّ- رضى الله عنه-، وجاء فى الصحيحة برقم: (١٣٧٤)، ومختصر مسلم برقم: (١٧٤٩)، وصحيح الجامع برقم(٢٣٠٧).

(3) HTTP://www.onislam.net/azak-the-scholaa.

معاناةٍ شديدةٍ ومظالم ومذابح تعرض لها الأقباط من أبناء دينهم أنفسهم، مما أحدث فَرْقًا ظهرت أثاره ليس فى مصر وحدها، بل في كل القارة الإفريقية، حيث دخل في الإسلام شعوبًا وقبائل تَيَمُّنًا بدخول شعب مصر فى الإسلام، فما كان السَّرُّ يَاتُرَى؟ لم يكن هناك سِرٌّ سِوَي وصية النبىﷺ، ومن بعده الخلفاء الراشدين، بأن يستوصوا بالنصارى والأقباط خيرًا فى مصر، وقد أوصى بهم الرسول، لأنه علم بمعاناتهم وانتظارهم أول فرصة كي يتحرروا من ظلم الرومان واضطهادهم، بل أكثر من ذلك كان الرسولﷺ يعلم أن نصارى مصر، والحبشة يؤمنون بصدقٍ في دينهم، ولا يمكن لمن يُؤْمِنُ بِصِدْقٍ إلا أن يكون إنسانًا مُخْلِصًا، وصَادقًا-مُحِبًّا لِلْخَيْرِ، وَكَارِهًا للشرَّ والظلم، ومن هنا جاءت دعوة النبىﷺ أوائل المسلمين فى مكة، عندما ظلمهم كفار قريش أن ينطلقوا إلى الحبشة (فَإِنَّ فِيهَا مَلِكًا نَصْرَانِيًّا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ) وهكذا كان وعاش رَهْطٌ من الصحابة في الحبشة حِيناً طَوِيلاً من الزمن فى كنف نصارى الحبشة، وبقى عدد غير قليل كان نواة انتشار دين الإسلام في تلك البلاد، ولذلك حرص رسول اللهﷺ على وصية مصر بقبط مصر خَيْراً، حيث جاء فى الطبرانى الكبير، والحاكم من حديث كعب بن مالك، أن رسول اللهﷺ قال: (إِذَا فُتِحَتْ مِصْرُ، فَاسْتَوْصُوا بِالْقَبَطِ خَيْرًا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا)[1].

وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ العهدة العمرية التى كتبها "عمر بن الخطاب" "لبطريرك القدس" يوم فتحها، والتى أذنت بفتح مصر بعدها، هذه العهدة في رقبة المسلمين حتي قيام الساعة، فالعهدة لم تكن لزمنٍ محددٍ، بل كانت عهدة للمستقبل، ونحن ملتزمون بتطبيقها مع مواطنينا النصارى والأقباط، ولا يجوز لمسلم أن يظلم، أو يجور على نصرانىٍّ، أو قِبْطِيٍّ بغير حَقٍّ واضحٍ ومبينٍ، لِرَدِّ اعتداءٍ، أو مظلمةٍ، وحكم القانون يَجِبُ أن يسودَ بين

(١) الحديث صحيح: رواه الطبرانى، والحاكم من حديث كعب بن مالك، وجاء في السلسلة الصحيحة برقم: (١٣٧٤)، وصحيح الجامع برقم: (٦٩٨).

الناس جميعاً تحت قاعدةٍ شرعيةٍ، حيث قال تعالى: {وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ} (النساء:٥٨)، والعدل هو أن يكون للنصارى والأقباط حقهم فى المواطنة الكاملة، وعليهم مثل مالهم من الحقوق، والواجبات والحفاظ علي كنائسهم، وأديرتهم، وأوقافهم، ومعاملتهم باللطف، والودَّ تطبيقا لقوله تعالي: {وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} (المائدة:٨٢)[1].

لذا وجب علينا أن نطبق هذه الوصايا قولاً وعملاً، ونعلنها بملء أفواهنا جميعاً، بكل صدق، وأمانة، وليغضب من يغضب، وليرضى من يرضى، لأن هذا واجبٌ علينا جميعاً.

وَطَنِيَّةُ الْأَقْبَاطِ مِنْ خِلَالِ أَفْعَالِهِمْ:

وجب على كل مسلم ينطق بلسان الحق أن يعترف اعترافاً صريحاً بوطنية الأقباط من خلال أفعالهم التي ينطق بها لسان الواقع، لِيُصْبِحَ مُحِقّاً للحق، مُغْلِقاً كل أبواب التشهير التي تسعى لرفع الباطل، وإسقاط الحق، لأن كل من له عوارٌ في باب معين، أو ناحيةٍ معينةٍ، يحاول أن يضعَ هذا العوارُ لمخالفيه، كالمثل الدارج والذى يقول: (يَا....، يَا....،خُدِى اللِّي فِيكِ، وَهَاتِيهْ فِيَّهْ)، فكلمةٌ بلا ضابطٍ، ولا معيارٍ تشعلُ في الأجواءِ نار، فأحياناً يتكلم المرء كلمة، أو جملة، بلَا ضابطٍ، ولا معيارٍ، ولا يفكر في عواقبها، وَمَا تُحْدِثُهُ هذه الكلمة، أو الجملة من فتنٍ، أو إنشقاقاتٍ، أو تصدعاتٍ، أو تألماتٍ، أَوْ شَقٍّ وحدةِ الصفِّ، وإضعاف تماسك الوحدة الوطنية، بل وكسرها، فالكلمة إذا حُفِظتْ في الصدر امتلكها صاحبها، وأصبح من السهل اليسير أن يتحكم فيها ويملك زمامها، وإذا تَفَوَّهَ بها وترك للسانه العنان، فيتكلم كيف يشاء، لِيُمَزِّقَ جلود البشر، فتصبح هذه الكلمة هي المتحكمة فيه، وهي التي تملكُ زِمَامَ أَمْرِهِ، وهي المسيطرة عليه، وهى

(1) HTTP://dznabihaga.bez.blogspot.com

التي تتركه عُرْضَةً للاعتذار، كما تقول الحكمة: (إِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ)، فهيا بنا نذهب إلي حوار من تلك الحوارات، والتي أقامها "ثروت الخرباوي" في كتابه (سر المعبد) والذي سَطَّرَ فيها قَائِلاً: (في الثالث من إبريل عام ١٩٩٧ خرجت إلي الحياة إحدى عجائب الحاج "مصطفى مشهور" وهو المرشد الخامس لجماعة الإخوان من الفترة من (١٩٩٦إلي٢٠٠٢) وقد صُرَّحَ في جريدة (أهرام ويكلى) للصحفي "خالد داود" أنه لا يجوز دخول الأقباط إلي الجيش، لأنه سيكون مشكوكاً في ولائهم، وأنه بدلاً من ذلك يجب أن نُلزمهم بسداد الجزية!!).

يقول الكاتب: أصابنا الذهول في قسم المحامين، ولكأنما الحاج "مصطفى" أراد إعلان الحرب علي الجميع، وبعد أيام من انتشار خبر هذا التصريح أقام أحد المحامين من زملائنا الأقباط اسمه "نجيب نصيف" جنحة قذف في حق الحاج "مصطفى" أمام محكمة (جنح النزهة)، وانضم إليه عدد من المحامين الأقباط.

ذهبنا إلي المحكمة بظهورٍ مُحْنِيَةٍ حَدْبَاءٍ، فتصريحاته قالها بالفعل ولا سبيل لإنكارها، خاصة وأن الصحفي قام بتسجيل الحوار، وفي الجلسة الأولي قُمنا بتأجيل الجنحة للبحث عن سبيلٍ للصلح، واستطعنا من خلال صداقتنا بالعديد من المحامين الأقباط تخفيف حِدَّةِ التَّوَتُّر التي غَيَّمَتْ علي الأجواء، ونجح "مختار نوح" في ضم عدد من المحامين الأقباط الي صف المحامين الْمُوَكَّلِينَ عن الحاج "مصطفى"، قُلْنَا: لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ قَدْراً من التوازن، ولكنَ ظلَّ "نجيب نصيف" عنيداً صعب المراس، لا يقبل الصلح أبداً، اقترحنا علي الحاج "مصطفى" توكيل الأستاذ "رجائي عطية" المحامي الكبير للمدافعة عنه، وكنا نعرف أن الأستاذ "رجائي" له حضوره وتأثيره، كما قَدَّرْنَا أن "نجيب نصيف" سيكون لَيِّناً مع الأستاذ "رجائي عطية" في أمر الصلح، لما للأستاذ "رجائي" من مكانة لدي عموم المحامين)[1].

(١) سر المعبد للأستاذ ثروت الخرباوى ص:(١١٤).

ثم ننتقل إلي مشهد أخر يقوله المؤلف بتفويض من الحاج "مصطفى" للصلح، فيقول: (قولوا في الصلح ما تريدون، ولكن هذا لا يغير من الأمر شيئا في "النصارى" يجب أن يدفعوا الجزية، ولا يجوز إدخالهم الجيش، فكيف يدخلون الجيش ويدافعون عن مشروعنا الإسلامي وهو لا يؤمنون بالإسلام، الجزية رحمةٌ بهم، وهذا تشريع الله، هل نغير من تشريع الله!! لا يجوز أن نقول عنهم إنهم (مسيحيون) فالله لم يقل عنهم هذا، هم نصارى، أو أقباط، أو صليبيون، هؤلاء الأقباط ليسوا من أهل الكتاب، بل هم من المشركين، ولا يجوز الزواج منهم، ولا أكل طعامهم، لا يجوز أن نلقي عليهم السلام، ونقول لهم تحية الإسلام: (السلام عليكم)، يقول الكاتب : وكأن أحداً لطمني علي وجهى، ما هذا الكلام؟!! أ أنا في الإخوان، أم في جماعةٍ من جماعاتِ التكفير!! هل ضلت قدمي الطريق فأوردتني موارد التكفير، شعرت في الحاج في هذا اليوم قسوة، ولامبالاة، وكأنه يعيش في دنيا أخرى) ثم ينتقلُ الكاتبُ الي دِهْلِيزٍ أَخَرَ مِنْ تِلْكَ الدَّهَالِيزِ، فَيَقُولُ: هذا الرأي له وجودٌ قويٌ لدي الجماعة، فالجزية تكاد تكون هي الرأي الراجح لدي الإخوان، وستجد أشياء أخري كثيرة خاصة عدم الزواج من المسيحيات، باعتبارهنَّ مشركاتٍ، لاكتابياتٍ، ويقول هذا كثيرون منهم الأستاذ "عبد المتعال الجابري"، وهذه الأفكار منتشرة في الحركة الإسلامية التي تحتاج إلي إعادة اجتهاد، ومعظم ما يقال في هذا الشأن ليس من الشريعة، ولكنه من الفقه، العالم الإسلامي يحتاج إلي ثورة فقهية تنسف القديم نَسْفاً[1].

التَحْلِيلُ عَلَي أَرْضِ الْوَاقِعِ لِتِلْكَ الدَّهَالِيزْ:

أما عن قول الحاج "مصطفى مشهور" عن إلزام الأقباط بسداد الجزية، وعدم أكل طعامهم، وعدم الزواج منهم فقد تعرضنا بالشرح والتحليل إلي ذلك في الصفحات السابقة، أما ما قاله الحاج "مصطفى مشهور" فهو فكرٌ معتقدٌ عند جماعة الإخوان

(١) المصدر السابق (ص:١١٥-١١٦).

وهذا كَلَامٌ، صَحِيحٌ لأنه عند فَضٍّ اعتصامي "رابعة، والنهضة" واستولي جماعة الإخوان، والسلفية المتشددة علي (دلجا وكرداسة)، قاموا بالفعل بفرض الجزية علي أهل (دلجا) وإجبارهم عليها، والتي تراوحت قيمتها من٢٠٠ الي ٥٠٠ جنيه يومياً، ومن يعجز عن الدفع يخرج من البلدة هو وأولاده، أما قوله: أنه لا يجوز دخول الأقباط إلي الجيش، لأنه سيكون مشكوكاً في ولائهم، وقوله أيضا: أنه لا يجوز أن نلقى عليهم السلام، ونقول لهم تحية الإسلام: (السلام عليكم)، فهذا ما سنقوم بشرحه، وتحليله علي أرض الواقع بإذنه تعالى، فالبطولات لا تؤثر فيها الأقوال المغرضة ولا المتردية، ولا المبتورة، فأقباط مصر عندهم ولاءٌ شديدٌ لمصر وأرضَها وجيشَها وشعبَها، وذلك ليس كلاماً مُرْسَلاً، أو كلاماً يَدُلُّ علي عاطفةٍ تميلُ نحو طائفةٍ من الطوائف، أو ملةٍ من الملل، ولكنها حقيقةً توجه أنظارنا جميعاً إلي الوصايا الخاصة التي توصلنا إلي أن القبط عُدَّةً وأعواناً علي أعدائنا، وقد شهد التاريخ بذلك في إخلاص هؤلاء في جيش مصر، وأنهم معنا في رباطٍ إلي قيام الساعة، وصدقت نُبُوَّةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم حيث أوصي عند وفاته، فقال: (اللَّه اللَّه فِي قِبَطِ مِصْرَ؛ فَإِنَّكُمْ سَتَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ، وَيَكُونُونَ لَكُمْ عُدَّةً وَأَعْوَاناً فِي سَبِيلِ اللهِ)[1].

وروى ابن حبان في صحيحه من حديث عمرو بن حريث، أن رسول اللهﷺ قال: (فَاسْتَوْصُوا بِهِمْ خَيْراً فَإِنَّهُمْ قُوَّةً لَكُمْ، وَبَلَاغٌ إِلَى عَدُوِّكُمْ بِإِذْنِ اللهِ)[2].

(١) أخرجه الطبراني في (الكبير) (٢٣/ ٢٦٥/ ٥٦١) من حديث يحيى بن أيوب عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي سلمة عن أم سلمة – رضى الله عنها –، وقال الشيخ الألباني: هذا إسناد صحيح لا أعرف له علة؛ فإن رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين، وقد رواه الطبراني في (المعجم الصغير) (١٢٩/ ١٤٧- الروض النضير)، وقاله الهيثمي في (مجمع الزوائد) (١٠/ ٦٣) (رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح)، وجاء في السلسلة الصحيحة برقم: (٣١١٣).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه، كما جاء في الموارد برقم: (٢٣١٥)، وقاله الهيثمي برقم: (١٠/ ٦٤)، ورواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

وقال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللهَ سَيَفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِصْرَ، فَإِذَا فَتَحَهَا فَاتَّخِذُوا مِنْهَا جُنْداً كَثِيفاً، فَإِنَّهُمْ وَ أَزْوَاجُهُمْ فِي رِبَاطٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ).

إذن لقد بات واضحاً لكل لبيب له عينين، أن يرى من خلالهما الحقيقة، والواقع الذي لاشك فيه، ولا تضليل دور أقباط مصر في التصدي للعدوان الإسرائيلي على مصر، والسمفونية الجميلة التي عزفت أجمل ألحان اللحمة الوطنية (الهلال مع الصليب) في حروب ٥٦، ٦٧، ٧٣ وما بينهما من مهماتٍ رئيسية كُلِّفوا بها، وقاموا بها مع إخوانهم الجنود المسلمين علي خير قيام، وإليك عزيزي القارئ الحقائق من مصادرها، وتواريخها، وأسماء هؤلاء المخلصين: اللواء/ شـــفيق متري ســـدراك: (لواء حربى مصري: من مواليد ١٩٢١ في محافظة أسيوط في مصر، شارك في حروب ١٩٥٦، ١٩٦٧، وحرب ١٩٧٣، وكان قائداً لكتيبة مشاة في منطقة أبو عجيلة في سيناء، أمضي اللواء "شفيق" أكثر من ١١ عاماً متواصلاً في جبهة القتال، وهو حاصل على وسام نجمة سيناء من الطبقة الأولى، ولنبوغه وتفوقه فى الكلية الحربية تم تعيينه ضمن هيئة التدريس، حيث كان يقوم بتدريس مادة (التكتيك وفن القتال) خاصة للطلبة الوافدين باللغة الإنجليزية، وكان يقود أول لواء مشاة عبر القناة يوم ٩ أكتوبر ١٩٧٣ التابع للفرقة ١٦ من الجيش الثاني الميداني، ووصل بقواته إلي قرب الممرات حيث كان يُجيد فن القتال بالدبابات في الصحراء، وكان دائماً يتقدم قواته ليبث في نفوسهم الشجاعة والإقدام إلي أن استشهد أثناء إدارته للمعركة في عمليات تحرير النقطة ٥٧ جنوب الطالية، حيث أُصيبت مركبة القيادة بقذيفة دبابة، واستشهد ومن معه في المركبة وكانوا خمسة أبطالٍ آخرين، وقد حصل اللواء شـــفيق متري ســـدراك على جميع الأوسمة والنياشين التقليدية، والدورية، والاستثنائية، ولكن كان أعظم الأوسمة والنياشين هو وسام نجمة سيناء من الطبقة الأولى، والذي منحه الرئيس الراحل «محمد أنور السادات» لأسرة الشهيد، تقديراً لما أظهره المرحوم الفقيد من

أعمالٍ ممتازةٍ تَدُلُّ على التضحية والشجاعة في ميادين القتال أثناء حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ الموافق السادس من أكتوبر ١٩٧٣م وهو أعلي وسام مصري، وتم إطلاق اسمه علي الدفعة ٧٥ حربية وهى من أفضل خريجي الكلية الحربية).

الفريق/ عزيز غالي : (والذي كان قائداً للفرقة (١٨) التي حررت مدينة "القنطرة شرق" ودمَّرت أقوي حصون خط بارليف المدرع الإسرائيلي (١٩٠) والذي كان وقتها برتبة عميد، وقام بتأمين منطقة شرق القناة من (القنطرة إلى بور سعيد) في مواجهة الهجمات المضادة الإسرائيلية وفي ١٢ ديسمبر ١٩٧٣ تم تعيينه قائداً للجيش الثاني الميداني، وَمُنِحَ رتبة (اللواء)، كما ساهم في تدمير قوات العدو في ثغرة (الدفرسوار).

اللواء طيار أركان حرب / مدحت لبيب صادق: (صاحب لقب أفضل قائد قاعدة جوية على مستوى القوات المسلحة، والذى كان يوم السادس من أكتوبر ضمن تشكيل مكون من أربع طائرات ميج٢١ التي كانت في ذلك الوقت هي العمود الفقري للقوات الجوية المصرية، وكانت هذه الطائرة مُقاتلة اعتراضية، مهمتها اعتراض وتدمير طائرات العدو في الجو).

– اللواء/ صليب منير بشارة: (وهو أحد المخططين لحرب أكتوبر، والذي عُيِّنَ رَئِيساً لهيئة البحوث العسكرية في مايو ١٩٧١، وخلال الفترة من مايو ١٩٧١إلى ١٩٧٣ قامت الهيئة بنشر العديد من البحوث العسكرية التي كانت مَرْجِعاً مهماً للذين خططوا لعبور ٦ أكتوبر، واشتملت تلك النشرات علي جميع التفصيلات للعملية الهجومية لاقتحام (قناة السويس) وعلى قمة تلك النشرات تأتى النشرة رقم (٤١) عن عبور واقتحام الموانع المائية التي صاغتها لجنة شكلتها هيئة البحوث العسكرية بقيادة اللواء أركان حرب (صليب) مع خبرة الضباط).

– العميد/ ميخائيل سند ميخائيل: (والذي كان ضمن قوات الردع الصاروخي،

وأثناء اقتحام خط بارليف أثناء الثغرة في ١٦ أكتوبر، كان مسئولاً عن سحب الصواريخ الموجودة على الناقلات إلى المنطقة الخلفية (بالقصاصين) حيث تم تدمير العديد من صواريخ العدو).

- اللواء/ فكري بياوى: (والذى اشترك في حرب ١٩٧٣ وأصيب إصابة بالغة، فجاءه إخوته المسلمون منهم (محمد مصيلحي) و (زكريا عامر)، حيث خرجوا من الخندق ورفضوا أن يتركوه فريسةً للموت، وَ أَصَرُّوا أن يحملوه ويسيروا به وسط ضرب الطائرات مُضحين بأنفسهم من أجله، وحملوه لمسافة ثلاثة كيلومترات حتى وجدوا ساتراً احتموا به، ثم جاءوا به إلى موقع الإسعاف حيث أُسعف).

- الفريق/ عزيز غالي: (كان قائداً للجيش الثاني، وقد تم محاصرته ولم يستسلم متحملاً بكل شجاعةٍ إلى أن تم التحرير، وقد كَرَّمَتْهُ الدولة وتم تعيينه فيما بعد محافظاً (لجنوب سيناء) في عام ١٩٨١).

- اللواء أركان حرب طيار/ جورج ماضي عبده: (والذي وصل إلى منصب رئيس أركان الدفاع الجوي).

- اللواء أركان حرب/ شـــفيق متري ســـدراك: (والذي استشهد في (الدفرسوار) وكان أول من استشهد فيها).

- اللواء المقاتل أركان حرب/ مدحت لبيب صادق.

- اللواء طيار مقاتل أركان حرب/ نبيل عزت كامل.

- الطيار/ سمير عزيز ميخائيل: (أسطورة في تاريخ الطيران المصري لما له من جرأة ومهارة يحسده عليها الآخرين، وكثيراً مَا كُتِبَتْ عنه مقالات أجنبية تُمجده وتُبرز دوره كطيارٍ مصريٍّ بارزٍ في حرب الاستنزاف، وحرب أكتوبر- وُلِدَ عام ١٩٤٣، وتخرج من الكلية الجوية عام ١٩٦٣ بالدفعة ١٤ برتبة ملازم طيار، ثم تم توزيعه عل

جناح المقاتلات، وحصل على فرقة مقاتلات في مطار كبريت، وكان قائدها العقيد "محمد نبيه المسيري" ثم انتقل إلى سرب ميج-١٧ مقاتلات قاذفة، ولم يستمر به طويلاً، ثم انتقل بعدها إلي المقاتلات-الميج-٢١، برتبته الصغيرة وهي الملازم، وكانت أول دفعة تنتقل إلي الميج-٢١ والتي وصلت مصر حديثا في ذلك الوقت، وكانت طائرات الميج-٢١ كلها ذات مقعدٍ واحد فقطٍ، ولم يكن قد وصل طائرات للتدريب ذات مقعدين، فكان يتم التدريب علي طائرة ميج-١٧، وعند مرحلة الهبوط يتم تنفيذ إجراءات الهبوط وكأننا علي الميج -٢١، وبعدها كان يطير بمفرده(سولو) علي الميج-٢١، يقول سمير عزيز: انتقلت إلى اليمن عام ١٩٦٥ وكنت برتبة ملازم أول، وكان هناك في اليمن طائرات ميج-١٧ فقط، وطرنا بها علي أجواء اليمن نظراً إلي عدم وجود ميج-٢١، وكانت تلك الفترة باليمن فترة هادئة، فكنا ننفذ طلعات استعراضية أمام القبائل اليمنية المعارضة بغرض إرهابهم، فلم يكن أحد من تلك القبائل قد سبق له رؤية طائرات من قبل، فكنا نثير الذعر في نفوسهم بشدة، امتدت تلك الفترة إلى ٣ شهور باليمن، وكان معي "صلاح دانش" وكنا نأخذ أجازه كل ٢٧ يوم إلى القاهرة، وعدنا للطيران على طائرة ميج-٢١ وكانت من طراز F-13 وهو أحد أول الطرازات التي حضرت إلي مصر، وكانت تلك الطائرات ممتازة من حيث خفتها ورشاقتها ومسلحة بمدفع وصاروخين K-13 وخزان وقود بباطن الطائرة يسع ٥٠٠ لتر، وفي تلك الفترة كان يتم شحننا معنوياً ضد اليهود وأننا يجب أن نهزمهم شَرَّ هزيمةٍ، وأننا متفوقون عليهم ونستطيع سحقهم، وقبل الحرب ب ١٥ يوم وتحديداً في الرابع عشر من مايو ١٩٦٧ رفُعت حالة الطوارئ وتم منح الإجازات).

يوم ٥ يونيو ١٩٦٧م

يَقُولُ أَيْضاً: (في صباح الخامس من يونيو كانت طائرات الميج-٢١ مرصوصة بجانب بعضها وبين كل منها مترين، وأمامها السخوي-٧، فكانت في صَفٍّ آخر لصف

الميج-٢١ ورأيت المشهد بعيني، جاءت طائرة إسرائيلية وضربت طائرة ميج-٢١ من تلك الطائرات، فانفجرت بسبب (الوقود) الموجود بداخلها، فاشتعلت وأشعلت الطائرة التي بجانبها، ورأيت صاروخ يخرج من طائرة ميج-٢١ محترقة لينفجر بالسوخوى-٧ التي أمامه، وأشعت السوخوى بدون أن تضرب، ثم شاهدت طائرة سوبرمستير تتجه نحوي لكي تضربني، فقفزت من علي المدفع وضربته باتجاه الطائرة فانفجرت، ثم رأينا طائرة مستير تطير على ارتفاع منخفض جِدّاً من فوقنا، فأخرجت طبنجتي، وأطلقت عليها النار وأصيبت بالفعل، ونظر إليَّ قائدها و استمر بخط سيره العادي كأن شيئاً لم يحدث، فما الذي يمكن أن تسببه طلقة طبنجة في طائرة مقاتلة، وبعدها بثوانٍ وجدت "ممدوح حشمت" يقول لي: يا فندم الطيارة نازلة عليك، فنظرت خلفي، فوجدت الطائرة التي ضربتها تنزلُ عَلَيَّ بالضبط، فنظرت خلفي فلم أجد أحداً، فقد نزلوا جميعاً تحت السيارة، ولم أجد مكاناً بجانبهم، فقلت أفضل شيء أن أجرى إليه ليصعب عليه ضربي، لأني لو اتجهت يميناً، أو يساراً يستطيع أن يعَدِّلَ اتجاه طائرته ويضربني خصوصاً أن الطائرة سرعتها بطيئة، شعرت أنني أجري أسرع من الفهد من الخوف، ففتح الطيار النار مبكراً لكي يلحقني، فرأيت دخان المدفع، فقلت لنفسي أني سأموت حالاً، وبعد ثانية واحدة وجدت الطلقات بجانبي بالضبط، وتطاير الرمال حولي من تأثير الطلقات المندفعة. ومن شدة خوفي قفزت علي سورٍ كان أمامي، وَجُزِعَتْ زراعي، وعدت إليهم مرةً أخري فوجدتهم واقفين بجانب السيارة مندهشين مما حدث، ثم أخذنا السيارة وعدنا إلي مطار (فايد) فوجدت "أموزيس، وحسين حشمت" يقولون: إننا سنذهب إلى قاعدة إنشاص، وعند وصولنا (إنشاص) وجدنا حال المطار هناك لا يختلف كثيراً عن مطار فايد، فالتدمير قد طال معظم الطائرات، ولم يكن لدينا شيئاً يمكن أن نقوم به، فذهبنا إلي أعلي استراحة الملك "فاروق" والتي خُصصت لمبيتنا خارج حرم المطار).

ما بعد النكسة:

ثم يستطرد "سمير" قائلاً: (بعد النكسة تم تعيين "مدكور أبو العز" قائداً للقوات الجوية، واشتركنا بطلعات عمليات يومي ١٤،١٥ يوليو وكانت مهمتنا حماية الميج-١٧، وكان لتلك الطلعة نتائج كبيرة في إثبات أن القوات الجوية لم تمت، وفي فترة عام ١٩٦٨ تم تعيين "شلبي الحناوي" قائداً للقوات الجوية والاشتباكات المدبرة والتي أثمرت عن عدة اشتباكات ناجحة مثل كمين "ممدوح طلبية" والذي تم عمله بتدبيرٍ مُحْكَمٍ وأدى إلى إسقاط أربع طائرات ميراج إسرائيلي بدون خسائر من طائراتنا).

مغامرات فوق مطار العدو في رأس نصراني:

إلحاقاً لما سبق، يقول "سمير": (وفي أحد الليالي التي أعقبت هجوم إسرائيلي علي قواتنا في خط القناة عام ١٩٦٩، كنت أجلس بمفردي ومعي خريطة وقررت أن أقوم بمغامرة بمفردي ولا يعلم بها أحد، فقررت أن أقوم بعمل مرور سريع فوق مطار رأس نصراني " شرم الشيخ حالياً" لكي أوجه للإسرائيليين إهانةٌ، وأن أشعرهم بالإذلال، وَقُمْتُ بحساباتي الملاحية وخط السير تُجاه جزيرة شدوان علي ارتفاع مُنْخَفِضٍ جِدًّا، و ن المسافة من شدوان إلي رأس محمد هي ٤٥ كيلومتر وتستغرقَ حوالي ثلاث دقائق من الطيران السريع، وطبقا لحساباتي، فإنه إذا رصد الإسرائيليون طائرتي وأنا أرتفع فوق جزيرة شدوان، فهذا يعني أنني سأكون فوق مطار رأس نصراني في اللحظة التي تقوم فيها أول طائرة معادية بالإقلاع، وذلك طبقاً لحسابات الرصد والإنذار الإسرائيلي لي وإعطاء الأمر بالإقلاع لاعتراضي).

حرب الاستنزاف وأول اشتباك، وأول إصابة:

واستكمالاً لما مضى يقول: (بعد شهر جاء دوري في الإجازة، وبالفعل وصلت إلى المنزل وعندما دخلت ومعي شنطتي وجدت التليفون يدق، فقمت بالرد فوجدته "رضا

"رضا اسكندر" فقلت له: أنى بإجازة، فقال لي: (تعالى واحنا هنعمل حاجة تعجبك) وجاءت السيارة ليلاً لتنقلني إلى المطار، وأُبلغت أن هناك طائرتين سوخوي ستقومان بطلعة استطلاع فوق ممر (متلا) وستكون هناك ٤ طائرات ميج-٢١ لحمايتها، وتشكيل الحماية مكون من "سمير عبد الله" (قائد ليدر)، "رضا صقر" رقم ٢، وأنا رقم ٣، و "إسماعيل إمام" رقم ٤، وكانت طائرات الميج-٢١ مسلحة بصاروخين فقط وبدون مدفع، وأيضاً علمت بعد ذلك أنه لم يوضع أفلام للتصوير، وفي صباح اليوم التالي الموافق لعيد شم النسيم ١٣ أبريل ١٩٦٩م طرنا بالطائرات من غرب القاهرة إلى بلبيس، فأعدنا التزود بالوقود، ثم أقلعنا بجانب السوخوي، "الليدر، رقم ٢ يمين التشكيل، وأنا، ورقم ٤ على يساره"، على ارتفاع منخفض جداً باتجاه الشرق حتى وصلنا إلي قناة السويس، ثم ارتفعت السوخوي إلى ٥ كم لكى تستطيع التصوير، وبالطبع ارتفعنا بجانبهما، فاكتشفنا رادارات العدو، ثم وصلنا إلى ممر (متلا) ونفذت السوخوي دوران لليسار ونحن معها، في هذا الوضع أبلغنا الموجه الأرضي وكان "محمد الطباخ" بأن هناك ٤ طائرات معادية خلفنا ب ٤٠ كيلومتر بدلاً من أن يكون على ميمنتهم، ثم قام بزيادة السرعة ومعه السوخوي حتى وصلت إلى حوالي ٩٠٠ كيلومتر في الساعة، فدخلت أنا ورقم ٤ خلف تشكيل السوخوى بحوالى ٤ كيلو بدلاً من أكون علي يسارهم، لأن من سيضربهم من الخلف، فكنت أنا حماية لهم، انتهينا من عمل الدوران وأصبحنا في خط مستقيم باتجاه الغرب إلى بلبيس، فأبلغنا الموجه الأرضي أن الطائرات المُعادية خلفنا ب ٢٠ كيلومتر، ثم بعد ثوانٍ قال ٨ كيلومتر، والسبب في تقدمهم بهذه السرعة أن الموجه الإسرائيلي كان يوجههم ليس خلفنا ولكن إلى أقرب نقطة تسبقنا لكى نلتقى بهم، وبعدها بثوانٍ قال الموجه أن المُعادى خلفنا ب ٢ كيلومتر فقط، في تلك اللحظة، وفي تفكير على جزءٍ من الثانية، قلت لنفسي: "إحنا بنتضرب" فنفذت دوراناً حاداً جداً إلى اليسار بمعامل حمل عالٍ جداً، وفي تلك

"إسماعيل إمام" أصاب طائرته بالمحرك فى جزء يسمى الرنج "الحلقة" مسئول عن زيادة السرعة، أو تقليلها، ومن خلال فتح المحرك وغلقه، أبلغنى بالإصابة، فقلت له: (اعبر القناة، واهبط فى أي مكان) وعندما نظرت خلفي وجدت طائرتين ميراج خلفي تحاولان ضربي، فقمت بالدوران لليمين ورأيت طائرتين أخرتين خلفي، وهنا عرفت أني سأموت، وكان كل ما أريده هو أن لا أُضرب في أرض العدو حتي لايتم أسرى، فكنت أُناور بكل الوسائل، أنزل بالطائرة لأسفل، وعندما أجد طائرتين خلفي أصعد لأعلي، واستمر هذا الوضع حتى رأيت القناة تحتي، و أربع طائرات ميج F١٣،٢١ قادمة كتعزيز لي من إنشاص، وكان هناك ٤ طائرات ميراج أخري جاءت كتعزيز، فاشتبك الجميع مع بعضهم، فزدت من سرعتي وارتفعت لأعلى جداً، ونظرت لأسفل، فرأيت دائرةٌ كبيرةٌ عبارة عن طائرة ميج ٢١، وخلفها ميراج والميراج خلفها ميج ٢١ وهكذا، فقلت لنفسي لماذا لا أضرب طائرة؟ فمن بين لحظة كنت أتمني أن أقترب من القناة لكى يتم ضربي فوق أرضنا بدلاً من أرض العدو، ووسط يأس تام من نجاتي من طائرات العدو، وجدت نفسى في ثانية أخرى أنني في موقف يمكننى من الاشتباك من العدو وأن أصيب طائرة له بعد أن وصل التعزيز لي واشتبك مع طائرات العدو التى انشغلت مع طائراتنا الأربع وتركتنى وحيداً، لكن صواريخي لا تستطيع أن تُصيب طائرة معادية تُناور، لذا وجب أن أسير بخطٍ مستقيم وكأن من يقود تلك الطائرة المعادية غير عالم بوجودى تماماً خلفه، فاتجهت لأسفل إلى إحدى طائرات الميراج مباشرةً لكي أكسر تلك الدائرة، فرأني الطيار الإسرائيلي أني سأصطدم به، فقام بتغيير اتجاهه بسرعة، فارتفعت مرةً أخري لأعلي، ورأيت الطائرات قد تبعثرت في كل اتجاه، منهم طائرة متجهة إلى الشرق بمفردها في خط مستقيم نحو إسرائيل، نزلت خلفها بهدوء وأطلقت عليها صاروخ فأصابها بالمحرك، وبدأ يخرج منها دُخَانٌ أَسْوَدٌ، فنظرت حولي بسرعة لأري إن كان أحد خلفي فلم أجد، فأطلقت عليها الصاروخ الثاني، فانطلق وقبل

أن يصطدم بها ارتفع لأعلى وتخطاها واستمر في نفس خط السير دون أن يُصيبها، وكأن الصاروخ يأبى أن يُصيب تلك الطائرة عَمْداً، فظروف ضرب الصاروخ التالي مماثلة لإطلاق الصاروخ الأول تماماً، لكنها إرادة الله في ألا أصيب الطائرة المعادية إلا بصاروخ واحد، وفي إحدى الأيام كنت قائد تشكيل وبمظلة غرب (بورسعيد) وكان رقم ٣ "وصفي بشارة" وكان خط سيرنا شمالاً، وجنوباً بسرعة ٨٠٠كيلومتر للتقليل من استهلاك الوقود، فأبلغنا الموجه الأرضي "محمد الطباخ" أن هناك تشكيل مُعادي يقوم بعمل مظلة شرق القناة بالقرب من بور سعيد، ثم قال لنا أن التشكيل المُعادي متجه إلينا، وأُمرنا بالعودة إلى المطار، فأبلغته أنني سأتجه إلي لطائرات المُعادية، لأن التشكيل المُعادي كانت سرعته ٣,١ ماخ، أي: أكثر من ١٥٠٠ كيلومتر، وسرعتنا ٨٠٠ كيلومتر فقط، بمعني أننا لو انسحبنا سيتبعوننا ويُلحقوا بنا ونُضرب قبل أن نصل إلي المطار، فاتجهنا إلى التشكيل المُعادي وكان عبارة عن طائرتين فانتوم، فتخطيناهما من أعلي، وقُمنا بالدوران يساراً للدخول خلفهما، وقام المُعادي بالدوران يميناً مع التقليل من سرعته لكي يختصر قطر دورانه، فأصبحنا أسفل منه، ثم خلفه، وفي هذه اللحظة كان يجب أن يكون رقم ٣، ورقم ٤ خلفي لحمايتنا، ولكني وجدت "وصفي بشارة" رقم ٣، ومعه رقم ٤ قاموا بالدخول من أسفلنا وتقدم خلف الفانتوم وأصبح أمامي، ولم أستطع أن أتخطاه، فقلت له "خدته منى" وقمت بتوبيخه لأنه دخل واقتنص الطائرة من أمامي قبل لحظات من ضربها، فارتفعت لأعلي لكي أحميه و رأيته يُطلق صاروخ علي الفانتوم).

فترة ما قبل ١٩٧٣ :

وَعَطْفاً عَلَي مَا قِيلَ، يقولُ "سمير عزيز" : (حدث وَقْفٌ لإطلاق النار سنة ٧٠، وتلاها وفاة الزعيم "جمال عبد الناصر"، وتولى الرئيس "محمد أنور السادات"،

ومرت الأيام، وفى أحد الأيام عام ٧١ علمنا أن الرئيس "السادات" سيزورنا بالمطار، فجمعنا قائد اللواء وقال لنا: (لو سألكوا جاهزين للحرب قولوا: لا)، وبالفعل حضر الرئيس وجلسنا أمام إحدي الدشم وشرح لنا الموقف، والوضع الحالي، وسألنا عن استعدادنا للقتال، فأجبناه بالموافقة خِلَافاً لكلام القائد، ولكننا قُلْنَا أن لنا مطالب من حيث التجهيزات وأن مدي الطائرات لا يصل إلى عمق العدو، فقال لنا: (هتنفذوا الخطة علي حسب ما عندكم، وما في أيديكم) وَ مَرَّ عَامٌ مِنَ الْحَسْمِ والضباب، وما إلي ذلك، ولم نُقَاتِلْ وفي عام ٧٢

علمنا أن هناك طيارين (باكستانيين بليبيا)، وأننا سنذهب إليهم للاستفادة من خبراتهم، وكان قبلها سافر بعض الطيارين القُدامى إلى (سوريا) حيث كان هناك أيضا طيارين (باكستانيين) وتعلموا منهم الطيران والمناورات بسرعات مُنخفضة جدًا تَصِلُ إلى ٢٠٠ كليو متر في الساعة وهى سرعة منخفضة جدًا مُقَارَنَةً بِكُتَيِّبِ الطائرةِ الذي يقول: (إن أقل سرعة للميج ٢١ هي ٤٠٠ كيلو متر في الساعة)، ومن الطيارين المصريين الذين ذهبوا إلى (ليبيا)، "أمير رياض، وأموزيس، وأحمد نصر، ومجدي كمال" وعادوا ليعلمونا ذلك، ثم ذهبنا نحن إلى (ليبيا)، وكان معي بالمجموعة "ضياء بدر، ورضا اسكندر، ورضا صقر، ومدحت عرفه" وهناك وجدنا عدونا اللدود في القتال الجوي، المقاتلة الفرنسية الصنع- الميراج- والتي اشترتها(ليبيا من فرنسا)، ولكن من تدرب عليها وأدارها هم أطقم مصرية كاملة تمهيدًا لدخولها الخدمة في مصر، وكانت مِيزَةً لنا أن نتعرف على طائرةِ عدونا عن قربٍ، فطار كل منا على الميراج المخصصة للتدريب طلعةً واحدةً، رغم أنها لا تكفي لمعرفة إمكانيات الطائرة بالكامل، لكنني حاولت أن أُنَفِّذَ بها بعض المناورات التي تتم بالميج ٢١، لكن الميراج لا تستطيع فعلها، لأن الميج ٢١ تستطيع أن تقوم بالدوران لأسفل بارتفاع ١٢٠٠ متر فقط، برغم أن (الروس) يقولون: (أنها لا تستطيع فعل ذلك بأقل من ١٨٠٠ متر)،

وعندما طرت على الميراج حاولت أن أفعل ذلك لكن المدرب الذي كان معي صرخ، وقال: (إنها لا تستطيع ذلك)، ثم قُمْنَا بطلعات اشتباك معها مع طيارين باكستانيين، فكان مستوانا أعلى منهم بكثير نتيجة خبرات القتال التي كانت لدينا، إضافة إلى ما تعلمناه منهم في مناورات السرعة المنخفضة، فكان ذلك مكسب لنا، ثم عُدْنَا بعد ذلك محملين بخبراتٍ كبيرةً).

حرب أكتوبر-حرب الأيام الثلاث:

وَتَكْمِلَةً لما مضى يقول: (جاء يوم ٥ أكتوبر ١٩٧٣، وليلًا اجتمعنا مع العقيد "أحمد نصر" قائد اللواء ١٠٤ بالمنصورة: حيث كان يوجد السرب ٤٤، والسرب ٤٦، والسرب ٤٢، والذي تم نقله إلى (لأقصر)، ثم جَمَعَنَا قائد اللواء، وأبلغنا أن غدًا الحرب، وأمرنا بإلزام الجميع بالراحة التامة، وكان معي زوجتي (بالمنصورة)، فأمرت أحد الجنود أن يأخذها في سيارة السَّرْب ويعودُ بها إلى القاهرة، وفي صباح ٦ أكتوبر كنا على استعدادٍ تَامٍّ، وكان كل ما يقلقني أن يتأجل موعد الحرب كسابقه ويكون هذا نوع من التدريب فقط، وحوالي ١١ صباحًا طلبوا مِنَّا طلعة تدريبٍ، فأقلع تشكيل من السرب ٤٦ بقيادتي، وتشكيل من السرب ٤٤، وقمنا بعمل طلعة التدريب وفقًا لما رآه قائد اللواء، لكن الهدف لم يكن التدريب، إنما استمرار الخداع للعدو، وبعد انتهاء التدريب عُدْنَا للمطار في الساعة ١٢ ظهرًا، وقبل الساعة الثانية بدقائق أقلعنا من مطاراتنا وَرَوْحُنَا المعنوية تُناطح السحاب الذي نخترقه، ونفذنا مراحل الخطة التي تدربنا عليها طويلًا، وفي الثانية ظُهْرًا، عبرت الطائرات القناة، وكانت مهمتنا في السرب عمل مظلاتٍ في عدة مناطق، وكنت قائد تشكيل من أربع طائرات في مظلة "شرق الإسماعيلية"، وبعد انتهاء الضربة عادت الطائرات، وكان من المفترض أن أعود معها، ولكني انتظرت حوالي ٥ دقائق.

لكي اشتبك مع أي طائرات مُعادية تأتي بدلًا من أعود بلا اشتباك، أبلغني الموجه بالعودة، وفي طريقي للعودة، وبالقرب من المطار أطلق علينا صاروخ "سام مصري" فانفجر بيني، وبين رقم٣ وكان لدينا طيار يُسمى "حسن خضر" وكان وقتها بغرفة عمليات المطار، وأبلغ أن طائراتنا كلها عادت، ولم يَعُدْ لنا طائرات في الجو، فظن الدفاع الجوي أننا هدف مُعادي، نظرت أسفلي، فرأيت باقي الصواريخ تنطلق نحونا، فأبلغت قائد اللواء أننا نُضرب، إذ أُطلق علينا حوالي ٦ صواريخ، لكننا عُدنا إلى المطار بسلام، وعلمنا بنجاح الضربة، فعلمت وقتها أننا انتصرنا، والفرحة غمرتنا جميعًا، فرحة بدء الحرب بنجاح، فكان كل قائد تشكيل يحمل مساعده والسعادة ظاهرةً في الأعين على الجميع "نصر موسى، وعلي زكريا محمول من سمير عزيز، وعلي عبد الحميد محمول من نبيل فؤاد، وأسامه الحفني دخل يمين، وداخل من اليسار مدحت عبد التواب"، واستكملنا باقي اليوم في طائراتنا في حالاتِ الاستعدادِ التامة، وَكَلَّلَ اللهُ جهد الجميع، وتم النصر بإذن الله تعالى[1].

أردت أن أسردَ بعضًا من بطولات هذا الرجل العظيم في جيش مصر، ومدى شجاعته وجسارته في فن القتال في الْجَوِّ، لِأُبْرِزَ للقارئ مدى وطنية الأقباط لبلدهم مصر، وأنهم مع مُسْلِمِي مِصْرَ لُحْمَةً واحدةً، ضِدَّ أيِّ مُعْتَدٍ، وَأَنَّ مَا يُقَالُ عنهم من كثيرهِ، أو قليلهِ، ما هو إلا نَفْخَةً في رَمَادٍ، أَوْ صَرْخَةً فِي وَادٍ، لأن الأبطال لاَ تُؤَثِّرُ فيهم العواصفُ الهوجاءُ، ولا الكلماتُ العرجاءُ، فبطولة الطيار "سمير عزيز" كانت في السماء، أما بطولة اللواء المهندس "باقي زكي يوسف" الذي حطم خط بارليف، فكانت على الأرض، فهو صاحب فكرة استخدام ضخ المياه في فتح الساتر الترابي تمهيدًا لعبور القوات المصرية إلى سيناء، والتي أبقت على حياة ٢٠ ألف جندي، أي:

(١) شبكة الإنترنت.

٢٠٪ من الخسائر المتوقعة في القوات المصرية.

- يقول المهندس "باقي زكي يوسف": (أن هذه الفكرة برغم بساطتها أنقذت ٢٠ ألف جندي مصري على الأقل من الموت المحقق) ثم يستطرد قائلًا: (كان الساتر الترابي عبارة عن كثبان رملية طبيعية موجودة أصلًا، وبعد ذلك عندما جاء "ديليسبس" وحفر القناة، ووضع الحفر على الناحية الشرقية، فجاء "الإسرائيليون" واستخدموها كحائط وقاموا بتعليته، وبدأوا يقربونه ناحية الشرق، فمالت بدرجة ٨٠ درجة، ونحن كُنَّا نعيش مع مولد الساتر الترابي، وفي مايو ١٩٦٩ اجتمعوا مع قيادة الفرقة وأخذنا مُهمة أن نُغير القناة، وكان ضمن المقترحات لتدمير الساتر الترابي استخدام الصواريخ، أو المتفجرات، أو المدفعيات بكل أنواعها، أو الطيران بالقنابل، وكان أقل وقت لفتح ثغرة واحدة من ١٢ إلى ١٥ ساعة، وكانت الخسائر المتوقعة في حدود ٢٠٪ من القوات، يعني ٢٠ ألف شهيد. فسمعت هذا الكلام واندهشت، واستفزتني الخسائر البشرية، فأخبرت القادة العسكريين أن هناك حَلاً بسيطًا جَرَّبْنَاهُ من قبل في "السد العالي"، فقلت لهم في الاجتماع: الساتر عبارة عن رمال، وسبحان الله... هُمَّ عملوا المشكلة وربنا جعل الحل تحتها، فنحن نحفر طلمبات يتم وضعها على زوارق خفيفة تسحب المياه وتضخها، ومن خلال تدافع المياه بالقوة الهائلة تُحرك الرمال وتنزل بوزنها مع المياه للقناة، ومع استمرار تدفق المياه يتم فتح الثغرات بعمق الساتر، فَأُعْجِبُوا جِدًّا بالفكرة، وعلى الفور عُددت بها مذكرة، ووصلت الفكرة إلى الرئيس "جمال عبد الناصر" ووافق عليها، ثم جاءتني تعليمات بعدم الحديث عن الفكرة مطلقا مع أي أحد، وحول مدى نجاح الفكرة وتأثيرها في إتمام عملية العبور يحكى المهندس "باقي" قائلاً: يوم ٦ أكتوبر بدأ العمل في فتح الساتر الترابي منذ انطلاق الحرب، وفي تمام الساعة العاشرة مساءً كان مفتوحًا ٦٠ ثغرة على طول امتداد الضفة الشرقية للقناة، وكانت كافية لإتمام العبور على مدار ذلك اليوم، وفي الساعة الثامنة

والنصف عبر لواء مدرع شرق القناة قبل ميعاد عبوره بساعتين من ثغرةٍ تم فتحها بالمياه وذلك دون وقوع أي خسائر بشرية عدا ٨٧ جُنْدِيًّا فقط في الموجات الأولى للصور بدلًا من ٢٠ ألف شهيد، وعبر الجنود من ٦٠ ثغرة وكأنها كانت شرايين في الجسم تُضَخُّ للناحية الثانية، وهذه غَيَّرَتْ المفاهيم القتالية لفتح الثغرات، وجعلت العدو مُرْتَبِكًا، لأن فتح الثغرات كان من بورسعيد، للسويس، وقدرت الدولة والحكومة المصرية ترقية الضابط "باقي زكي يوسف" إلى رتبة اللواء، وبعد أن تم تحقيق انتصار أكتوبر ٧٣ منحته الدولة نوط الجمهورية من الدرجة الأولى تقديرًا لامتيازه وبطولته النادرة في تلك الحرب)[1].

إذن عزيزي القارئ وجب على كل لبيبٍ نجيبٍ أن يستخدم العقل الفطن، والذي لا يتحاور إلا مع من يستخدم "النسق المفتوح" الذي يقبل الرأي، والرأي الآخر، والذي يعلم جيدا أن الدولة المدنية هى التي تتعامل مع الجميع، وليس مع فصيلٍ واحدٍ، وهى التي تتعامل مع الأجندة الوطنية، ولا يتعامل مع الأجندة التي تريد تقسيم الهوية المصرية، وتحارب بشدة الطرف الذي يستخدم" النسق المغلق" الذي لايعترف بحرية الرأي، والرأي الآخر، والذي لا يعترف بالحدود المصرية، بل يريد إلغائها، ويرفض بشدة اللحمة الوطنية، لأنه يريد كسرها، وتفتيتها، وعدم المحافظة عليها، بل وبيعها بأبخس الأثمان، فهل كان سيحدث اقتحام خط بارليف، لو كنا قد طبقنا نظرية الولاء، والبراء، وسمعنا كلام من يُنادون بالطائفة العنصرية التي تَبُثُّ العبارات الجوفاء، والتصاريح الضحلة العرجاء، التي لا تُثمر إلا الخبيث، من منطلق عدم وجوب موالاة الأقباط ومنهم من تَوَلىَّ الوظائف القيادية، ورفض التحاقه بالجيش، والاكتفاء بدفع الجزية، هذا التفكير لا يذيعه، ولا يريد تحقيقه، إلا جاهل أعمى لا يتحسس الطريق،

(1) Http://www.elwatannew.com

لأنه لا يرى في هذا الطريق الْمُتَّسِعِ الذي يَسَعُ الناس جميعًا، إلا كُفْرٌ وخِيَانَةٌ، والرفضُ بكل قوةٍ لتماسك الشعب كالجدار المتماسك، أو البنيان المرصوص، لأنهم لا يريدون إلا الدسائس والمكائد، وتقسيم هذا الشعب حتى يصبح عُرْضَةً، بل غنيمةً لأيِّ أجندةٍ خارجيةٍ يتعاملون معها، فمن فكر في إزالة ٢٠٠٠ متر مكعب من الرمال في (خط بارليف)، حيث كانت عائقًا في عبور الجنود المصرية للضفة الشرقية من قناة السويس هو بَطَلٌ قبطيٌّ، فالدولة الحديثة هى دولة الوطن والمواطنة، والعيش في سلام اجتماعيٍّ وأمن يحمي الجميع، وليست دولة الطوائف، أو الفاشية الدينية التي تُقصي الجميع، لذلك حينما قام "محمد علي" بتأسيس الدولة الحديثة بمصر، لم يهتم بأيِّ طائفةٍ من الطوائفِ، بل كان اهتمامه بكل الطوائف على حَدٍّ سواء، لذا تم اختيار أعوانه منهم جميعًا، فكان منهم اليوناني، والشركسي، والفرنسي، والقبطي، والمسلم، واستمر تعزيز هذه الفكرة مع الدولة الحديثة أيام الخديوي "إسماعيل" حتى أن أول رئيس وزراء في مصر كان "نوبار باشا" وهو قبطيٌّ، وكان المجتمع المصري كله يعمل على مقاومة الإحتلال البريطاني، وتم تأسيس الجمعيات الخيرية للنهوض بالشعب حتى جاءت ثورة ١٩١٩، ولم يميز فيها المصريون بين قِبْطِيِّه، وَمُسْلِمِيه، حتى كان المجلس التشريعي في ذلك الوقت كان يرأسه "ويصا واصف" القبطيِّ حتى جاءت ثورة ١٩٥٢، و لتحم الشعب كله على يدٍ واحدةٍ قبطييه، ومسلميه في ٦٧، وفي ٧٣ حتى تم النصر الكبير، ولم يميز بين القبطي، والمسلم، بل كلهم مواطنون مصريون مشاعرهم نحو وطنهم واحدة، وهمومهم واحدة، إلا أن الفرق بين المصري المسلم، والمصري القبطي، سوى أن الأول يذهب للصلاة في المسجد، والثاني يذهب للصلاة في الكنيسة، كما أقرها وشهد بها "اللورد كرومر"، فهذه هى وطنية أقباط مصر تتحدث عن نفسه، وتشهد لهم بالبطولة والفداء والوطنية أيضًا، ولا

يُنكرها إلا مَعْصُوبِي الْأَعْيُنِ، الجاحدِ للحقِّ، المعرضِ عَنْهُ.

الْأَعْمَالُ الْمَيْدَانِيَّةُ، وَالَّتِي تَتِمُّ عَلَى أَرْضِ الْوَاقِعِ:

أما الأعمال الميدانية والتي تتم على أرض الواقع بعيدًا عن أبطال الجيش وما فعلوه، فهى الأعمال الخيرية والإنسانية التي يقوم بها الدكتور "مجدي يعقوب" وإليك بعضا منها بالتفصيل:

المدخل:

قال الحق تبارك وتعالى: {وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا} (المائدة: ٣٢)

أي:ومن تسبب لبقاء حياة هذه النفس من العفو والصفح الجميل، أو منعها من القتل، أو أسبابٍ طبيةٍ قد أخذت بأسباب التقدم، كما كانت سببًا لإنقاذها من الهلاك، فكأنما أحيا الناس جميعًا، ثم انظر إلى رحمة الله تعالى لخلقه، أنه حث الخلائق على رحمة الضعفاء من الحيوانات، فمن رحم ولو أصغر الحيوانات حجما، فقد رحمه الله يوم القيامة، فما بالك عبد الله بإحياءك نَفْسًا قد أوشكت على الهلاك، فقد روى البخاري في "الأدب المفرد" من حديث أبي أمامة مرفوعًا أن رسول اللهﷺ قال: (مَنْ رَحِمَ وَلَوْ ذَبِيحَةَ عُصْفُورٍ رَحِمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ)[1].

كما غفر الله لامرأة من بغايا بني إسرائيل، أي: من زواني بني إسرائيل، قد سقت كلبًا بعد ما كاد العطش أن يقتله، فقد جاء في الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول اللهﷺ قال: (بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّهِ، أي: يَدُورُ حَوْلَ الْبِئْرِ،

(١) رواه البخاري في (الأدب المفرد) رقم: (٣٧١)، وتمام في (الفوائد) (ق/ ١٩٤/ ١)، والبيهقي في (الشعب) (٣/ ٣/ ١٤٥/ ١) عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة مرفوعًا، والهيثمي (٤/ ٣٣)، رواه الطبراني في (الكبير) (٧٩١٣، ٧٩١٥)، ورجاله ثقات ورواه الضياء المقدسي في (المختارة)، كما في (الجامع الصغير) للسيوطي، وحسنه الألباني في السلسة الصحيحة برقم: (٢٧)، وصحيح الجامع برقم: (٦٢٦١).

قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيل، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا، أَيْ: خَلَعَتْ خُفَّهَا- أَوْ حِذَائَهَا، فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ، فَغَفَرَ لَهَا بِهْ)[1].

وَعُذِّبَتْ امرأةٌ مسلمةٌ في قطةٍ سجنتها حتى ماتت، فدخلت بسببها النار، فقد جاء في الحديث المتفق عليه من حديث عبد الله مرفوعًا، أَنَّ رسولَ اللهﷺ قال: (عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا، وَ لَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ) "وَخَشَاشُ الْأَرْضِ: هِيَ: الْحَشَرَاتُ، وَالْهَوَامُ"[2].

ولذلك قال معلم البشريةﷺ:(ارْحَمْ مَنْ فِي الْأَرْضِ، يَرْحَمْكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ)[3].

فقد خَصَّ رسول اللهﷺ، وَعَمَّ في وصاياه على الرحمة لجميع المخلوقات، فأمر بها، وَحثَّ عليها لذلك وجب علينا أن نتسيد بكل من تلمس خطى الحبيبﷺ، لنكون عادلين، مُنصفين، متخذين ذلك المنهج، غير مفرقين بين جنس، أولونٍ، أودينٍ، ولنا في حديث المرأة التي كانت من بغايا بني إسرائيل المثل في هذا، لأن الحساب متروكٌ

(١) رواه البخاري(٢/ ٣٧٦)، وميلم (٧/ ٤٥)، وأحمد (٢/ ٥٠٧) من حديث محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعًا، ورواه أحمد (٢/ ٥١٠) بسنده صحيح أيضًا، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة برقم: (٣٠)، وصحيح الجامع برقم: (٢٨٧٦-١٣٢٥).

(٢) والحديث: رواه البخاري في (صحيحه)(٢/ ٧٨)، وفي (الأدب المفرد) برقم: (٣٧٩)، ومسلم (٧/ ٤٣) من حديث نافع عن عبد الله بن عمر مرفوعًا، وأحمد (٢/ ٥٠٧) من طرق عن أبي هريرة -رضى الله عنه -، وجاء في السنن الأربع: (أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه) عن ابن عمر-رضى الله عنهما-، والدار قطني عن أبي هريرة- رضى الله عنه-، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة برقم: (٢٨)، وصحيح الجامع برقم: (٣٩٩٥).

(٣) الحديث: صحيح رواه الطبراني في (الكبير) من حديث جرير-رضى الله عنه-، والحاكم من حديث ابن مسعود-رضى الله عنه-، والروض النضير برقم (٦٠٠)، والسلسلة الصحيحة برقم: (٩٢٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٨٩٦) وقال أيضا: (ارْحَمُوا، تُرْحَمُوا) رواه البخاري في (الأدب المفرد)، والإمام أحمد، والبيهقي في (شعب الإيمان) عن ابن عمرو، والسلسلة الصحيحة برقم: (٤٨٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٨٩٧)

لله وحده، ولأنه لا يوجد على وجه الأرض من هو قَيِّمٌ على الدين، يحكم لهذا بالجنة، ويحكم على هذا بالنار، لأن هذا هو التَّنطع حَقًّا، حيث قال ﷺ: (هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ)[1].

أي: الذين يُدْلُونَ بآرائهم في الناس بلا علم، أو دليل، أو برهان هو المتنطعُ حَقاً، ومن خلال ذلك كان لَابُدَّ لنا أَنْ نتكلمَ في هذا المجال عن شخصيةٍ عظيمةٍ، حيث أجرى هذا الرجل ما يقرب من ٢٥ ألف عملية خلال مشواره الطبي الطويل، منها ٢٥٠٠ عملية زرع قلب، وإليك سيرته الحافلة بأعماله الخيرية:

النواحي الإنسانية، والأعمال الخيرية لهذا الإنسان:

يَتَّسِمُ تاريخُ الدكتور "مجدي يعقوب" بالأعمال الخيرية، وعبقريته الغير مسبوقة في تاريخ الطب العربي، وَتَوَاضُعِهِ الْجَمِّ، وخجله الذي يظهر في ملامح وجهه عندما يتحدث، فقد ساهم في أعمال إنسانية كثيرة منها:

١-ساهم في إنشاء مؤسسة (سلاسل الأمل) للأعمال الخيرية في عام ١٩٥٥، وهى تقدم خدماتٍ إنسانيةٍ متنوعةٍ لمرضى القلب من الأطفال في العديد من الدول النامية.

٢- اهتم بإجراء العمليات الجراحية مجانًا في مصر، حيث يقوم كل فترة بزيارةٍ لِمِصْرَ، يُجْرِي خلالها العديد من عمليات القلب المفتوح بالمجان، وذلك للأطفال الذين لا يستطيعون أهليهم تحمل نفقات الجراحة والعلاج، وقد تَبَنَّتْ "مؤسسة مجدي يعقوب" الخيرية بالتعاون مع مكتبة الإسكندرية بَرْنَامَجًا لأمراض القلب الوراثية على المستوى القومي بِدْءًا بمحافظات أسوان، والقاهرة، والإسكندرية، والمنوفية أُسْهِمَ حتى ٢٠١١ في متابعة حالات أكثر من ١٦٠٠ من الأسر المصرية.

٣- عمل على إنشاء وحدة رعاية متكاملة بمستشفى القصر العيني بمصر لعلاج

(١) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، ومسلم، وأبي داود، عن ابن مسعود-ت- وجاء في غاية المرام برقم: (٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٧٠٣٩).

التشوهات الخلقية في القلب.

٤- أنشأ في (أسوان) مركزًا لجراحات القلب لعلاج الحالات الحرجة لغير القادرين، كما شرع في إنشاء مركز آخر-ملحق به-للدراسات وأبحاث القلب، وذلك لتكوين كوادر مُدَرَّبَةٍ ومؤهلةٍ من الأطباء... هذا إلى جانب الاهتمام بالبحث العلميِّ، لوضع مصدر على الخريطة العالمية في علاج أمراض القلب، وجراحات القلب المفتوح.

٥-قام بافتتاح المركز المتميز بمشتسفى أسوان في مارس ٢٠٠٦.

٦-أنشأ معهد ومركز لبحوث جراحات القلب على مساحة ٥٠ ألف متر مربع بمدينة أسوان الجديدة بتكلفةٍ مبدئيةٍ تُقَدَّرُ بمليون جنيه استرليني، ساهمت في إنشائه جمعية سلاسل الأمل وعدد من الجمعيات الأهلية ومحافظة أسوان.

٧-أكد الدكتور "ممدوح الأمين" مدير مستشفى أسوان التعليمي أنه قد جرى تركيب وحدتى قلب صناعي بواقع وحدة لكل غرفة عمليات، وفي نهاية الزيارة قام الدكتور "مجدي يعقوب" بمتابعة ٣ حالات لأطفال في محافظة أسوان تَمَّ إجراء عمليات قلب مفتوح لهم بالخارج[1].

٨- قام بتنفيذ خطوات المرحلة الثانية لمركز جراحة القلب المتميز بمستشفى أسوان التعليمي والذي يحتوي على وحدة القسطرة التشخيصية، وأخرى للقسطرة العلاجية والتداخلية، وَغُرْفَتَىْ عمليات لإجراء جراحات القلب المفتوح، وغرفة عناية مركزة تَضُمُّ ١٤ سريرًا.

٩-أكد أنه سيبدأ في الخطوات العملية لإنشاء أول مستشفى ومعهد بحثي متخصص في علاج وجراحات الحالات الحرجة لأمراض القلب في مصر، وقال: إن فكرة تأسيس هذا المعهد البحثي في أسوان جاءت بعد أن لاحظ انتشار مَرْضَى الْحُمَّى

(١) -جريدة الأخبار - ٣٠/ ١٢/ ٢٠٠٧م - لسنة (٥٦) العدد (١٧٣٧٨).

الروماتيزمية الذي يصيب قلوب المصريين، الذين سيتم اختيارهم عن طريق الجينات الوراثية، وكشف عن أنه اتفق مع الدكتور "أحمد زويل" على تأسيس مجلس علمي يحاول إعادة العقول المهاجرة إلى حضن الوطن الأم، للمساعدة في إحداث نهضةً عمليةً للوطن[1].

١٠- قام بافتتاح مبنى جديد لعلاج القلب بأسوان يوم الأربعاء ٣ أبريل ٢٠١٣م، وهذا المبنى سيقوم بعلاج ضعف العدد السابق لتخفيف معناة المرضى.

ثم يقول عن نفسه أخيرًا:

من الصعب أن أقول أن هناك عملية أهم من الأخرى، لأن كل عملية تعني حياة إنسان، وهناك قوائم انتظار، لكني حريص على تدريب أطباء على مستوى أنحاء العالم حتى لاينتظر مريض محتاج لعملية حضوري شخصيًّا، وأنا فخور أن هناك ممن عملوا معي من أصبحوا قادرين على إجراء عملياتٍ بنجاحٍ كبيرٍ خصوصًا في مصر، بل إن بعضهم أفضل مني.

ويقول أيضًا:

أنا لم أفكر في الاعتزال، وما دمت قادرًا على مساعدة الناس بطرق مختلفة فلن أتوقف، خاصة في مجال إنشاء مستشفيات ومعاهد أبحاث مثل التي تم إنشاؤها في أسوان، والإسكندرية، وأثيوبيا، وجامايكا.

وأما عن تواضعه، فيقول: هذا ليس تَوَاضُعًا، ولكن الإنسان كلما يعرفُ المعضلات التي أمامه يرى نفسه صغيرًا جدًا، وهذه حقيقة وليس تَوَاضُعًا، فأصحاب العطاء هم من يقدمون لغيرهم ما تجود به أنفسهم، من غير سؤالهم إِيَّاهُ، وأن يُبادروا بتقديم كل ما استطاعوا لمن يحبون وأن لا يعيش المرء لنفسه فقط، بل يمنح الآخرين كل ما

(١) جريدة الأهرام-١٧/ ٥/ ٢٠٠٨- السنة ١٣٢- العدد (٤٤٣٥٧).

لديه بقدر ما يُستطاع، وأن لا ينظر لقيمة ما أعطى، ولكن ينظر إلى مقدار ما سيحدثه فِعْلَهُ ومدى تأثيره، فالعطاءُ نهرٌ لا يتوقفُ، وبحرٌ لا ينضبُ، لأن صاحبهُ يفرحُ بفرح من حولهُ، فَيُعْطِي عطاءً يُشْعِرُ الآخرين بِحُنُوِّ قَلْبِهْ، إذن هل هؤلاء القبط بعد ما قدمناهُ واستعرضناهُ في المواقف السابقة، يستحقون كل هذا الظلم.

والتعدى، والتحدِّي من أعداء الوحدة الوطنية.

أم يستحقون الإشارة والتأييد.

وسأترك للقارئ العزيز أن يُجيب بعد ما قرأ، وَمَا كُتِبَ عن هؤلاء، فهذا غَيْضٌ من فَيْضٍ، أي: القليل من الكثير، ولكن يبقى الحكم على هؤلاء، ليكون من خلال عدلك أنت، ومن خلال وسطية الإسلام السمحة النبيلة، لِيُصْبِحَ الحكمُ، ليس بالكلام وفقط، ولكن بحسنِ التَّعَامُلِ مع هؤلاء.

- ونعود أدراجنا إلى ما قاله الحاج "مصطفى مشهور" وَمَا صَرَّحَ به من أقوال تثير الجدل، بل قد مزجت الضحك بالبكاء، ليصرح بوضوح قائلاً: (لا يجوز أن نقول عنهم مسيحيون، فالله لم يقل عنهم هذا، بل هم نصارى، أو أقباط، أو صليبيون، أما قوله: هؤلاء الأقباط ليسوا من أهل الكتاب، بل هم من المشكرين، ولا يجوز الزواج منهم ولا أكل طعامهم، وقد كنا تعرضنا للكلام عن ذلك بقول علماء التفسير في إباحة الزواج منهم وأكل طعامهم، وبنص الآية الكريمة: {ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ۖ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ} (المائدة: ٥).

أما قوله: لا يجوز أن نلقي عليهم السلام، ونقول لهم تحية الإسلام: "السلام عليكم" وهو ما سنتعرض له بالقول، والتحليل، والدليل من كتاب الله تعالى، وسنة

رسوله ﷺ، وقول علماء الأمة في ذلك الشأن، وقبل أن نتطرق إلى البحث الجميل الذي كتبه الشيخ "فيصل مولوي" لابد لنا أن نذكر ما فعله رسول الله ﷺ مع وفد "نصارى نجران" عندما وصلوا إلى المسجد النبوي وألقوا عليه تحية الإسلام، أي: "السلام عليكم"، وهل رَدَّ عليهم التحية، أم لا؟

عندما انطلق وفد "نصارى نجران" لمدينة رسول الله ﷺ، وحين دخلوا المدينة كانوا ثلاثة وهم "شرحبيل بن وداعة الهمداني"، " وعبد الله بن شرحبيل الأصبحي"،و" جبار بن فيض الحارثي"، وعند وصولهم للمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم، ولبسوا حُلَلاً لهم يجرونها من حبرة وخواتيم الذهب، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ فسلموا عليه، فلم يرد عليهم السلام، وتصدوا لكلامه نهارًا طويلاً فلم يكلمهم وعليهم تلك الْحُلَلِ وخواتيم الذهب، فانطلقوا يتبعون "عثمان بن عفان"، و" عبد الرحمن بن عوف"، وكانوا يعرفونهما فوجدوهما في ناسٍ من المهاجرين والأنصار في مجلس، فقالوا: (ياعثمان، ويا عبد الرحمن: إن نبيكم كتب إلينا بكتاب فأقبلنا مجيبين له، فأتيناه فسلمنا عليه، فلم يَرُدَّ سلامنا، وتصدينا لكلامه نهارًا طويلاً، فأعيانا أن يكلمنا، فما الرأي منكما، أترون أن نرجع؟ فقالا لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وهو في القوم: ما ترى يا أبا الحسين فى هؤلاء القوم؟ فقال "عَلِيٌّ لعثمان، ولعبد الرحمن":أرى أن يضعوا حُلَلَهُمْ هذه وخواتيمهم، ويلبسوا ثياب سفرهم، ثم يعودوا إليه، ففعلوا، فَسَلَّمُوا فَرَدَّ سلامهم، ثم قال: (وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَقَدْ أَتَوْنِي الْمَرَّةَ الْأُولَى، وَ إِنَّ إِبْلِيسَ لَمَعَهُمْ)[1].

إذن امتناع رسول الله ﷺ عن رَدِّ السلام لوفد" نصارى نجران" هو ارتدائهم حُلَلاً يَجُرُّونَهَا خُيَلاَءَ، وخواتيم من الذهب، حيث أن النبي ﷺ قال: (مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ لاَ يُرِيدُ

(١) البداية والنهاية لابن كثير: (٥/ ٥٤/ ٥٥).

بِذَلِكَ إِلاَّ الْمَخِيلَةَ، فَإِنَّ اللهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ)[1].

وجاء في الصحيحين من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاَءَ لَمْ يَنْظُرُالله إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ)[2].

وجاء في سنن الترمذي من حديث أبي موسى-رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: (حُرِّمَ لِبَاسُ الْحَرِيرِ وَالذَّهَبِ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي، وَأُحِلَّ لإِنَاثِهِمْ)[3].

لذا وجب رَدَّ السلام على أهل الكتاب من القبط، بشرط أن يكون سلامه واضحًا بَيِّنًا يظهر فيه سلامةَ لسانه في النطق بألفاظه.

السلام على أهل الكتاب للشيخ "فيصل مولوي":

قال الشيخ: (السلام على أهل انكتاب، من الموضوعات التي تلقي أهمية كبيرة في بلد كلبنان، وفي بلاد أخرى كثيرة لا يُشكل فيها المسلمون أكثرية عددية، رغم أن هذا الموضوع لايقل في رأينا أهمية في البلاد ذات الأكثرية الإسلامية، لأنه أحد الأسباب التي يدخل منها العدو الخارجي من أجل تفتيت المجتمع من الداخل، عن طريق افتعال أنواع من العداوة لتمزيق الشرائح الاجتماعية، وتَكْبُر الخلافات القائمة بينهما، ولقد تجاوز المسلمون في لبنان بواقعهم هذه المسألة منذ زمن بعيد، فكانت التحية بينهم سَبَبًا في زيادة التآلف وشيوع روح التسامح بين جميع اللبنانيين، ولو أن بعضهم كان يستعمل ألفاظًا أخرى، غير التحية المعتمدة بين المسلمين "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته"، إلا أنه مع نُمُوِّ ظاهرة الصحوة الإسلامية، ظهرت مجموعات

(١) رواه مسلم من حديث ابن عمر، وجاء في صحيح الجامع برقم: (٦١٧٨-٢٠٧١).

(٢) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، وأصحاب السنن الأربعة، عن ابن عمر -رضي الله عنهما-، وجاء في صحيح الجامع برقم: (٦١٨٨).

(٣) الحديث صحيح: جاء في آداب الزفاف ص: (١٥٠)، وغاية المرام برقم: (٧٧)، وصحيح الجامع برقم: (٣١٣٧).

من الشباب المسلم الملتزم، في نطاق الحركات الإسلامية المعروفة، أو الجمعيات الإسلامية المتناثرة هنا وهناك، تقف من هذا الموضوع أمام نَصٍّ وَاحِدٍ هو الحديث الذي رواه مسلم من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: (لاَ تَبْدَؤُوا الْيَهُودَ وَ النَّصَارَى بِالسَّلاَمِ)(٤).

وجاء في الصحيحين من حديث ابن عُمَرَ أن رسول الله ﷺ قال: (إِذَاسَلَّمَ عَلَيْكُمُ الْيَهُودُ فَإِنَّمَا يَقُولُ أَحَدُهُمْ: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقُلْ: وَعَلَيْكَ)(٥).

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إِذَاسَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ)(٦).

وهو حديث كثرت رواياته الصحيحة ولكنها كلها وردت في مناسبات متقاربة كان يطغي فيها الحقد اليهودي-رغم وجود العهد معهم- فيقولون للمسلمين عند التحية (السَّام عليكم)، والسام هو: "الموت"، هذا النص فهمه كثير من العلماء من خلال الحرب التاريخية التي كان يعيشها المسلمون، فاعتبروه النص الحاكم الذى يدفع إلى تأويل النصوص الأخرى المعارضة، أو تخصيصها، وأخذه بعض المسلمين اليوم بهذا الفهم الخاطئ، ولذلك رأيت من الضروري، أن أتناول هذا الموضوع من زاويةٍ علميةٍ محضةٍ، فأبدأ بمناقشة هذا الرأي، ثم أضع هذه القضية الجزئية في إطارها العام، ثم أتناول ما ورد فيها من نصوص عامةٍ وخاصةٍ

(٤) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده، ومسلم، وأبي داود، والترمذي من حديث أبي هريرة- رضى الله عنه- والسلسلة الصحيحة برقم: (٧٠٤)، ومختصر مسلم برقم: (١٤٣٢)، والإرواء برقم: (١٢٧١)، ومسلم (مع النووي ١٤/ ١٤٨)، وصحيح الجامع برقم:(٧٤٠٤).

(٥) رواه البخاري :(مع الفتح/ ١٢/ ٢٨٠)، ومسلم (١٤/ ١٤٤)، والإرواء برقم: (١٢٧١)، وصحيح الجامع برقم: (٦٠٦-٢٧٣)، والإمام مالك في الموطأ، والإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما-.

(٦) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد في مسنده، والبخاري، ومسلم، والترمذي، وابن ماجة، وأبي داود، وابن حبان، والطيالسي من حديث أنس-رضى الله عنه-، وجاء في الإرواء برقم: (١٢٧٦)، وصحيح الجامع برقم: (٦٠٥).

وأحاول الجمع بينها لتشكل لكل مسلم ثقافةٌ شرعيةٌ متكاملةٌ غير متناقضة، وصدق الله حيث قال في كتابه الكريم: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} (النساء: ٨٢).

أولا: أسباب منع المسلم من ابتداء أهل الكتاب بالسلام:

لقد انتشر في تراثنا الفقهي الإسلامي القول بعدم جواز ابتداء غير المسلم بالسلام، وذلك استنادًا لحديث رسول الله ﷺ: (لاَ تَبْدَؤُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بِالسَّلاَمِ) ونظرًا لغرابة هذا القول في ظل العلاقات الإنسانية الطبيعية بين المسلمين وغيرهم، لجأ بعض العلماء إلى تحليل أسباب ذلك فقالوا:

١-السلام على أهل الذمة مكروهٌ لما فيه من تعظيمهم، ولا بأس أن يسلمَ على الذِّمِّيِّ إن كانت له حاجةٌ، لأن السلام عندئذ لأجل الحاجةِ، لا لتعظيمِه[١].

٢-السَّلاَمُ تَحِيَّةٌ، والكافر ليس من أهلها[٢].

٣-الابتداء بالسلام نوع من الإكرام، وهو بَسْطٌ لَهُ، وإيناسٌ، وإظهارُ وُدٍّ، والله تعالى يقول: {لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} (المجادلة: ٢٢)[٣].

٤-لا يجوز فعل ما يُستدعى مودة الكافر ومحبته، لأن المسلم مأمورٌ بما عاداة الكافر[٤].

وإفشاءُ السلام يؤدي إلى التحابب، كما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة-رضي الله عنه-، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ)[٥].

---

(١) ابن عابدين في الحاشية: (٥/ ٢٦٤)-الطبعة المصرية.

(٢) حاشية العدوى على الخرشي: (٣/ ١١٠)-طبعة بولاق.

(٣) نهاية المحتاج: (٨/ ٤٩) طبعة المكتبة الإسلامية.

(٤) فتح الباري: (١١/ ١٩).

(٥) رواه مسلم: (٢/ ٣٥)، وجاء في الإرواء برقم: (٧٧٧)، وصحيح الجامع برقم: (٧٠٨١-٢٤١٠)، ورواه الإمام أحمد في مسنده، وأبي داود، والترمذي، وابن ماجة من حديث ابي هريرة-رضي الله عنه-.

ثانيا: وجوابنا على ذلك:

١. أن السلام بالنسبة للمسلم هو التحية المعروفة بين جميع الشعوب، ولا علاقة له بالتعظيم، وقد روي أن رسول الله ﷺ قال: (تَحَيَّةُ الْمُسْلِمِ السَّلَامُ)، فكان رسول الله ﷺ يسلمُ على اليهود، ولم يمتنع إلا عندما حَوَّرُوا هم كلَمة «السلام إلى السَّام»، ومع ذلك كان يَرُدُّ عليهم بكلمة (وعليكم) وهذا الرَّدُّ لا يمكن أن يكون تعظيما لهم، والله تعالى يقول: {وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ} (الحجرات: ١٣) والتعارف لا يكون إلا بنوع من التحية، والمسلم لَا يَحِيدُ عن تحيته الخاصة (السلام) إلا لسبب وجود الحرب، لأن السلام تأمين، وهو لا يكون مع الحرب، ويجمع الفقهاء على وجوب رَدِّ تحية الكافر بأحسن منها، أو مثلها استنادًا إلى الآية الكريمة التي قال الله تعالى فيها: {وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ} (النساء: ٨٦).

٢. السلام تحية. هذا صحيح، ولكن القول ليس من أهلها، لا يمكن أن يكون مقبولاً، لأنه يُناقض الآية السابقة (وجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) (الحجرات: ١٣)، ويُناقض فعل الرسول الثابت أنه كان يُسلم على غير المسلمين، وَيَرُدُّ عليهم السلام، ويناقض فعل الصحابة، والسلف وسيأتي بيان ذلك.

٣. الابتداء بالسلام ليس إكرامًا للمسلم عليه، بل هو إكرامٌ للمسلم نفسه، لقول الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه أبو داود من حديث أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ، مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ)[1].

أَمَّا أنهُ بَسْطٌ وإيناسٌ لهم، فليس هذا مستغربًا على المسلم، لأنهُ داعيةً إلى الله، ومن واجب الداعية أن يتلطف في دعوته، ويُرفق للناس، ويُؤنسهم، ويتباسط معهم، وإلا فما الحكمةُ، والموعظةُ الحسنةُ التي أُمِرَ الداعية بها؟

(١) الحديث صحيح: ورد في الكلم الطيب، لابن تيمية برقم: (١٩٨)، والمشكاة برقم: (٤٦٤٦)، وأخرجه الترمذي برقم: (٢٦٩٤)، وأبو داود برقم: (٥١٩٧)، وصحيح الجامع برقم: (٢٠١١).

وَلَيْسَ ضَرُورِيًّا أن يكون السلام إظهار وُدٍّ، بل قد يكون مُجَرَّدَ تَحِيَّةً للتعارف، على أَنَّ المودةَ المنهيَّ عنها هي مَوَدَّةَ الكافرينَ المحاربينَ، وليس كل كافر، فالآية الكريمة تنهى عن مَوَدَّةَ من يُحَادِّ اللَّهَ {لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} (المجادلة: ٢٢) وهؤلاء جمعوا مع الكفر المحاربة، والآية الثانية التي نهت عن مَوَدَّةَ الكافر قوله تعالى: {لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ} (الممتحنة: ١) فهؤلاء أيضًا قد جمعوا بين الكفر والمحاربة، أَمَّا مجرد الكفر، فقد يوجد معه سبب لِلْمَوَدَّةَ، كما في حال الزوجة الكتابية، فقد يَوَدُّهَا زَوْجُهَا ولو كانت كتابية، والله تعالى يقول: {وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً} (الروم: ٢١)، فإذا وُجِدَتْ الْمَوَدَّةُ من الزوج المسلم لزوجته الكتابية، فلا يُنهى عن ذلك، على أن ينتبه المسلم أن الْمَوَدَّةَ المشروعةَ هذه هي بسبب رباط الزوجية، وما إذا كانت تقوم بحقها، وليس لكفرها.

٤. أما القول، بأنه لا يجوز للمسلم فعل ما يستدعي مودة الكافر ومحبته اعتمادًا على أن (إفشاء السلام يؤدي إلى التحابب) فهو منقوص، لما جاء في مسند أبي يعلى من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (تَهَادَوْا تَحَابُّوا)[1].

فالتهادي أيضًا يؤدي إلى التحابب، ومن الثابت أن رسول الله ﷺ (أهدى إلى أبي سفيان تمر عجوة حين كان محاربًا، واستهداهُ أَدَمًا)[2].

واتفق العلماء الأربعة على صحة الهبة للحربي وهي هدية، كما أجاز جمهور الفقهاء قبول الهدية من الكفار الحربيين، لأن النبي ﷺ قبل هدية "المقوقس عظيم القبط، وأهدى له كسرى، وقيصر" فقبل منهما، وأهدت له الملوك فقبل منهما، فتبين

(١) الحديث حسن: ورد في مسند أبي على عن أبي هريرة، والإرواء برقم: (١٦٠١)، وصحيح الجامع برقم: (٣٠٠٤).

(٢) ذكره الشرخسي في المبسوط برقم: (١٠/ ٩٢).

أن التهادي مع الكفار ليس ممنوعًا، وإن أدى إلى شَيْءٍ من الحب، لأن الْحُبَّ الممنوع هو الذي يتعلق بالكفر، أما إذا كان للحب سَبَبٌ آخر فليس ممنوعًا، كحب الرجل لزوجته الكتابية، وحب المسلم أقربائه الكفار، والله تعالى لم يطلب من المسلم الامتناع عن الحب البشري وهو حب الآباء والأولاد والأزواج والعشيرة والأموال، بل طلب أن يكون حب الله ورسوله هو الأقوى عند التعارض، كما جاء في كتابه تعالى: { قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ } (التوبة: ٢٤).

ومن المعروف أن الآباء والأبناء والإخوان والزوجات والعشيرة يمكن أن يكونوا كُفَّارًا، وأن الأموال والتجارة والمساكن يمكن أن تكون في بلادٍ غير إسلامية، فيحب المسلم هذه البلاد لوجود أمواله وتجارته ومساكنه فيها، ولكن عند التعارض يجب أن يتغلب حُبُّ الله ورسوله وَلَوْ تَخَلَّى المسلم عن هؤلاء.

ثالثا: النصوص من القرآن الكريم:

١. قال تعالى: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ } (النور: ٢٧)، وقوله تعالى: {فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } (النور: ٦١) فكلمة (بيوت) هنا تشمل أَيَّ بيتٍ تدخل إليه، سواء كانت بيت مسلم، أو غير مسلم، وكلمة (أنفسكم) استعملها القرآن بمعنى الناس جميعًا، وليس فقط للمسلمين، كما قال تعالى مُخَاطِبًا العرب المشركين: {لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ } (التوبة: ١٢٨)، فالآية نَصٌّ عَامٌّ على وجوب السلام عند دخول البيوت، سواء على

المسلمين، أو غير المسلمين، وقد ذكر (الطبري) في تفسير هذه الآية عن إبراهيم: إذا دخلت بيتا فيه يهود فقل: السلام عليكم، وإن لم يكن فيه أحد فقولوا: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، ويؤيد ذلك أيضًا حديث البيهقي في (شعب الإيمان) من حديث قتادة مُرْسَلاً، أن رسول الله ﷺ قال: (إِذَا دَخَلْتُمْ بَيْتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهِ، فَإِذَا خَرَجْتُمْ فَأَوْدِعُوا أَهْلَهُ بِسَلَامٍ)[1].

قوله ﷺ: (إذا دخلتم بيتا) أي: أي بيت من المسلمين، أو غير المسلمين، لأن رسول الله ﷺ لم يَخُصَّ المسلمين في ذلك، فأطلق اللفظ على العموم.

٢. قوله تعالى: {وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ} (القصص: ٥٥) فهذه الآية نَصٌّ عَامٌّ لكل مسلم يستمع من غير المسلمين، فعليه أن يفارقهم، ولا يبقى في هذا المجلس. قال بعض المفسرين: السلام هنا للمتاركة، لا للتحية، ونقول: إن المتاركة يمكن أن تكون مع الشتائم، ويمكن أن تكون على الأقل بدون هذه الكلمة الطيبة (السلام) ولكن الله تعالى شرع لنا عند مفارقة الكفار أن نقول لهم: سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين، وإذا كانت تحية المتاركة (السلام) فتحية الاستقبال كذلك من باب أولى، لأن الرسول ﷺ قال: (لَيْسَتِ الْأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الثَّانِيَةِ)[2].

٣. قال تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} (الفرقان: ٦٣) أورد (القرطبي) في تفسير هذه الآية قول بعض العلماء

---

(١) الحديث حسن: أورده البيهقي في شعب الإيمان عن قتادة مرسلاً، والمشكاة برقم: (٤٦٥١)، وَحَسَّنَهُ الألباني في صحيح الجامع برقم: (٥٢٦).

(٢) البخاري: (٩/ ٣٥١ - ٣٨١)، والحديث عى تخريج العراقي في الإحياء: (٢/ ١٨١)، وأخرجه الترمذي: (٤/ ٣٧٨)، والإمام أحمد: (٢/ ٢٧٨)، والحديث رواه أبو داود، والترمذي، وَحَسَّنَهُ النسائي من حديث الْمِسْوَرِ بن مخرمة - رضي الله عنه -.

أنها منسوخة بآية السيف، ثم ذكر قول (ابن العربي): (لم يؤمر المسلمون يومئذ أن يُسلموا على المشركين، ولا نُهوا عن ذلك، بل أُمروا بالصفح والهجر الجميل، وقد كان عليه الصلاة والسلام يقفُ على أنديتهم ويجيبهم ويدانيهم ولا يداهنهم) وَرَجَّحَ «القرطبي»، رأى «ابن العربي»، فقال: قلت هذا القول، أي: قول ابن العربي، أشبه بدلائل السنة.

٤. قوله تعالى: {وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} (الزخرف: ٨٨ - ٨٩) يقول الشنقيطي في تفسير هذه الآية في «أضواء البيان» أنها تضمنت على ثلاثة أمورٍ منها: أن يقول للكفار: سلام، وقد بين الله تعالى أن السلام للكفار هو شأن عباده الطيبين، قال تعالى: {وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا} (الفرقان: ٦٣) وقوله تعالى: {سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ} (القصص: ٥٥)، وقال إبراهيم لأبيه: (مريم: ٤٧) ومعنى السلام في الآيات المذكورة، إخبارهم بسلامة الكفار من آذاهم، ومن مجازاتهم لهم بالسوء، أي: سلمتم منا لا نسافهكم، ولا نعاملكم بمثل ما تعاملوننا-، وكثير من أهل العلم يقولون: إن قوله تعالى: (فَاصْفَحْ عَنْهُمْ) وما في معناه مسنوخٌ بآيات السيف، وجماعات من المحققين يقولون: ليس بمنسوخ، والقتال في المحل الذي يجب فيه القتال، والصفح عن الجهلة والإعراض عنهم، وَصْفٌ جَمِيلٌ، وَأَدَبٌ سَمَاوِيٌّ لا يتعارض مع ذلك.

٥. قول إبراهيم لأبيه: {سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا} (مريم: ٤٧)، ذكر القرطبي قول الجمهور: (على أن المراد بسلامة المسالمة التي هي المتاركة، لا التحية، وعلى هذا لا يبدأ الكافر بالسلام) وقال بعضهم تسليمه: هو تحية مُفارق، وأجاز تحية الكافر وأن يبدأ بها، وقيل لابن عيينة: هل يجوز السلام على الكافر؟ قال: نعم، قال الله تعالى: {لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ} (الممتحنة: ٨)، وقال تعالى: {قَدْ

كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ} (الممتحنة: ٤)، وقول إبراهيم لأبيه: {سَلَٰمٌ عَلَيْكَ} (مريم: ٤٧)، وَرَجَّحَ القرطبي، قول «سفيان بن عيينة» في جواز التحية للكافر، وذكر ممن يرى ذلك: الطبري، ونسبه إلى السلف، «وابن مسعود، وأبو أمامة، والحسن البصري، والأوزاعي».

٦. أما التفريق في التحية بين المسلم (السلام عليكم)، وبين غير المسلم (مَرْحَبًا، أَوْ سِوَاهَا) فهي مُخَالَفَةٌ للأدبِ القرآنيِّ، فقد نص الله تعالى على التحية للمسلم، فقال: {وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ} (الأنعام: ٥٤)، وذكر نفس النص في تحية غير المسلمين (سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ) (القصص: ٥٥) بالإضافة إلى الآيات الأخرى المذكورة سابقًا.

٧. ومن أعجب الأمور قول بعض المسلمين بعدم جواز رَدِّ التحية على غير المسلم بلفظ (السلام)، مع أن الله تعالى يقول: {وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ} (النساء: ٨٦)، وجمهور الفقهاء يُوجبون رد التحية بأحسن منها، أو بمثلها- وقد ذكر الشيخ «رشيد رضا» في تفسير هذه الآية بقوله: (التحية، مصدر حَيَّاهُ، إذا قال حَيَّاكَ اللَّهُ، هذا هو الأصل، ثم صارت التحية اسمًا لكل ما يقوله المرءُ لمن يُلاقيه، أَوْ يُقْبِلُ عليه، وجُعلت تحية المسلمين (السلام)، للإشعار بأن دينهم دين السلام والأمان، وأنهم أهل السَّلْمِ وَمُحِبُّو السلامة..).

وقد علم من الآية أن الجواب عن التحية له مرتبتان:

أدناهما (رَدُّهَا بِعَيْنِهَا)، وأعلاها (الجواب عنها بأحسن منها)، فَالْمُجِيبُ مُخَيَّرٌ: وله أن يجعل الأحسن لكرام الناس، كالعلماء، والفضلاء، ورد عين التحية لمن دونهم، وَرُوِيَ عن قتادة وابن زيد: أن جواب التحية بأحسن منها للمسلمين، وردها بعينها لأهل الكتاب، وقيل للكفار عامة، ولا دليل على هذه التفرقة في لفظ الآية،

ولا من السنة، وقد روى ابن جرير عن ابن عباس- رضي الله عنهما- أنه قال: (مَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، فَارْدُدْ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ مَجُوسِيًّا)، فإن الله يقول: {وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا} (النساء: ٨٦) روى في مجمع الزوائد -«كتاب الأدب»، وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح، غير إسحق بن إسرائيل وهو ثقة.

وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ ما رواه الطبراني بإسنادٍ جيدٍ عن عبد الله بن مغفل أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أَبْخَلُ النَّاسِ مَنْ بَخِلَ بِالسَّلَامِ)[1].

يقول: الشيخ «رشيد رضا»: وقد نزلت هذه الآية في سياق أحكام الحرب ومعاملة المحاربين والمنافقين- راجع سورة النساء من الآية ٧٤: ٩٤، فمن قال لخصمه «السلام عليكم» فقد أَمَّنَهُ على نفسه، وكانت العرب تقصد هذا المعنى، والوفاء من أخلاقهم الراسخة، ولذلك عند الإمام الشيخ «محمد عبده»، ذِكْرُ التحية مُنَاسِبًا للسياق، بكونها من وسائل السلام، ومن آداب الإسلام التي كانت فاشية في عهد النُّبُوَّةِ إفشاءُ السلام إلا مع المحاربين، لأن من سَلَّمَ على أحدٍ فقد أَمَّنَهُ، فإذا قُتِلَ به بعد ذلك، كان خائنًا ناكثًا للعهد، وكان اليهود يُسَلِّمُونَ على النبي فيرد عليهم السلام، حتى كان من بعض سفهائهم تحريف السلام بلفظ (السَّامُ) أي: الموت، فكان النبي ﷺ يجيبهم بقوله (وعليكم) وسمعت السيدة عائشة -رضي الله عنها- واحداً منهم يقول له: (السَّامُ عَلَيْكُمْ)، فقالت له: وعليك السام واللعنة، فانتهزها عليه الصلاة والسلام، مُبَيِّنًا لها أن المسلم لا يكون فَاحِشًا، وَلَا سَبَّابًا، وأن الموت علينا وعليهم، ولما سمعت أيضا أن اليهودي يقول لرسول الله ﷺ: (السَّامُ عَلَيْه)، فقالت السيدة عائشة: السَّامُ عَلَيْكُمْ أَنْتُمْ،

(١) الحديث صحيح بشواهده: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣٣٩٢)، وفي «الصغير» (٣٣٦) من حديث عبد الله بن مغفل، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ١٢٠)، وقال رواه الطبراني في الثلاثة، ورجاله ثقات، وقال المنذري في الترغيب إسناده جيد، وأورد برقم: (٣٩٩٨).

والْمَوْتُ عَلَيْكُمْ أَنْتُمْ، وَقَالَ: (يَا عَائِشَةُ! إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ)[1].

وَقَالَ أَيْضًا: (يَا عَائِشَةُ! مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشًا؟ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسَ اتِّقَاءَ شَرِّهِ)[2].

ثم قال لها مُعَنِّفًا إِيَّاهَا: (يَا عَائِشَةُ! لَا تَكُونِي فَاحِشَةً)[3]، ثم أوضح لها، بأن الله يحب الرفق في كل شيءٍ قائلاً: (يَا عَائِشَةُ! إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ، يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ)[4].

وروى «ابن المنذر»، عن «الحسن» أنه قال: فحيوا بأحسن منها (للمسلمين)، وَرُدُّوهَا (لأهل الكتاب) وعليه يُقَالُ للكتابيِّ - في رَدِّ السلامِ - عن ما يقوله، وإن كان فيه ذكر الرحمة.

قال «ابن القيم» مُتَحَدِّثًا عن رَدِّ السلام على الْكِتَابِيِّ إذا بدأ هُوَ بِهِ: (الذي تقتضيه الأدلة الشرعية وقواعد الشريعة أن يُقَالُ لَهُ: وعليك السلام، فإن هذا من باب العدل، والله يأمر بالعدل والإحسان، وقد قال تعالى: {وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا} (النساء: ٨٦)، فندب إلى الفضل، وأوجب العدل، ولا يُنافي هذا شيئًا من أحاديث الباب بوجهٍ ما. فإنه إنما أمر بالاقتصار على قول الرَّدِّ (وعليكم) بناءً على السبب المذكور الذي كانوا يعتمدونه في تحيتهم، وهو قولهم (السام عليكم)، فإذا

(١) الحديث صحيح: رواه أبو داود، عن عائشة -رضي الله عنها-، وأورده الألباني في الإرواء برقم: (٢١٣٣)، وصحيح الجامع برقم: (٧٩٢٢ - ٣٠١٦).

(٢) روى في الصحيحين البخاري، ومسلم، ومسند الإمام أحمد من حديث عائشة -رضي الله عنها-، وأورده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (١٠٤٩)، وصحيح الجامع برقم (٧٩٣١ - ٣٠٢٥).

(٣) الحديث صحيح: رواه مسلم عن عائشة - رضي الله عنها- وأورده الشيخ الألباني في الإرواء برقم: (٢١٣٣)، وصحيح الجامع برقم: (٧٩٣٣- ٣٠٢٧)

(٤) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد في مسنده، وجاء في الصحيحين للبخاري ومسلم، والترمذي، وأبي داود، وابن ماجة من حديث عائشة -رضي الله عنها- وأورده الألباني في المشكاة برقم: (٤٦٣٨)، وصحيح الجامع برقم: (٧٩٢٠ - ٣٠١٤).

زال هذا السبب، وقال الكتابيُّ: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فالعدل في التحية يقتضي أن يَرُدَّ عليه نظير سلامه).

رابعا: نصوصٌ من السنة المطهرة:

(أ) الأحاديث العامة:

١. سُئِلَ رسول الله ﷺ، أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: (تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ)[1].

ومعنى أن (تطعم الطعام)، أي: تُكثر من إطعام الضيوف، سواء كانوا مسلمين، أم كافرين، كما قال «الحافظ المنذري» في الترغيب، وتقرأ السلام، أي: تحيي بتحية الإسلام وهي: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)، وظاهر الحديث يشمل المسلم، والكافر، ولكن أكثر العلماء خصصوه بالمسلم ومنعوا ابتداء الكافر بالسلام، لحديث مسلم: (لَا تَبْدَأُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ)[2].

وسيأتي معنا أن هذا التخصيص محصور في حالة الحرب فقط، فيبقى الحديث على عمومه في سائر الحالات. عن عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - أنه قال: أول ما قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة انجفل الناس إليه، فكنت فيمن جاءه، فلما تأملتُ وجههُ وَاسْتَبَنْتُهُ علمت أن وجههُ ليس بوجه كذاب، قال: وكان أول ما سمعتُ من كلامه أَنْ قَالَ: (أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ)[3].

---

(١) رواه البخاري (١٢)، ومسلم (٣٩)، والنسائي (٨/ ١٠٧)، وجاء في الترغيب للمنذري برقم: (١٣٩٥)، والحديث رواه عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن رجلا سأل رسول الله ﷺ... الحديث.

(٢) مسلم (مع النووي ١٤ / ١٤٨).

(٣) الحديث صحيح: رواه الترمذي (٢٨٨٥)، وابن ماجة (٣٢٥١)، والحاكم: (٣/ ١٣)، وخرجه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم: (٢٦٣)، وأورد «المنذري» في الترغيب برقم: (١٤٠٢).

٢. روى الإمام أحمد من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَحَمِدَ اللَّهَ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: يَرْحَمُكَ رَبُّكَ يَا آدَمُ، اذْهَبْ إِلَى أُولَئِكَ الْمَلَائِكَةِ إِلَى مَلَأٍ مِنْهُمْ جُلُوسٍ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: هَذِهِ تَحِيَّتُكَ، وَتَحِيَّةُ بَنِيكَ بَيْنَهُمْ)[1].

وجاء في صحيح ابن حبان من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَحَمِدَ اللَّهَ بِإِذْنِهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ يَا آدَمُ، اذْهَبْ إِلَى أُولَئِكَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَى مَلَأٍ مِنْهُمْ جُلُوسٌ، فَقُلْ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، قَالُوا: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ تَحِيَّتُكَ، وَتَحِيَّةُ بَنِيكَ بَيْنَهُمْ)[2].

هذه نصوص صريحة تَدُلُّ على أن السلام تحية آدم، وتحية ذريته، ومن المعروف أن ذرية آدم منها المسلم ومنها الكافر، فيكون السلام هو تحية الجميع، سواء في الابتداء، أو في الرَّدِّ، والأصل في المسلم أن يلتزم بهذه التحية مع المسلم، أو غير المسلم، إلا عند وجود سببٍ مانعٍ وهو (انحرب بالنسبة لغير المسلمين) لأن (السلام) أمانٌ، والحرب «تُناقضه».

٣. أن تحية الإسلام (السلام عليكم) ليست لبني البشر فقط، ولكنها تحية الملائكة أيضًا، كما جاء في الصحيحين من حديث عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ

(١) الحديث إسناده حسن: رواه الإمام أحمد برقم: (٢٦٩٤٢).

(٢) الحديث صحيح: رواه الترمذي، والحاكم، وابن حبان من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، وأورده الألباني في المشكاة برقم: (٤٦٦٢)، والسنة لأبي عاصم: (٢٠٤، ٢٠٥)، وصحيح الجامع برقم: (٥٢٠٩ - ١٦٨٢).

قال: (يَا عَائِشُ! هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلَامُ)[1].

وتحية الله لعباده أيضًا (السلام)، فقد جاء في الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ، أَوِ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ، فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ، وَلَا نَصَبَ)[2].

(ب) أحاديث إفشاء السلام وهي كثيرة جدا:

بعضها عام ومنها:

- ما روي الحاكم عن أبي موسى -رضي الله عنه-، أن رسول الله ﷺ قال: (أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ تَحَابُّوا)[3].

- ما روي البخاري في الأدب المفرد، ومسند أبي يعلى، وابن حبان، والعقيلي من حديث البراء بن عازب -رضي الله عنه-، أن رسول الله ﷺ قال: (أَفْشُوا السَّلَامَ تَسْلَمُوا)[4].

- ما رواه ابن ماجة، والنسائي، وابن حبان، والكامل لابن عدي، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: (أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَكُونُوا

---

(١) الحديث رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها أورده الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم: (٧٩١٥ - ٣٠٠٩)، ومختصر مسلم (١٦٦٨)، والأدب المفرد (٨٢٧).

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، ورواه البخاري في (٩٧) كتاب التوحيد (٣٥) باب قول الله تعالى: (يريدون أن يبدلوا كلام الله) (الحديث ٧٤٩٧) عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، وفيه: (من ربها السلام) بدلاً من (فاقرأ عليها السلام من ربها ومني) ولم يذكر: (في الجنة)، ورواه مسلم في (٤٤) كتاب فضائل الصحابة (١٢) باب فضائل خديجة (الحديث ٧١/ ٢٤٣٢) عن أبي هريرة -رضي الله عنه-.

(٣) الحديث صحيح: صححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (١٠٨٦).

(٤) الحديث حسن: أورد الألباني في الإرواء برقم: (٧٦٩)، والسلسلة الصحيحة برقم: (١٤٩٣)، وحسنه الشيخ في صحيح الجامع برقم: (١٠٨٧).

إِخْوَانًا كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ)[1].

- ما رواه البخاري في «الأدب المفرد»، وابن ماجه، وابن حبان، من حديث ابن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: (اعْبُدُوا الرَّحْمَنَ، وأَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، تَدْخُلُوا الْجِنَانَ)[2].

- وما رواه العقيلي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ السَّلَامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى فَأَفْشُوهُ بَيْنَكُمْ)[3].

= وما رواه البخاري في «الأدب المفرد»، من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ السَّلَامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وُضِعَ فِي الْأَرْضِ، فَأَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ)[4].

والمعنى أن السلام اسم من أسماء الله تعالى وضعه الله تعالى في الأرض كلها ليبث المحبة، والأمن والطمأنينة، و لسلام بينهم، ولكن بعض المسلمين أهملوه فيما بينهم، فعليهم أن يفشو، كما كان في أيام الزمن الجميل، فقد كان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يذهب إلى السوق ليسلم على كل من يُقابله، فلما قيل له: لم تفعل ذلك؟ قال: لأنال الأجر العظيم من الله تعالى، لإلقائي السلام على الوجوه الغفيرة من الناس، وكان يُحَيِّي المسلمين، وغير المسلمين بتحية الإسلام، لأن الأصل في السلام أنه وُضِعَ في الأرض، لإحياء المحبة، والسلامة، والطمأنينة، بين الناس جميعًا.

(١) الحديث صحيح: أورده الألباني في الإرواء برقم: (٧٧٧)، والسلسلة الصحيحة برقم: (١٥٠١)، وصحيح الجامع برقم: (١٠٨٩).

(٢) الحديث صحيح: أورده الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (٥٧١)، وصحيح الجامع برقم: (١٠٤١ - ٤٩٨).

(٣) الحديث صحيح: أورده الألباني في الروض النضير برقم: (١٠٧٥)، والسلسلة الصحيحة برقم: (١٦٠٧)، وصحيح الجامع برقم: (١٦٣٨ - ٧٣٣).

(٤) الحديث صحيح: أورده الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (١٨٤)، والروض النضير برقم: (٢ / ٤٥٧)، وصحيح الجامع برقم: (١٦٣٩).

- أحاديث إفشاء السلام، والتي وردت خَاصَّةً بالمسلمين منها:

ما رواه البخاري، ومسلم من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: (حَقُّ الْمُسْلِم عَلَى الْمُسْلِم خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامَ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَإِتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ)(٥).

وما رواه البخاري في الأدب المفرد، ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (حَقُّ الْمُسْلِم عَلَى الْمُسْلِم سِتٌّ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطِسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ)(٦).

* وما رواه الإمام أحمد، والترمذي، والضياء من حديث الزبير- رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (دَبَّ إِلَيكم دَاءُ الْأُمَم قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، هِيَ الْحَالِقَةُ، حَالِقَةُ الدِّين، لَا حَالِقَةُ الشَّعْر، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّد بِيَدِه لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشَيءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُم، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ)(٧).

وَيُفْهَم من جميع هذه الأحاديث أن السلام في الأصل هو تحية الناس جميعًا، تحية ذُرِّيَّةُ آدم كلها، وأن الله قد وضعه في الأرض كلها، ولكن المسلمين هم أَوْلَى بِهْ، وعليهم إفشاءه فيما بينهم أولاً، وَتُجَاهَ كل الناس ثانياً، ولا يُستثنى من ذلك إلا في حالة الحرب القائمة، كما ذكر الشيخ "رشيد رضا" رحمه الله.

---

(٥) الحديث صحيح: أورد الألباني في صحيح الجامع برقم: (٣١٥٠).

(٦) الحديث صحيح: ورد في مختصر مسلم برقم: (١٤١٨)، والسلسلة الصحيحة برقم: (١٨٣٢)، وصحيح الجامع برقم: (١٣٥١).

(٧) الحديث صحيح: أورده الألباني في الإرواء برقم: (٧٧٧)، ومشكلة الفقر برقم: (٢٠)، وصحيح الجامع برقم: (٣٣٦١/ ١).

(ج) الأحاديث الخاصة:

(١) قد كان الصحابة الكرام يتعاملون مع الناس وفق هذه النصوص العامة من الكتاب والسنة المطهرة، ولا يجدون أي حرج في إلقاء السلام، وفي رَدِّه على اليهود الذين كانوا يقيمون معهم في المدينة المنورة، حتى كان يوم قريظة، ذكر أبو بصرة أن رسول اللهﷺ قال: (إِنَّا غَادُونَ عَلَىَ يَهُودَ، فَلَا تَبْدَؤُوهُمْ بِالسَّلَامِ، فَإِذَا سَلَّمُوا عَلَيْكُمْ، فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ)[1].

وجاء في مسند الإمام أحمد، وابن ماجة عن أبي عبد الرحمن الجهنى، والضياء، والنسائي عن أبى بصرة رضى الله عنهما أن رسول اللهﷺ قال: (إِنِّي رَاكِبٌ غَدًا إِلَى يَهُودَ، فَمَنِ انْطَلَقَ مِنْكُمْ مَعِي، فَلَا تَبْدَؤُوهُمْ بِالسَّلَامِ، فَإِنْ سَلَّمُوا عَلَيْكُمْ، فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ)[2].

وذكر "ابن القيم" في زاد المعاد في فصل (هديه في السلام على أهل الكتاب) أنه ﷺ صَحَّ عنه أنه قال (لا تبدؤوهم بالسلام) لكنة قد قِيلَ، أي: "ابن القيم" (إن هذا كان في قضيةٍ خَاصَّةٍ لَمَّا ساروا إلي بني قريظة قال: لا تبدؤوهم السلام).

إذن، فهل هذا حُكْمُ عَامٌّ لأهلِ الذمةِ مُطْلَقًا، أَوْ يَخْتَصُّ بمن كانت حالهُ بمثل حالِ أولئك؟ واختار الترجيح بأن هذا الحكم عَامٌّ بناء على حديث أبى هريرة في صحيح مسلم: (لا تبدأ واليهود ولا النصارى بالسلام....) وسيأتي ذكره فيما بعد، لكننا نقلنا هنا قول "ابن القيم" لبيان أن بعض السلف كانوا يعتقدون بأن عدم البدء بإلقاء السلام كان في قضيةٍ خَاصَّةٍ هي حصارُ بني قُرَيْظَةَ.

(٢) لكن وردت رواية أخرى في صحيح مسلم، وقد رواه أيضا أبو داود، والترمذي وفيها: (لا تبدأو اليهود ولا النصارى بالسلام...)، وفي رواية أبى داود، قال سهيل ابن

(١) رواه الإمام أحمد، والطبراني في الكبير، وأحد إسنادي أحمد، والطبراني رجاله رجال الصحيح، وزاد الطبراني: (فلما جئناهم سلموا علينا، فقلنا: وعليكم)، ومجمع الزوائد للهيثمي.

(٢) الحديث صحيح: أورده الألباني في الإرواء برقم: (١٢٧١)، وصحيح الجامع برقم: (٢٤٦٤-١١٣٩).

أبى صالح: خرجت مع أبي إلى الشام، فجعلوا

يمرون بصوامع فيها نصارى، فيسلمون عليهم، فقال أبي: لا تبدؤهم بالسلام، فإن أبا هريرة حدثنا عن رسول الله ﷺ قال: (لا تبدؤوهم بالسلام...)

الجمع بين الرواتين: ونلاحظ هنا ما يلي:

(أ) أن الرواية الثانية لم تربط منع الابتداء بالسلام بحادثة معينة، بل تركت الأمر على الإطلاق، فكأن سبب المنع هو كونه يهوديا، أو نصرانيا، وبغض النظر عن وجود حالة حرب، أو هدنة، أو ذمة، فالأخذ بهذه الراوية على ظاهرها، يؤدي إلى إلغاء لعمل بالرواية الأولى، التي يعلل فيها رسول الله ﷺ النهي عن البدء بالسلام حالة الحرب، إذْ عند وجود المنع المطلق، لا حاجةَ للتعليل بظرفٍ طارىءٍ، بينما لو أخذنا بالرواية الأولى، لما احتجنا إلى إلغاء العمل بالثانية، ولكننا خَصَّصْنَاهَا فقط في حالة الحرب، وهذه الطريقة في الجمع بين الأدلة عن طريق إعمالها كلها هي طريقة الأصوليين، وقاعدتهم في ذلك أن (إعمال الكلام خَيْرٌ من إهماله).

(ب) إذا قيل بأن الرواية الثانية تنسخ الرواية الأولى، فالأمر يحتاج إلى توافر شروط النسخ ومنها إثبات تاريخي يؤكد أن الثانية قِيلت في زمنٍ متأخر عن الأولى، ومثل هذا الإثبات غير موجود، أو على الأقل لم نطلع نحن عليه، ولكن الثابت في السنة، كما سيأتي فيما بعد، أن الرسول ﷺ كان يُراسل الملوك حتى وفاته، فَيُلْقِي السلام أحياناً بشكلٍ مطلقٍ، فيقولُ:

فقد روى البيهقي عن ابن إسحاق نص كتاب كتبه النبي ﷺ إلى "النجاشي" وكان مقدمته: (بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد رسول الله ﷺ إلى "النجاشي"، الأصحم عظيم الحبشة، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى...)[1].

(١) دلائل النبوة للبيهقي: (٢/ ٣٠٨)، والمستدرك للحاكم (٢/ ٦٢٣).

· وفي نصِّ الرسالة التي جاءت في "زاد المعاد لابن القيم"، استفتحها رسول الله ﷺ بالحمد، فقال: (بسم الله الرحمن الرحيم: من رسول الله ﷺ إلى النجاشي عظيم الحبشة، أسلم أنتِ...) إلى (والسلام على من اتبع الهدى)[1].

· وفي كتابه إلى "المقوقس ملك مصر":

كتب النبي ﷺ إلى "جُرَيْج بن مَتَّى" الملقب "بالمقوقس" ملك مصر، والإسكندرية، فاستفتح كتابه بالحمد والسلام، فقال: "بسم الله الرحمن الرحيم: "من محمد بن عبد الله" ورسوله إلى "المقوقس" عظيم لقبط، سلام على من اتبع الهدى...)

· وكذلك كتابه إلى "كسرى ملك فارس"، أما كتابه إلى "قيصر ملك الروم"، فبدلاً من قوله ﷺ: (السلام على من اتبع الهدى) كان: (أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين)

· وفي كتابه إلى "المنذر بن ساوي" حاكم البحرين، كتب رسول الله ﷺ: (سَلَامٌ عَلَيْكَ)

· وفي كتابه إلى "هودة بن على" صاحب اليمامة، و"الحارث بن شمر الغساني" صاحب دمشق، وملك عمان "جَيْفَر"، وأخيه "عبد ابنى الجُلَنْدَى" كانت جميعاً: (سَلَامٌ عَلَى مَن اتَّبَعَ الْهُدَى)[2].

(٣) إن الروايتين تُؤكدان أن المسلمين كانوا يبدؤون بالسلام إلتزاماً بالنصوص العامة التي ذُكرت آنفاً من القرآن والسنة النبوية المطهرة، ثم جاء النهى عن ذلك، والسلام ليس من المسائل التَّعَبُّدِيَّةِ غير المعللة، بل هو من المسائل التي تقبل التعليل، فإذا جاء النهي مُعَلِّلاً بحاله الحرب كان غير مناقضٍ للنصوصَ العامة، بل هو مخصصٌ لها بما لا يُناقض أهدافها، أما إذا جاء غير معلل، فهو مخصص للنصوص العامة بما

(١) زاد المعاد لابن القيم: (٣/ ٦٠).

(٢) الرحيق المختوم للمباركفوري.

يُناقض أهدافها، وهذا لا يصحُّ إلا مع النسخ، والنسخ غير ثابت، فلم يبق أمامنا من سبيل لمنع إدعاء حصول التناقض إلا الجمع بين الروايتين الصحيحتين، واعتبار أن منع ابتداء غير المسلمين بالسلام سببه وجود حالة الحرب، وهذا الرأي هو الذي قاله الشيخ "رشيد رضا" في "تفسير المنار الآية ٨٤ من سورة النساء"

وقال أيضاً:" عن الحديث السابق ذكره أن رسول الله ﷺ قالا: (إني راكب غدا إلى يهود، فلا تبدؤوهم بالسلام، وإذا سلموا عليكم، فقولوا: وعليكم) فيظهر هنا أنه نهاهم أن يبدؤوهم بالسلام، لأن السلام تأمين، وما كان يجب أن يُؤَمِّنَهُمْ وهو غير أمين منهم، لما تكرر من عذرهم ونكثهم بالعهد، وقد نقل "النووي في شرح مسلم" جواز ابتدائهم بالسلام عن ابن عباس، وأبي أمامه، وأبن محيريز قال: وهو وجه لأصحابنا، كما نُقِلَ عن "الأوزاعي: قوله: (إن سَلَّمْتَ فقد سَلَّمَ الصالحون، وإن تركت فقد ترك الصالحون) وقال :أي "النووي": حكي "القاضي عياض" عن جماعة أنه يجوز ابتداؤهم بالسلام للضرورة، والحاجة، أو لسبب، وهو قول "علقمة، والنخعي". ونقل "العسقلاني" في فتح الباري عن "أبي شيبة" من طريق "عون بن عبد الله"، عن "محمد بن كعب"، أنه سأل "عمر بن عبد العزيز" عن ابتداء أهل الذمة بالسلام، فقال: (نردُّ عليهم ولا نبدأهم، قال عون: فقلت له: كيف تقول أنت؟ قال: ما أرى بأسًا أن نبدأهم، قلت :لم؟ قال: لقوله تعالى: (فأصفح عنهم وقل سلام) (الزخرف: ٨٩).

(٤) وقد يُقال هنا أن القاعدة الأصولية تقول: (أن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب) وأن لفظ (لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام...) عَامٌّ، حتى لوْ صَحَّ أنه قيل في ظرفٍ خَاصٍّ هو نقضُ بني قريظة العهد ودخول الرسول ﷺ معهم في حربٍ، إلا أنه يجب أن يُؤْخَذُ بعمومه وفق هذه القاعدة.

وهنا يُشير صاحب الرسالة إلى قاعدةٍ أصوليةٍ:

إن السبب في هذه القاعدة يعنى (المناسبة التي قيل فيها هذا اللفظ)، ولا يعنى السبب الذي يكون عليه عِلَّةُ الحكم، فإذا كان السبب هو المناسبة التي قيل فيها النص، فالعبرة عند ذلك "بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب، ومثال ذلك حكم الأنفال، فهو نزل بمناسبة وقوع الخلاف بين الصحابة حول توزيعها، فهذا الحكم ليس خاصًّا بأنفال بدر، ولو أنه نزل بسببها، لأن السبب هُنا هو المناسبة التي قيل فيها النص، أما إذا كان السبب هو علة الحكم، وليس المناسبة التي نزل فيها، فالقاعدة الأصولية الثابتة أن (الْحُكْمَ يَدُورُ مَعَ عِلَّتِهِ) وأنه إذا زال السبب زال حكمه، ومثال ذلك قول "ابن القيم": (إن الكتابي إذا قال لك: (السلام عليكم ورحمة الله)، فالعدل في التحية يقتضي أن يَرُدَّ عليه نظير سلامه، أي: تقول له. (وعليكم السلام ورحمة الله)، ولا تكتفي بالقول: (وعليكم)، لأن هذا القول له سبب وهو أن اليهود كانوا يقولون للمسلمين: (السام عليكم) فأمروا بالرد عليهم بهذا النص: (وعليكم) فإذا زال هذا السبب، فقالوا: (السلام عليكم ورحمة الله) زال الحكم المذكور، ورجعنا إلى الحكم الأصلي، فالسبب هنا هو عِلَّةَ الحكم وليس فقط المناسبة التي نزل فيها.

٣- في حديث عائشة رضى الله عنها أن اليهود عندما قالوا لرسول اللهﷺ (السام عليكم) قالت: (السام عليكم يا إخوان القردة والخنازير، ولعنة الله وغضبه) فقال لها رسول اللهﷺ: (يَا عَائِشَةُ! عَلَيْكِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَ الرِّفْقُ، فَإِنَّ الرِّفْقَ لَمْ يَكُنْ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ قَطُ إِلاَّ شَانَهُ)[1].

- يُستخلص من هذه الروايات مايلي:

- أن السلام كان معروفا بين المسلمين واليهود ابتداءً، وردًّا باللفظ المعروف.
- أن اليهود حَرَّفوا كلمة (السلام) إلى (السَّام)، وأصبحوا يبدؤون، أو يردُّون بذلك.

(١) الحديث صحيح: أورده أحمد في مسنده، وأبي داود في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها، والترغيب للمنذرى برقم: (٣/ ٢٦٢)، وصحيح الجامع برقم: (٧٩٢٧- ٣٠٢١).

· كان رَدُّ الفعلِ الطبيعيِّ منع المسلمين من ابتدائهم بالسلام، ورد تحيتهم بـ(وعليكم) لزجرهم، فإن ألقوا السلام رُدَّ عليهم بالسلام، وإن ألقوا السَّام رُدَّ عليم بالسَّام.

· مُنع المسلمون أن يُرَدُّوا على التحية بأسوأ منها، بل يكتفوا بِرَدِّ السيئة بمثلها، كما ورد عن النبيﷺ من نهى (عائشة) عن الزيادة عندما قالت: (وعليكم السام واللعنة)، فأمرها أن تكتفي ب (وعليكم).

· إذا زال السبب، وهو أن أهل الكتاب يقولون: (السام عليكم) وجب على المسلمين أن يعودوا إلى الأصل فيبدؤون بالسلام، وَيَرُدُّونَ التحية بمثلها، أو أحسن وليس فقط بكلمة (عليكم)، لأن الحكم يدورُ مع عِلَّتِهِ، وإذا زال سبب الحكم الاستثنائي رجعنا إلى الحكم الأصلى.

· عن "الطفيل بن أبي كعب" أنه كان يأتي "عبد الله بن عمر" رضي الله عنهما، فيغدو معه إلى السوق، قال: (فإذا غدونا إلى السوق لم يمر "عبد الله بن عمر" على سقاط، أي: (هو الذي يبيع سقط المتاع) ولا صاحب بيعة، ولا مسكين، ولا أحد وَسَلَّمَ عليه، قال "الطفيل": فجئت عبد الله بن عمر" يَوْماً، فاستتبعني إلى السوق، فقلت: ما تصنع بالسوق، وأنت لا تقف على البيع، ولا تسأل عن السلع، ولا تسوم بها، ولا تجلس في مجالس السوق؟ قال: اجلس هاهنا نتحدث، فقال لي "عبد الله": إنما نغدو من أجل السلام فَنُسَلِّمْ على من لقيت)[1].

· وأخرج الطبراني عن أبي أمامة الباهلي أنه كان يُسلم على كل من لَقِيَهُ، قال: (فما علمت أحدًا سبقه بالسلام، إلا يهوديًا مَرَّةً اختبأ له خلف اسطوانة، فخرج فَسَلَّمَ عليه، فقال له أبو أمامة: ويحك يا يهوديَّ ما حملك على ما صنعت؟ قال له: رأيتك

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء: (١/ ٣١٠)، وأخرجه البخارى في "الأدب المفرد" ص (١٤٨).

رجلا تُكْثِرُ السلامَ، فعلمت أنه أفضل، فأردت أن آخذ منه، فقال له أبو أمامة: ويحك أني سمعت رسول اللهﷺ يقول: (إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ السَّلاَمَ تَحِيَّةً لِأُمَّتِنَا، وَ أَمَانًا لِأَهْلِ ذِمتِنَا)

• وعن "محمد بن زياد" قال: كنت آخذ بيد "أبي أمامة"، وهو منصرف" إلى بيته، فَلاَ يَمُرُّ على أَحَدٍ، مسلمٍ، ولا نصرانيٍّ، ولا صغيرٍ، ولا كبيرٍ، إِلاَّ قَالَ: (سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ، سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ)[1].

خُلاَصَةُ الْقَوْلِ:

إن أرجح الأقوال في المذاهب عدم جواز ابتداء أهل الذمة بالسلام، إلا أن القول بالجواز، قال به جمهوٌر كبيرٌ من العلماء داخل كل مذهب.

- نقل "ابن عابدين" في حاشيته عن بعض المشايخ، أنه (لا بأس، بلا تفصيل) وإن رَجَّحَ أنه مكروهٌ، إلا عند الحاجة إليه[2].

- ونقل "النووى" في شرح صحيح مسلم الماوردي (وجها لبعض أصحابنا أن يجوز ابتداؤهم بالسلام) وقد رَجَّحَ التحريم[3].

- ونقل ابن مفلح عن بعض العلماء القول بعدم التحريم[4].

- وقد روى هذا القول، أي: عدم التحريم، عن ابن عباس، وابن مسعود، وأبي أمامة، وابن محيريز، وعمر بن عبد العزيز، وسفيان بن عيينة، والشعبي، والأوزاعي، ونقل القرطبي، عن الطبري قوله: (وقد رُوِيَ عن السلف أنهم كانوا يُسَلِّمُونَ على أهل الكتاب، كما ذكر "القرطبي" نفسه، عن "ابن مسعود" أنه فعله "بدهقانٍ" صحبه في طريقه، "قال علقمه: قلت له: "يا أبا عبد الرحمن"، أليسُ يكره، أن يبدوؤا بالسلام؟

(١) الحلية لأبي نعيم: (٦/ ١١٢).

(٢) حاشية أبن عابدين: (٥/ ٢٦٤).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي: (١٤/ ١٤٥).

(٤) الآداب الشرعية: (١/ ٤١٢).

قال: نعم، ولكن حق الصحبة)[1].

كما اختار القول السيد "رشيد رضا" في "تفسير المنار"، والشيخ "الشنقيطي" في "أضواء البيان".

(من كل ما تقدم نستنتج):

١- أن الإسلام يحث المسلمين على المبادرة إلى طرح التحية تُجاه جميع الناس، وبلفظ (السلام عليكم) بدليل أحاديث إفشاء السلام العامة، وهي كثيرة وصحيحة.

٢- أن الإسلام يأمر بردِّ التحية بأحسن منها، أو مثلها حين يُبادر الآخرون بها لقوله تعالى: {وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا} (النساء: ٨٦) فإذا ابتدأ الكتابيِّ بالسلام يُرَدُّ عليه بمثله على الأقل.

٣- إذا بدأ الآخرون بتحيةٍ سيئةٍ يجوز للمسلم رَدَّهَا بمثلها فقط، بدليل قوله ﷺ لأصحابه، حين كان اليهود يبدؤوهم بالقول (ألسام عليكم) قولوا: (وعليكم).

٤- يجوز الصفح عنهم وَرَدِّ التحية السيئة بأحسن منها لعموم قوله تعالى: {وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ} (الرعد: ٢٢)، وقوله: {فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا} (النساء: ٨٦)، وقوله في التعامل مع أهل الحرب: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ} (النحل: ١٢٦) وقوله تعالى: {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ} (الزخرف: ٨٩).

٥- ولا يجوز الزيادة عن المثل في (التحية السيئة) لما ثبت أن رسول الله ﷺ لم يوافق عائشة- رضي الله عنها -على الزيادة، وذلك في الحديث الصحيح عندما قال اليهود: (السام عليكم)، فردت عليهم: (وعليكم السام واللعنة)، فنهاها عن ذلك،

(١) تفسير القرطبي: (١١/ ١١٢).

وأمرها بالرفق، وأن تكتفي بالرَّدِّ: (وعليكم)، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ)[1]. وقوله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ)[2]

(التَّهْنِئَةُ لِغَيْرِ الْمُسْلِم)

مَنْ شَابَهَ مُرْشِدَهُ فِيمَا ادَّعَى، أَوْ قَالَ، فَقَدْ ظَلَمْ:

يجب على المرء أن يكون له عقلٌ مستنيرٌ، يستوعب الحق، ويبتعد عن التقليد والباطل، فإذا استوقفه قاعدةٌ فقهيةٌ، أو أمرٌ شرعيٌّ، فعليه أن يسأل ويستشير، كما قيل: (مَا خَابَ مَنِ اسْتَشَارَ، وَمَا نَدِمَ مَنِ اسْتَخَارَ) إذن فالواجب على كل من أُدْلِي بِرَأْيٍ أن يَتَّقِ الله فيه، وَلْيُحْسِنَ فيما قال، وليعلم علم اليقين أن رأيه إذا لم يرتبط بفقه الواقع، ورجاحة العقل، وعدم التَّسَرُّع فيما يصدر عن لسانه، فإن هذا التسرع سَيُحْدِثُ فتنةً، وسيقسم ظهر الوطنية، بل يُصيبها في مقتلٍ، فلزامًا عليه في تلك الآونة أن يسأل أبواب العلم، بل ويقرعها قرعاً، وخير الأبواب في ذلك الشأن هو باب الوسطية السمحة، ألا وهو "الأزهر الشريف"، والذي له رجاله الحريصون على الحق في فتواهم:

فقد أصدر مفتي "الإخوان الدكتور "عبد الرحمن البر" عضو مكتب الإرشاد، والملقب بمفتي الإخوان أنه في سنة ٢٠١١ أجاز تهنئة الأقباط بأعيادهم، وقال:

---

(١) الحديث صحيح: رواه ابن سعد، والبخاري في "الأدب المفرد"، والحاكم، والبيهقي في "شعب الإيمان" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأورده الألباني في "السلسلة الصحيحة" برقم: (٤٥)، وصحيح الجامع برقم: (٢٣٤٩).

(٢) الحديث صحيح: رواه ابن سعد، والحكيم عن أبي صالح مرسلاً، والحاكم عن أبي هريره رضي الله عنه، وأورد الألباني في "السلسلة الصحيحة" برقم: (٤٩٠)، وغاية المرام برقم: (١)، والمشكاة برقم: (٥٨٠٠)، صحيح الجامع برقم: (٢٣٤٥)، أ.هـ نقلا عن الشيخ "فيصل مولوى" Http: //www. moclawi.net /default.asp

(أَنَّ تَهْنِئَةَ الْأَقْبَاطِ بِرُّوَ إِقْسَاطٌ)، ثم انقلب على عقبيه وقال في سنة ٢٠١٣: (أَنَّ التَّهْنِئَةَ غَيْرُ جَائِزَةٌ)

- اسْتِيضَاحُ الْخَبَرِ:

كشفت الفتاوي الأخيرة التي صدرت عن قيادات دعوية "بجماعة الإخوان" حول تحريم تهنئة الأقباط بأعيادهم عن انقلابٍ فِقْهِيٍّ داخل صفوف الجماعة، حيث تتناقض الفتوى الأخيرة للدكتور "عبد الرحمن البر" عضو مكتب الإرشاد، والملقب "بمفتي الإخوان" مع دراساتٍ سابقةٍ أصدرها وأجاز فيها تهنئة الأقباط بأعيادهم تصريحات "عبد الرحمن البر" لليوم السابع تضمنت فتوى بجواز تهنئة المسلمين للأقباط بأعيادهم واعتبر أن التهنئة بهذه المناسبة من جملة "البر والإقساط" الذي أمر الله به المسلمين تُجاه الأقباط عملا بقول الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة:٨)، وأضاف "البر" قائلاً في التصريحات.التي أُدْلِيَ بها.بتاريخ ٣٠ ديسمبر ٢٠١١ بالتزامن مع الانتخابات البرلمانية آنذاك " ليس معنى أن يقول المسلمون للأقباط في مناسبة الاحتفال بعيد الميلاد، كل عام وأنتم بخير، أنهم يقبلون بعقائدهم، لأننا لو كنا نقبل بعقائدهم لتحولنا إلى المسيحية، ولو كانوا هم يقبلون بعقائدنا لتحولوا إلى الإسلام"، وأشار "البر" إلى أن الشريعة الإسلامية سمحت للمسلمين بما هو أكثر من ذلك، حيث أجازت للرجل المسلم الزواج من المرأة المسيحية، وطرح "البر" جملة أسئلة للتدليل على صحة موقفه منها: (هل يُعقل أن يرفض الرجل المسلم تهنأة زوجته المسيحية في مثل هذه المناسبات، وكيف يتصور أن تسمح لنا شريعتنا بالزواج من المسيحيين، ثم يأتي من يقول: إن تهنئتهم بأعيادهم حرام؟)، كما أصدر "البر" بَحْثًا فِقْهِيًّا نشره على موقع "إخوان أون لاين" الناطق باسم الجماعة بعد حضوره مراسم تنصيب البابا "تواضروس" في الكاتدرائية، حيث أشار "البر" في

دراسته التي نشرها بتاريخ ٢٠ نوفمبر ٢٠١٢ إلى أننا لدينا آيتان حاكمتان لطبيعة العلاقة مع غير المسلمين، هما قول الله تعالى: {لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (الممتحنة: ٨، ٩)، وفي ضوء هاتين الآيتين تفهم بقية الآيات التي تتناول العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين، وأوضح "البر" في دراسته، أنه من هذا المنطق لم يجد حرجاً في الاستجابة للدعوة التي تلقاها من الكنيسة لحضور حفل التنصيب ولم يفُتْ "البر" في هذه الدراسة التعريض بموقف "السلفيين" الذين قالوا بتحريم التهنئة وحضور القُدَّاسِ حيث أَكَّدَ أنه من العجيب حَقًّا أن ترى بعض القائلين بالمنع من الحضور، أو التهنئة يدعون إلى حماية الكنائس، ويُعلنون استعدادهم للقيام بذلك... ونتساءل: (أيهما أظهر في إفادة الرضا، الحماية، أم التهنئة؟)، والأمر لم يختلف كثيراً بالنسبة للشيخ "عبد الخالق الشريف"، رئيس قسم نشر الدعوة "بجماعة الإخوان، حيث أصدر دراسة فقهية بتاريخ ٥ يناير ٢٠١٢ بعنوان "تهنئة غير المسلمين بأعيادهم" أكد فيها: (أنه لا يوجد نصٌّ واضحٌ قاطعٌ في المسألة، وأن من ذهب إلى التحريم فعلى اعتبار الرضا الْقَلْبِيِّ بأفعالهم، ومن ذهب إلى الجواز، فهو من باب المجاملة وحسن الجوار)[1].

وهكذا نرى انقلاب الفتوى داخل (جماعة الإخوان) حول تهنئة الأقباط قبل توليهم السلطة بالجواز، وبعد توليهم السلطة، بعدم الجواز، وهذا ما يُسمى بفقه الموقف، أو فقه المصلحة، وهذا النوع مذمومٌ إذا لم تكنْ هناك مصلحة راجحة لذلك، ولكن المصلحة "لجماعة الإخوان" في تلك اللحظة هو وقوف الأقباط بجانب الجماعة في الانتخابات البرلمانية، والرئاسية، فذلك هو التملق بعينه.

(١) جريدة اليوم السابع ٢٠ من جمادي الآخرة ١٤٣٤هـ - ٣٠ أبريل ٢٠١٣م العدد (٧٠٠).

التمهيد للآراء الفقهية في ذلك الشأن:

ما موقف المسلم من هؤلاء، أي: "غير المسلمين المسالمين لهم"، الذين لا يعادون المسلمين، ولا يقاتلونهم في دينهم، ولم يخرجوهم من ديارهم، أو يظاهروا على إخراجهم؟

- إن القرآن الكريم قد وضع دستور العلاقة بين المسلمين، وغيرهم في آيتين في سورة الممتحنة، وقد نزلت في شأن المشركين الوثنيين، كما جاء في كتابه تعالى: {لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ} (الممتحنة: ٨ - ٩)، ففرقت الآيتان بين المسالمين للمسلمين، والمحاربين لهم:

فالأولون (المسالمون): (شرعت الآية الكريمة بِرَّهُمْ والإقساطُ إليهم، والقسط يعني: العدل، والبر يعني: الإحسان والفضل، وهو فوق العدل، فالعدل: أن تأخذ حقك، والبرُّ: أن تتنازل عن بعض حقك، أما العدل، أو القسط: أن تعطي الشخص حقه لا تنقص منه، وَالْبِرُّ: أن تزيده على حقه فضلاً وإحساناً).

أما الآخرون الذين نهت الآية الأخرى عن موالاتهم: فهم الذين عادوا المسلمين وقاتلوهم، وأخرجوهم من أوطانهم بغير حق إلا أن يقولوا: ربنا الله، كما فعلت قريش ومشركو مكة بالرسول ﷺ وأصحابه، وقد اختار القرآن للتعامل مع المسلمين كلمة (البر) حين قال: {أَن تَبَرُّوهُمْ} وهي الكلمة المستخدمة في أعظم حَقٍّ على الإنسان بعد حق الله تعالى، وهو (بر الوالدين)، فقد روى البخاري، عن أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهَا قَالَتْ: (قَدِمَتْ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ إِذْ عَاهَدُوا،

فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُهَا؟ قَالَ: "نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ")[1].

هذا وهي مشركة، ومعلوم أن موقف الإسلام من أهل الكتاب أخف من موقفه من المشركين الوثنيين، حتي إن القرآن أجاز مؤاكلتهم ومصاهرتهم، بمعنى: أن يأكل المسلمون من ذبائحهم، ويتزوجوا من نسائهم، كما جاء في كتابه تعالى: {وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ} (المائدة: ٥).

ومن لوازم هذا الزواج وثمراته: وجود المودة بين الزوجين، كما جاء في كتابه تعالى: {وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (الروم: ٢١).

وكيف لاَ يَوَدُّ الرجلُ زوجتهُ وَرَبَّةَ بيته وشريكة حياته، وأم أولاده؟ وقد قال الله تعالى فى بيان علاقة الأزواج بعضهم ببعض: {هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ} (البقرة: ١٨٧)

ومن لوازم هذا الزواج وثمراته: المصاهرة بين الأسرتين، وهي إحدى الرابطتين الطبيعيتين الأساسيتين بين البشر، كما أشار الله تعالى في كتابه حيث قال: {وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ} (الفرقان: ٥٤).

ومن لوازم ذلك: وجود الأمومة ومالها من حقوق مؤكدة على ولدها في الإسلام، فهل من البر والمصاحبة بالمعروف أن تمر مناسبة مثل العيد الصغير، أو الكبير عندها ولا يهنئها به؟

وما موقفه من أقاربه من جهة أمه، مثل الجد والجدة، والخال والخالة، وأولاد

(١) البخاري: (٥٩٧٨).

الخال والخالات، وهؤلاء لهم حقوق، وذوي القربي؟، وقد قال تعالى: {وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ} (الأنفال: ٧٥)، وقوله تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ} (النحل: ٩٠)، فإذا كان حق الأمومة، والقرابة يفرض على المسلم، والمسلمة صلة الأم والأقارب بما يبين حسن خلق المسلم، ورحابة صدره، ووفاءه لأرحامه، فإن الحقوق الأخرى توجب على المسلم أن يُظهر الإنسان ذي الخلق الحسن وأن يفي بذلك، كما قال رسول اللهﷺ: (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)[1].

كما حَثَّ النبيﷺ على (الرفق) في التعامل مع غير المسلمين، وَحَذَّرَ من (العنف) والخشونة في ذلك، ولما دخل بعض اليهود على النبيﷺ، لَوَوُّا ألسنتهم بالتحية، وقالوا: (السَّامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ)، ومعنى (السَّامُ)، أي: الموت والهلاك، وسمعتهم عائشة رضي الله عنها، فقالت: وعليكم السَّامُ واللعنةُ يا أعداء الله، ويا عبدة القردة والخنازير، فلامها النبيﷺ على ذلك، فقالت: ألم تسمع ما قالوا يا رسول الله؟ فقال: سمعتُ، وَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ، يعني: (الْمَوْتُ يَجْرِي عَلَيْكُمْ، كَمَا يَجْرِي عَلَيَّ، يَا عَائِشَةُ! إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ، يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ)[2].

وجاء في سنن أبي داود عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول اللهﷺ: (يَاعَائِشَةُ! إِنَّ اللَّه لاَ يُحِبُّ الْفاحِشَ الْمُتَفَحِّشِ)[3].

---

(١) الحديث حسن: رواه أبو داود، وأحمد، والترمذي، والحاكم، والبيهقي من حديث أبي ذر ﷺ، والبيهقي في "شعب الإيمان" عن معاذ ﷺ، وابن عساكر عن أنس ﷺ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٩٧)، والبعض النضير برقم: (٨٥٥).

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد، والترمذي، وابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها، وأورده الألباني في المشكاة برقم: (٤٦٣٨)، وصحيح الجامع برقم: (٧٩٢٠- ٣٠١٤).

(٣) الحديث صحيح: أورده الألباني في الإرواء برقم: (٢١٣٣)، وصحيح الجامع برقم (٧٩٢٢- ٣٠١٦)

وتتأكد مشروعية تهنئة القبط بهذه المناسبة إذا كانوا يُبادرون بتهنئة المسلم بأعياده الإسلامية، فقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بمجازاة الحسنة بالحسنة، أو أن نَرُدَّ التحية بأحسن منها، أو بمثلها على الأقل، كما جاء في كتابه تعالى: {وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ} (النساء: ٨٦) إذن وجب على المسلم أن لا يكون أقل كرماً، وأدنى حظاً من حسن الخلق من غيره، والمفروض أن يكون هو الأوفر حَظًّا، والأكمل خُلُقاً، كما قال رسول الله ﷺ: (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَاناً أَحْسَنَهُمْ خُلُقاً)(١).

وكما جاء عنه أنه قال عن نفسه: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ)(٢).

وقال عن نفسه أيضاً: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ)(٣).

ألسنا أولى بمكارم الأخلاق وصالحها كما بعثه الله إلى الخلق عامة، كما قال تعالى: {قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} (الأعراف: ١٥٨) فتلك المكارم، وتلك الأخلاق ندعوهم بهما إلى الإسلام ونقربهم إليه، ونحبب إليهم المسلمين، وهذا واجبٌ علينا جميعاً، وَلَا يَتَأَتَّى هذا بالتجافي بيننا وبينهم، بل بحسن التواصل، فقد كان رسول الله ﷺ لا ينقطع عن جيرانه من المشركين من قريش، بل كان طوال العهد الْمَكِّيِّ حسن الخلق، كريم العشرة، مع إيذائهم له، ولأصحابه، وأخرجوه من بلده وهي أحب البلاد إليه، وعندما فتح مكة وكانوا من أَذْوَهُ تحت يديه، عفا عنهم

(١) الحديث صحيح؛ رواه أحمد، وأبي داود، وابن حبان، والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه، وجاء في (إيمان ابن أبي شيبة ١٧-٢٠، وإيمان أبي عيد ص:١٧، والسلسلة الصحيحة برقم: (٢٨٤)، وصحيح الجامع برقم: (١٢٣٠).

(٢) الحديث صحيح: أخرجه أحمد، والحاكم، والبيهقي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وراجع السلسلة الصحيحة برقم: (٨٠٩).

(٣) الحديث صحيح: رواه أبن سعد في طبقاته، والأدب المفرد للبخاري، والحاكم، وشعب الإيمان للبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (٤٥)، وصحيح الجامع برقم: (٢٣٤٩).

وقال: (لا تثريب عليكم اليوم، إذهبوا فأنتم الطلقاء) هذا هو عفو الإسلام الجميل وسماحته، إذن فلا مانع من أن يهنئهم المسلم مَشَافَهَةً، أو بالبطاقات التي لا تشتمل على شعاراتٍ، أو عباراتٍ دينيةٍ تتعارض مع مبادىء الإسلام، ولا مانع من قبول الهدايا منهم، ومكافأتهم عليها، فقد قبل النبيﷺ هدايا غير المسلمين مثل :المقوقس عظيم القبط بمصر"، وغيره، بشرط أَلاَّ تكون هذه الهدايا مما يَحْرمُ على المسلم كالخمر ولحم الخنزير[1].

الآراء الفقهية لعلماء الأزهر الشريف:

يقول فضيلة الأستاذ الدكتور "عبد الستار فتح الله سعيد"، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر:

(التهنئة لغير المسلم مطلقا بدون مخالفة شرعية جائزة، وهي من باب حسن الأخلاق التي أُمرنا بها، ولونٌ من ألوان الدعوة إلى الله عز وجل بالحكمة والموعظة الحسنة عملاً لا قولاً، أما إذا تضمنت التهنئة مخالفة دينية، فهنا تكون ممنوعة من أجل هذه المخالفة، كأن يقول له مثلاً: (بارك الله لك في أهلك ومالك) مثلا، فهذا دعاء بالبركة لغير المسلم وذلك لا يجوز، وإنما يقول له مثلا: (أعاد الله عليك التوفيق والهداية) أو ما إلى ذلك، وإذا تضمنت التهنئة تقديم هدية فهذا جائزٌ أيضاً، بشرط أن تكون حلالاً، فلا يقدم له زجاجةً من الخمر مثلاً، أو صوراً عارية، بحجة أنه ليس مسلماً، فالمسلم لا ينبغي أن يشترك في تقديم شيءٍ مُحَرَّم في ديننا، وإذا ذهب إلى بيته، أو في كنيسة فلا يحل له أن يجلس تحت الأشياء المخالفةً لديننا كالتماثيل، أو الصلبان، وغير ذلك من ضروب المحرمات التي تقترن بمواضع وأماكن غير المسلمين، وننبه إلى التهاني لا ينبغي أن تكون باستعمال آيات قرآنيةٍ في بطاقةٍ، أو في غيرها، لأن غير

(١) شبكة الإنترنت

المسلمون لا يُدركون قداسة النصوص، وبالتالي يضعونها في القمامة، أو يدوسونها بالأقدام، أو بغير قصد، فينبغي على المسلم أن يُنَزِّهَ نصوص دينه عن كل امتهان).

• أما قول الدكتور الشيخ، "أحمد الشرباصي" الأستاذ بجامعة الأزهر -رحمه الله، فيقول: (إن "عيسى بن مريم"، وعلى نبينا -الصلاة والسلام -هو عبدالله ونبيه ورسوله، وقد أثنى الله -تبارك وتعالى -على نبيه عيسىَ في كتابه تعالى على لسانه: {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ} (مريم: ٣٠-٣٤) وإذا كان أتباع المسيح -عليه الصلاة والسلام -قد اختاروا لأنفسهم موعداً سنويًّا جعلوه ذكرى لميلاد المسيح، بين المسلم وبين بعض هؤلاء جوار له حقوق، أو شركة في عمل، أو زمالة في وظيفة، وقد جرى الْعُرف بأن يتبادل الطرفان المجاملة في الأعياد، أو المواسم، أو المناسبات الأخرى، فإن الإسلام -السمح الكريم- لا يقفُ حائلاً دون أداء هذه المجاملات، بشرط أن لا تكون على حساب العقيدة والدين؛ وبشرط أن لا يرتكب المسلم في مثل هذه المجاملة، ما يحرمه عليه الدين، أو ينفره منه، وبشرط أن لا تكون هناك منكرات ترتكب، مثل شرب الخمر، أو تناول المسكرات، أو المخدر؛ أو نحو ذلك، ولنتذكر أن الحق -جل جلاله -يقول في كتابه العزيز: {وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ} (المائدة: ٥)، وهذا يستتبع تبادل الزيارة، والدعوة إلى الطعام وما أشبه ذلك والخلاصة: أن المسألة من باب الفتوى، فهي تتغير، كما هو معروفٌ لدى علماء الفقه، وَلَمْ يَرِدْ نَصٌّ قَطْعِيٌّ فِي تَحْرِيمِ التَّهِنْئَةِ (والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال، سقط به الاستدلال) كما هو مقررٌ عند الأصوليين، أي أنه لا يكون مُلْزِماً للطرفين، ومما استدل به المانعون

قوله {وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ} (الفرقان: ٧٢)، قالوا: هي أعياد الكفر، وهو تفسير لا يسلم من خدش، لأن الزور يُطلق على كل ما خالف الحق، ثم النهي في الآية هو عن شهود الزور، والشهود يعنى الحضور والمشاركة، واحتفال المسلم بأي عيدٍ من الأعياد على وفق احتفاله بأحد العيدين المشروعين له، كالفطر، والأضحى، بأي شكل من الأشكال فهو حرامٌ شرعاً، ومن فعله كان آثماً عند الله تعالى، وذلك من باب التشبه بالكافرين، ويجب أن نفرق بين الحكم الفقهي، والفتوى، فالحكم الفقهي منه ما هو ثابتٌ لا يقبل التغيير ولا التبديل، "كالأحكام قطعية الثبوت والدلالة"، ومنه ما يقبل التغيير وليس بثابت، وهذا لا يجوز الاجتهاد معه وليس ضده، وفي إطاره، وليس خارجاً مُصْطَدِمًا معه، ومن هنا قالوا: (مادام الحكم متغيراً، ومادامت الشريعة مرنةً تصلح لكل زمانٍ ومكانٍ، فلا مانع من تغير الفتوى)، والبعض يُدخلها في خصوصيات العقيدة الإسلامية، إن أن لها حكمًا فِقْهِيًّا يستند إلى النظر الدقيق، والتفكير العميق في نصوص الشريعة الإسلامية، على ذلك فالمسألة فيها بين فقهاء الأمة، إذن ماذا نفعل في الأحكام المختلف فيها؟

من القواعد التي يمكن أن نتعامل بها مع الفقه الإسلامي؛ إنما ينكر المتفق عليه، ولا ينكر المختلف فيه، والمختلف فيه لا وجوب فيه، وَلاَ يُعَذَّبُ عليه تاركهُ بالنارِ...، والقاعدة الفقهية المستقرة لدى الفقهاء --(إنما ينكر المتفق عليه، ولا ينكر المختلف فيه)، ولكل منهما أدلته الشرعية التي يستند إليها وكل محترمٌ، وَمُعْتَبَرٌ، ولا خلاف في ذلك! والأمر مختلفٌ فيه، ولا يُنكر المختلف فيه، إذن التهنئة لغير المسلم مطلقاً جائزةٌ، ولكن بدونِ مخالفةٍ شرعيةٍ).

فتوى جبهة علماء الأزهر في مسألة تهنئة غير المسلمين بأعيادهم:

ما حكم نهنئة النصارى بعيد رأس السنة الميلادية، وما حكم مشاركة المسلمين

إياهم في الإحتفال بهذه لمناسبة، وبغيرها من مناسبات الأعياد؟

(أجمعت جبهة علماء الازهر على أن تهنئة المسلمين للنصارى بعيد رأس السنة الميلادية، فمع ما فيه خلافٍ فقهيٍّ، فإننا نميل إلى القول بالجواز بشروط نذكرها بعد أن نبين مناط الخلاف، فمن العلماء من ذهب إلى القول بالتحريم؛ بإعتبار أن التهنئة إقراراً على الكفر، والتهنئة بالكفر أقل ما فيها أنها محرمةٌ، وذهبَ فريقٌ آخر إلى جواز تهنئة النصارى بعيد رأس السنة الميلادية يشتمل على مُحَرَّم، كالاشتراك معهم في طقوس الاحتفال في الكنيسة، أو ارتكاب مخطور شرعي، إحتفالاً بهذا اليوم، فإن خلا من الأمور المحرمة، فَهُوَ جَائِزٌ، وهناك جملةٌ من النصوص الشرعية -تَحُثُّ على-البِرِّ إلى أهل الكتاب غير المحاربين، والتهنئة لهم من البِرِّ بهم، ومن ذلك قوله تعالى: {لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ} (الممتحنة: ٨) وتتأكد التهنئة إذا كان النصارى يهنئون المسلمين بأعيادهم رَدِّ التحية؛ لقوله تعالى: {وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ} (النساء: ٨٦)

ولا يخفى في مآلات التهنئة لهم من خيرٍ غالبٍ وذلك في مثل إظهار المسلمين على حقيقتهم بالصورة اللائقة بهم مِمَّا يُعَدُّ نوعاً من الدعوة إلى الله، وكذلك إظهار محاسن الإسلام الذي يفرض أتباعة فعل كل جميل حتى مع غير المسلمين، وإذا كان المقصد محموداً، فكل وسيلة توصل إليه وليس فى الشرع ما يمنع منها، فإنها محمودة، كما أن في القول بجواز التهنئة ما يُساعد على الأمن الاجتماعي داخل المجتمع الذي يعيشون فيه مع غيرهم، سواء أكان المسلمون فيه قلة، أم كثرة، والمحافظة على الأمن الاجتماعى مقصد من أهم مقاصد الشرع فيما يتعلق بالأوطان، على أنه ينبغى أن لا يفهم عَنَّا من هذه الفتوى أننا نقر المتساهلين في هذ الشأن من أهل العلم، ومن الدعاة، فمثل هذا منهم فيه من إثمهم وإلى دينهم ما فيه، ومهما غالوا في مواقفهم لإرضاء غيرهم فإنهم لن يبلغوا عُشْرَ مِعْشَارِ الحقيقة التي جاء عليها دينهم، هذا الذي أجاز

للإمام في صلاته أن يقطع صلاته ويستخلف غيره من المصلين، لإنقاذ نفسٍ محترمةٍ ولو كانت كافرة متى كان قادراً على ذلك)[1].

وليس هناك دين يفعل مع خصومه مثل ما فعل ويفعل ديننا (والله يقول الحق وهو يهدى السبيل)[2].

(فتوى الشيخ "يوسف القرضاوي"، في مسألة تهنئة الأقباط بأعيادهم)

قال الشيخ: (من حق كل طائفة أن تحتفل بعيدها بما لا يُؤذي الآخرين، ومن حقها أن تهنئ الآخرين بالعيد، فنحن المسلمين لا يمنعنا ديننا أن نهنئ مواطنينا وجيراننا النصارى بأعيادهم، فهذا داخلٌ في البر، وخصوصاً إذا كانو يجاملون المسلمون ويهنئونهم بأعيادهم، وقد أجازت الشريعة الإسلامية مُعاملة أهل الكتاب، فأباحت أكل ذبائحهم (الجائز أكلها في شريعتنا) وأجازت نكاح نسائهم، والبيع والشراء لهم، وكذلك القسط والبر والإحسان إليهم ما داموا غير محاربين، ولذلك لا مانع من تهنئتهم بأعيادهم دون أن نشاركهم في الاحتفالات التي لا تقرها شريعتنا، وإذا أردنا أن نُجْمِلَ تعليمات الإسلام في معاملة المخالفين له، في ضوء مَا يَحِلُّ وَمَا يُحَرِّمُ، فحسبنا آيتان من كتاب الله تعالى جديرتان أن تكونا دستورًا جامعًا في هذا الشأن وهما قوله تعالى: {لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ} (الممتحنة: ٨- ٩)، فالآية الأولى لم تُرغب في العدل والإقساط فحسب إلى غير المسلمين الذين لم يقاتلوا المسلمين في الدين، ولم يُخرجوهم من ديارهم، أي: أولئك الذين لا حرب ولا عداوة بينهم وبين

(١) الموسوعة الفقهية الصادرة عن دولة الكويت: (٣/ ٢٥٥).

(٢) صدر عن جبهة علماء الأزهر ٢٥ محرم ١٤٣٢هـ- الموافق ٢١ ديسمبر ٢٠١٠م.

المسلمين، بَلْ رَغَّبَتْ الآية في بَرِّهِمْ والإحسان إليهم والبر كلمةٌ جامعةٌ لكل معاني الخير والتوسع فيه، فهو أمرٌ فوق العدل، وهي الكلمة التي يُعَبِّرُ بها المسلمون عن أوجب الحقوق البشرية عليهم، وذلك هو (بِرُّ ٱلْوَالِدَيْنِ) وإنما قلنا: إن الآية رَغَّبَتْ في ذلك لقوله: (إن الله يحب المقسطين)، ولقول رسول اللهﷺ: (إِنَّ ٱلْمُقْسِطِينَ عِنْد اللَّه يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرِ مِنْ نُورِ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ: الذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكمِهِمْ، وَ أَهْلِيهِم وَ ما وُلُوا)[1].

فالمؤمن يسعى دائماً إلى تحقيق ما يحبه الله، ولا ينفي معنى الترغيب والطلب في الآية أنها جاءت بلفظ (لا ينهاكم الله) فهذا التعبير قَصِدَ به نفي ما كان عالقًا بالأذهان، وما يزال، أي: أن المخالف في الدين لا يستحق بِرًّا، ولا قسطًا، ولا مودةً، ولا حسنُ عشرةٍ، فبين الله تعالى أنه لا ينهى المؤمنين عن ذلك مع كل المخالفين لهم، بل المحاربين لهم، العادِّين عليهم.

نَظْرَةٌ خَلصَّةٌ لِأَهْلِ الْكِتَابْ:

وإذا كان الإسلام لا ينهى عن البر والإقساط إلى مخالفيه من أي دين، ولو كانوا وثنيين مشركين، كمشركي العرب الذين نزلت في شانهم الآيتان السابقتان، فإن الإسلام ينظر نظرةً خاصةً لأهل الكتاب من اليهود والنصارى سواء أكانوا في دار الإسلام، أم خارجها، فالقرآن لا يناديهم إلا بـ (يا أهل الكتاب) و(يا أيها الذين أوتوا الكتاب) يشير بهذا إلى أنهم في الأصل أهل دينٍ سماويٍّ، فبينهم وبين المسلمين رَحِمٌ وَقُرْبَى، تتمثل في أصول الدين الواحد الذي بعث الله به أنبياؤه جميعاً: {شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ}

(١) الحديث صحيح: رواه أحمد، ومسلم، والنسائي من حديث ابن عمرو، ومختصر مسلم برقم: (١٢٠٧)، وصحيح الجامع برقم: (١٩٥٣).

(الشورى: ١٣) والمسلمون مطالبون بالإيمان بكتب الله قاطبةً، ورسل الله جميعاً، ولا يتحقق إيمانهم إلا بهذا: {قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ} (البقرة: ١٣٦)، وأهل الكتاب إذا قرؤوا القرآن يجدون الثناء على كتبهم ورسلهم وأنبيائهم، وإذا جادل المسلمون أهل الكتاب فليجتنبوا المراء الذي يُوغِرُ الصدور، ويثير العداوات: {وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ} (العنكبوت: ٤٦)، وقد رأينا كيف أباح الإسلام مؤاكلة أهل الكتاب، وتناول ذبائحهم، كما أباح مصاهرتهم والتزوج من نسائهم مع ما في الزواج من سكن وَمَوَدَّةٍ وَرَحْمَةٍ، وفي هذا قال تعالى: {وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ} (المائدة: ٥) هذا في أهل الكتاب عَامَّةً، أما النصارى منهم خَاصَّةً، فقد وضعهم القرآن مَوْضِعاً قريبًا من المسلمين، فقال: {وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} (المائدة: ٨٢).

أَهْلُ الذِّمَّةِ

هذه الوصايا تشمل جميع أهل الكتاب حيث كانوا، غير أن المقيمين في ظل دولة الإسلام منهم لهم وضعٌ خاصٌ، وهم الذين يُسمون في اصطلاح المسلمين "بأهل الذمة"، وَ الذِّمَّةُ معناها: الْعَهْدُ، وهي كلمة تُوحي بأن لهم عهد الله ورسوله، وعهد جماعة المسلمين أن يعيشوا في ظل الإسلام آمنين مطمئنين، وهؤلاء بالتعبير الحديث" مواطنون" في الدولة الإسلامية، وأجمع المسلمون منذ العصر الأول إلى اليوم أن لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم، إلا ما هو من شؤون الدين والعقيدة،

فإن الإسلام يتركهم وما يدينون، وقد شَدَّدَ النبيﷺ الوصية بأهل الذمة وَتَوَعَّدَ لكل مُخَالِف لهذه الوصايا بسخط الله وعذابه، فجاء في أحاديثه الكريمة أنه قال: (مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوْ انْتَقَصَهُ حَقًّا، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ)[1].

وقد جرى خلفاء الرسولﷺ على رعاية الحقوق والحرمات لهؤلاء المواطنين من غير المسلمين، وأكد فقهاء الإسلام على اختلاف مذاهبهم هذه الحقوق والحرمات، فقال الفقيه المالكي "شهاب الدين القرافي": (إن عقدَ الذِّمَّةِ يُوجب حُقُوقًا علينا؛ لأنهم في جِوارِنا وفي خِفَارَتِنَا وَذِمَّتِنا، وَذِمَّةِ الله تعالى، وذمة رسولهﷺ، ودين الإسلام، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوءٍ، أو غيبةٍ في عِرْضِ أحدهم، أو أيِّ نوعٍ من أنواع الأذيةِ، أو أعان على ذلك، فقد ضيع ذمة الله، وذمة رسولهﷺ، وذمة دين الإسلام)

وقال "ابن حزم" الفقيه الظاهري: (إن من كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه، وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح، ونموت دون ذلك صَوْناً لمن هو في ذمة الله تعالى، وذمة رسولهﷺ، فإن تسليمه دون ذلك إهمالٌ لعقد الذمة)

موالاةُ غير المسلمين ومعناها:

ولعل سؤالاً يجول في بعض الخواطر، أو يتردد على بعض الأسئلة وهو: كيف يتحقق البرَّ والمودة، وحسن العشرة مع غير المسلمين، والقرآن نفسه ينهى عن موادة الكفار واتخاذهم أولياء وحلفاء في مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ

(١) الحديث صحيح: أورده الألباني في صحيح أبي داود برقم: (٢٧٦٠)، وغاية المرام برقم: (٤٧١)، وأحمد: (١٩٨٦٤).

أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ } (المائدة: ٥١- ٥٢).؟

الجواب: إن هذه الآيات ليست على إطلاقها، ولا تشمل كل يهوديٍّ، أو نصرانيٍّ، أو كافرٍ ولو فهمت هكذا لناقضت الآيات والنصوص الأخرى، التي شرعت مَوَادَّةَ أهل الخير والمعروف من أيِّ دينٍ كانوا، والتي أباحت مُصاهرة أهل الكتاب، واتخاذ زوجه كتابية مع قوله تعالى في الزوجية وآثارها كقوله تعالى: {وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً} (الروم: ٢١)، وقال تعالى في النصارى: {وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ} (المائدة: ٨٢).

إنما جاءت تلك الآيات في قوم مُعادين للإسلام، مُحاربين للمسلمين، فلا يحل للمسلم حينذاك مناصرتهم ومُظاهرتهم للمسلمين، وهو معنى الموالاة، واتخاذهم بطانة يُفْضِي إليهم بالأسرار، وحلفاء يتقرب إليهم على حساب جماعته وملته: وقد وضحت ذلك آيات أُخَرْ، كقوله تعالى: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ} (آل عمران: ١١٨-١١٩)

هاتين الآيتين تبين لنا صفات هؤلاء، وأنهم يُكِنُّونَ العداوة والكراهية للمسلمين في قلوبهم، وقد فاضت آثارها على ألسنتهم، قال تعالى: {لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ} (المجادلة: ٢٢)

وَمَحَادَّةَ الله ورسوله ليست مجرد الكفر، وإنما هي مناصبة العداء للإسلام والمسلمين، وقال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ} (الممتحنة: ١) فهذه الآية نزلت فيَ مُوَالاَةِ مُشركي مكة الذين حاربوا الله ورسوله، وأخرجوا المسلمين من ديارهم بغير حق إلى أن يقولوا: رَبُّنَا الله، فمثل هؤلاء هم الذين لا تجوز موالاتهم بحال، ومع هذا فالقرآن لم يقطع الرجاء في مصافاة هؤلاء، ولم يُعلِ اليأس الباتَّ منهم، بل أطمع المؤمنين في تغير الأحوال وصفاء النفوس، فقال في السورة نفسها: {عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (الممتحنة: ٧) وهذا التنبية من القرآن كفيل ان يكفكف من حَدَّة الخصومة وصرامة العداوة، كما جاء في الحديث: (أَبْغِضْ عَدُوَّكَ هَوْناً مَا، عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْماً مَا)(١).

وتتأكد حرمة الموالاة للأعداء إذا كانوا أقوياء، يرجون ويخشون، فيسعى إلى موالاتهم المنافقون ومرضى القلوب يتخذون عندهم يدًا، يرجون أن تنفعهم غَدًا، كما قال تعالى: {فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ} (المائدة: ٥٢) {بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} (النساء: ١٣٨ - ١٣٩)

- (اسْتِعَانَةُ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ الْمُسْلِمِ)

(١) رواه الترمذي، والبيهقي من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- وجاء في تخريج الحلال والحرام "غاية المرام" برقم: (٤٧٢).

لا بأس أن يستعين المسلمون - حُكَّامًا وَرَعَّيةً- بغير المسلمين في الأمور الفنية التي لا تتنصل بالدين من طب وصناعةٍ وزراعةٍ وغيرها، وإن كان الأجدر بالمسلمين أن يكتفوا في كل ذلك اكتفاءً ذاتياً، وقد رأينا في السيرة النبوية كيف استأجر رسول الله ﷺ "عبد الله بن أُرَيْقِطْ" وهو مشرك ليكون دليلاً له في الهجرة، قال العلماء: (ولا يلزم من كونه كافرًا أَلاَّ يُوثَقُ به في شيءٍ أصلاً، فإنه لا شيء أخطر من الدلالة في الطريق وَلاَ سِيَّمَا في مثل طريق الهجرة إلى المدينة، وأكثر من هذا أنهم جَوَّزُوا لإمام المسلمين أن يستعين بغير المسلمين، بخاصة أهل الكتاب في الشؤون الحربية، وأن يُسْهِمَ لهم من الغنائم كالمسلمين، روى الزهري أن رسول الله ﷺ استعان بناسٍ من اليهود في حربه فأسهم لهم، وأن "صفوان بن أمية" خرج مع النبي ﷺ في "غزوة حنين" وكان لا يزال على شركه، ويُشترط أن يكون من يُستعان به حسن الرأي في المسلمين، فإن كان غير مأمون عليهم لم تُجزْ الاستعانة به، لأننا إذا منعنا الاستعانة بمن لا يُؤمن من المسلمين مثل المختل والمرجف فالكافر أَوْلَى، ويجوز للمسلم أن يهدى إلى غير المسلم، وأن يقبل الهدية منه، ويكافئ عليها، كما ثبت أن النبي ﷺ أهدى إليه الملوك-فقبل منهم، وكانوا غير مسلمين، فعن أم سلمة زوج النبي ﷺ أن قالت" (إِنِّي قَدْ أُهْدِيتُ مِنَ النَّجَاشِي حُلَّةٌ وَأَوَاقِيَ منْ حَرِيرٍ)

إن الإسلام يحترمُ الإنسان من حيث هو إنسان، فكيف إذا كان من أهل الكتاب؟ وكيف إذا كان مُعَاهِدًا، أوْذِمِّيًّا؟.!!

ثم يختم الشيخ مقولته، فيقول في تهنئة اليهود والنصارى في أعيادهم: (هذه حقوقٌ مشتركةٌ، فإذا كان الكتابي يأتي ويهنئك وَيُعَيِّدُ عليك في عيدك، ويُشارك في أتراحك ومصيبتك فيعزيك بها، فما المانع من أن تهنئه بعيده، وفي أفراحه وتعزيته في مصيبته؟ حيث قال تعالى: (وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ) (النساء: ٨٦)،

وهذا من البِّر واالقسط الذي جاء به هذا الدين)[1].

أَحْسِنْ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمُ ... فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانُ إِحْسَانُ

وَرَافِقِ الرِّفْقَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ فَنَمْ ... يَنْدَمْ رَفِيقٌ وَلَمْ يَذْمُمْهُ إِنْسَانُ

وَلَا يَغُرَّنَّكَ حَظٌّ جَرَّهُ خَرَقٌ ... فَالْخُرْقُ هَدْمٌ وَرِفْقُ الْمَرْءِ بُنْيَانُ

أَحْسِنْ إِذَا كَانَ إِمْكَانٌ وَمَقْدِرَةٌ ... فَلَنْ يَدُومَ عَلَى الْإِحْسَانِ إِمْكَانُ

فَالرَّوْضُ يَزْدَانُ بِالْأَنْوَارِ فَاغِمَةً ... وَالْحُرُّ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ يَزْدَانُ

(1) http://www.isomononline.net/serlet/..112528601788

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: مِصْرُ الْآمِنَةُ

مصر الآمنة والمحروسة إلى قيام الساعة، لأنها أرض الخيرات، فهى جنة الله فى أرضه، وهى الكنانة، وهى أرض الأنبياء والمرسلين، والعلماء الربانيين.

* أما عن أنها أرض الخيرات، لأنها بلاد كريمة التربة، تأوى بخيراتها النفوس التى تحمل هوية الغربة، فعلى أرضها يسرى نهر من أنهار الجنة، حيث قال رسول الله ﷺ: (النِّيلُ وَالْفُرَاتُ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ).

وفى حديث الإسراء: فى ذكر سدرة المنتهى قال رسول الله ﷺ: (وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ، نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ: فَنَهْرَانِ فِى الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ: فَالنِّيلُ والْفُرَاتُ)[1].

وروى مسلم عن أبى هريرة - رضي الله عنه - عن أنهار الجنة، فقال: قال رسول الله ﷺ: (سَيْحَانُ، وَجَيْحَانُ، وَالْفُرَاتُ وَالنِّيلُ؛ كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ)[2].

وروى الحافظ الضياء، عن ابن عباس، عن النبى ﷺ أنه قال: (أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْجَنَّةِ خَمْسَةَ أَنْهَارٍ: سَيْحُونَ، وَهُوَ نَهْرُ الْهِنْدِ، وَدِجْلَةَ وَالْفُرَاتِ وَهُمَا نَهْرَا الْعِرَاقِ، وَالنِّيلُ وَهُوَ نَهْرُ مِصْرَ، أَنْزَلَهَا اللهُ تَعَالَى مِنْ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ، مِنْ عُيُونِ الْجَنَّةِ، مِنْ أَسْفَلِ دَرَجَةٍ مِنْ دَرَجَاتِهَا، عَلَى جَنَاحَىْ جِبْرِيلَ، فَاسْتَوْدَعَهَا الْجِبَالَ، وَأَجْرَاهَا فِى الْأَرْضِ، وَجَعَلَ فِيهَا مَنَافِعَ لِلنَّاسِ، مِنْ أَصْنَافِ مَعَايِشِهِمْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ (المؤمنون: ١٨)

---

(١) الحديث صحيح: رُوِىَ عن قتادة، عن أنس بن مالك - رضي الله عنهما -، أخرجه الإمام أحمد فى مسنده برقم: (٤/ ٢٠٨)، والبخارى: (٣٢٠٧)، ومسلم: (١٦٤).

(٢) الحديث صحيح: رواه مسلم عن أبى هريرة - رضي الله عنه -، وأورده الألبانى فى الصحيحة برقم (١١٠)، ومختصر مسلم برقم: (١٩٦٨)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (٣٦٥٢).

يسوق الله الماء من بلادٍ أُخرى، إلى أرض مِصْرَ، وهو ماء النيل، ومعهُ طينٌ أحمرٌ يجترفهُ من بلادِ الحبشةِ فى زمانِ أمطارها، فيأتى الماءُ يحملُ طِينًا أَحْمَرَ، فيسقى أرض مِصْرَ، وَيَقِرُّ الطينُ على أرضهم ليزرعوا فيه؛ لأن أرضهم سباخٌ يَغْلِبَ عليها الرَّمَالُ، فسبحان اللطيفُ الخبيرُ الرحيمُ الغفورُ، وقوله: ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أى: جعلنا الماء إذا نزل من السحاب يَخْلُدُ فى الأرض، وجعلنا فى الأرض قَابِلِيَّةً لَهُ، وَتَشْرَبَهُ وَيَتَغَذَّى به ما فيها من الْحَبِّ وَالنَّوَى، وأما تكملة الآية فى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ أى: لو شئنا أن لا تُمْطِرَ لَفَعَلْنَا، وَلَوْ شِئْنَا لجعلناهُ أُجَاجًا لاَ يُنْتَفَعُ به لِشُرْبٍ وَلاَ لِسَقْىٍ لَفَعَلْنَا، ولو شئنا لجعلناهُ لا ينزلُ فى الأرض، بل يَنْجَرُّ على وجهها لفعلنا، ولو شئنا لجعلناهُ إذا نزل فيها يَغُورُ إلى مَدًى لا تصلونَ إليه ولا ينتفعونَ به لَفَعَلْنَا، ولكن بلطفه ورحمته يُنْزِلُ عليكمُ الماءَ من السحابِ عَذْبًا فُرَاتًا زُلَالاً، فَيُسْكِنَهُ فى الأرضِ، وَيَسْلُكَهُ يَنَابِيعَ فِى الأرضِ، فَيُفَتَّحُ العيونَ والأنهارَ، ويسقى به الزروعَ والثمارَ، وتشربونَ منه وَدَوَابُّكُمْ وَأَنْعَامُكُمْ، وتغتسلون منه، وتطهرونَ منه وتتنظفونَ، فلهُ الحمدُ والْمِنَّةُ[1].

إذن لم يَعِشْ على أرضها نَفْسٌ مَنْفُوسَةٌ، إلا وصفتها، بأنها جَنَّةُ اللهِ فى أرضه، لأن بها الخير الوفير، فعلى أرضها تتوفر المحصولاتُ، وفى باطنها تَتَجَمَّعُ الخيراتُ، وفى أجوائها تتلاقى أفئدة الأحبة من النفوس الطيبة الطاهرات، حيث قال تبارك وتعالى عنها بعدما طُهرت مصر من فرعون وبطانته الفاسدة: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ۝٢٧﴾ (الدخان: ٢٥-٢٧) أى: تركوا هؤلاء الطُّغَاةُ بعد إهلاكهم بساتين، وعيون ماء يسقى منها وَيَتَنَعَّمُ بالنظرِ إليها، وفى هذا نوعٌ من التَّفَكُّهِ والتَّنَزُّهِ، وزروع قائمة فى مزارعهم لِلتَّقَوُّتِ منها، ومحافل مزينة، ومنازل مزخرفة، والتنعم بالنساء والأموال والحشم، وما لا يُحصى من النعيم، وكل ذلك على أرض مصر، وبشهادة الله تعالى، بأن مصر هى خزائن الأرض، كما قال يوسف عليه السلام: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ (يوسف: ٥٥). أى: إنى

(١) صحيح تفسير ابن كثير: (٣/ ٢٣٠-٢٣١).

أحفظها من الضياع، فلا يختلس فيها مختلس، ولا تضيع فيها الأمانات، ولا ينفق منها إلا فى موضعه، ولا يبذر فيها، وَلاَ يُقَتِّدُ فى مواطن الإنفاق، وعليمٌ بما يصلح وما لا يصلح، وبوجوه الحاجة، وبوجوه الإسراف، فلا يخرج مال إلا بحقه، ولا يجمع إلا بحقه، وقوله: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ فيه طلب جعله وَالِيًا على أموال الدولة والأرض، المراد بها أرض مصر، فصارت أخصب المناطق فى عصره[1].

وقد روى الكاتبون فى قصص الأنبياء أنه صار وزير الملك، وجعل على خزائن الأرض فأقام العدل، والعدل ذاته فيه نماء، واجتهد فى تنمية الثروة المصرية، فأكثر من الزراعات، وضبط الثمرات والغلات وادَّخر لسنى الجدب على النحو الذى شرعه فى تفسير الرؤيا، ولما جاء الجدب، وكان يعلم ذلك بتعليم الله، عَمَّ القحط مصر، وتوجه الناس إليه فباعها بالدراهم والدنانير أولا، ثم باعوا حليهم وجواهرهم ثانيا، ثم باعوا أنفسهم ثالثا، ولكن نبى الله أعتقهم بتفويض من الملك، فكما أن (يوسف) كان رفيقًا بأهل مصر، كان رفيقًا أيضًا بإخوته وأبيه، فلم يُؤخر عنهم الميرة، بل عَجَّلَهَا لهم، وإن أوهمهم أنه يؤجلها حتى يعودوا إليه مع أخيه.[2]

وأما قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ۝٢٠﴾ (المؤمنون: ٢٠)

وشجرة تخرج مباركةً فى طور سيناء، والطور هو جبل الطور، والمراد كل سيناء، وعُرفت بأكرم مكان فيها؛ لأن فيها تجلى الله على موسى كليمه، وهى أرضٌ مقدسةٌ من الأراضى التى شَرَّفَهَا الله تعالى بتقديسه، وقد أقسم الله تعالى بها، فقد قال عزّ من قائل: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ (التين: ١-٣).

فقرنها فى القسم بالبلد الأمين بيت الله الحرام، وكان ذكرها لتوجيه الأنظار إليها وعدم تركها، وذكر طور سيناء منسوبة إليها شجرة الزيتون، لتوجيه عقول المسلمين إليها، إذ

(١) زهرة التفاسير: للشيخ محمد أبو زهرة، عدد (٤٩) ص: (٣٨٣٥).

(٢) المصدر السابق: ص: (٣٨٣٦-٣٨٣٧).

الزيتون شجرته فى كثير من أرض الله تعالى، وقد وصف الله تعالى شجرة الزيتون بقوله: ﴿ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ﴾، أى: تنبت هذه الشجرة المباركة مصاحبة للدهن، أى تنبت وقد أودعها الله تعالى الدهن، وإن الدى ينبت هو أخشاب الشجرة، ولكن لأن الدهن خلقه الله تعالى فيها، وتفيض به جعلت كأنها أنبتت الدهن ذاته، أو أن الدهن نبت من أخشابها، والدهن هو الزيت، وإن فيه شفاء للناس، وقد وصف الله تعالى شجرته بأنها مباركة، فقال- تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ ﴾ (النور: ٣٥)، والصبغ هو إدام الطعام، وإنه يُؤخذ من زيتون الشجرة إذا لم يُعصر زيته إدامٌ للطعام، يسهل تناوله [1].

ومما له صلةٌ بالموضوع يُضيف انداعية السعودى (محمد بن عبدالرحمن العريفى) فى خطبة الجمعة من فوق منبر مسجد البواردى بالرياض قائلاً: (إذا ذكرت المصريين، ذكرت الكعبة والبيت الحرام، فإن (عمر) - رضي الله عنه - أرسل إلى عامله فى مصر أن يصنع كسوة الكعبة المشرفة، فصنعت الكسوة من عهد (عمر) رضي الله عنه، وظلت كسوة الكعبة تصنع هناك فى مصر سنة بعد سنة حتى مرت أكثر من ألف سنة وكسوة الكعبة ترسل من مصر إلى مكة ولم يتوقف ذلك إلى قرابة المئة سنة، وأضيف قائلاً: إن فى أرض الحرم المكى كانت توجد (التكية المصرية) والتى أصبحت ملجأً وملاذًا لكل من يدخلها من طعام وشرابٍ ومبيتٍ وخدمةٍ، إلى عهد قريب حين تنازل عنها (مبارك) ثم يضيف الشيخ (العريفى) قائلاً: قال: (عمر بن العاص) - رضي الله عنه -: (ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة.. يعنى: أن كل بلاد الإسلام فى كفة؛ وأن الذى يولى على مصر، فإنه يكون قد أخذ الكفة الأخرى، وقال (سعيد بن هلال): إن مصر أم البلاد، وَغَوْثُ العباد، وإن مصر مصورة فى كتب الإيواء، أى: تأوى كل من يلوذ بها، أو يلجأ إليها، فقد مُدَّتْ يدها لكافة البلدان تستطعمها، وتفيض عليها بخيراتها، وقال (الجاحظ): إن أهل مصر يستغنون بما فيها من خيراتٍ عن كل بلدٍ، حتى لو ضُرِبَ بينها وبين

(١) المصدر السابق، عدد (٦٤) ص: (٥٠٦٠).

بلاد الدنيا بِسُورٍ ما ضرهم) [1].

أما عن القول، بأن مصر كنانة الله فى أرضه، لأن بها شعبٌ، فطنٌ زكىٌّ، هذا الشعب هو الذى أبَا أن تُقسمهُ (جماعة الإخوان)، هذا الشعب هو الذى تصدى للفتنة، هذا الشعب هو الذى أخذ عهدًا على نفسه أن يُحارب الكذب والكذابين، هذا الشعب بطبيعته السمحة، وطيبته المعتادة قد حارب شياطين القوى العالمية، فأخمد إشعال نار الحرب الأهلية التى أوشكت أن تحدث فى مصر، فتصدى لها بثورة ٣٠ يونيو ونزول الشعب فُرَادًا وجماعات حتى امتلأت شوارع وميادين المعمورة بأكثر من ٣٣ مليون حتى تحدث عن ذلك اليوم العدو قبل الصديق، ولذلك فإن مصر آمنة بشعبها، وجيشها، وقداسة أرضها، ألم يقسم الله بقداسة أرضها حيث قرنها فى القسم بالبلد الأمين بيت الله الحرام، فقال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ (التين: ٣)، ألم يَتَجَلَّ الله تعالى على (سيدنا موسى) على جبل الطور فى سيناء، حيث قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ (الأعراف: ١٤٣) فلم يتجلى الله على أىِّ أرضٍ من أراضى القاراتِ السِّتِّ إلا على أرض مصر، وعلى جبل الطور فى سيناء، ولذلك فإن مصر ستظل آمنة إلى قيام الساعة، ليست بقدلسة المكان فقط، ولكن بجينات هذا الشعب الذى يتجلى معدنه فى الشدائد ويرفض التقسيم وَالفُرْقَةُ، لأنه اعتاد على الحب الجمعى لبلده، لذا تجد الأفئدة جميعًا تجتمع على هدفٍ واحدٍ وكأنهما اتفقا على ذلك، فمن أجل ذلك ستظل مصر آمنة، كما جاء على لسان (يوسف) عليه السلام فى كتابه تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ (يوسف: ٩٩) فدخول مصر مُنْصَبٌّ على الأمن، أى ادخلوا حال كونكم آمنين بمشيئة الله من الخوف والقحط والشدة، أو أن سيدنا يوسف استقبل قبيله شوقًا ورغبةً فى اللقاء خارج الأمصار، ثم قال ﴿ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ مطمئنين تجدون سهلاً وأهلاً وعزةً وكرامةً [2].

فهذا الأمن الذى جعله الله فى مصر بسبب بركة بعض أماكنها، وصمود شعبها على

(١) جريدة كفر الشيخ – ربيع الأول ١٤٣٤ هـ - فبراير ٢٠١٣ م – العدد (٢٤٦) – السنة الثامنة عشر ص: (٩).
(٢) زهرة التفاسير الشيخ محمد أبو زهرة – عدد (٤٩) ص: (٣٨٦١).

تطهير تلك الأماكن، فلذلك أُطلق عليها: (مِصْرُ كِنَانَةُ اللهِ فِى أَرْضِهْ)، ومعنى (كنانة) أى: جعبة السهام، وترمز أيضًا: إلى القوة والاستعداد، لأنها بلد الرجال، والأبطال، وأرضها أرض البطولات والتضحيات، فهى فى رباطٍ إلى يوم القيامة، لأن بها جيش بحق يُسمى (مدرسة الوطنية الأولى)، قال الشيخ (العريفى) عن ذلك، لا ننسى فى مصر رباط (الإسكندرية) الذى رابط فيه العلماء، والزهاد، والمجاهدين، والأبطال، والشجعان، وقال (أبو الزياد صاحب أبو هريرة): (خير سواحلكم رباط الإسكندرية) وقال (سفيان): (يا مصرى أين تسكن؟ قال: الفسطاط، قال لتأتى الإسكندرية، فإنها كنانة الله التى يجعل فيها خير سهامه) [1].

وذلك مصداقًا للمقولة الشهيرة: (إن خير الأجناد، جند مصر، فهم فى رباط إلى يوم القيامة)، وهؤلاء الأجناد هم (جيش مصر) الذين أتوا من نسيج الشعب كله، فأصبحت السماحة منهجًا لهذا الجيش إلى أن يَثْبُتَ أن السماحةَ يُقَابِلُهَا فِعْلُ اللِّئَام، فينقلبُ هذا الحملُ الوديعُ، إلى أسدٍ جسورٍ يزودُ عن عرينه، لأنه لم يكن يومًا من الأيام عُدوانيًا، أو ظَالِمًا، أو مُغتصبًا لحقوق الآخرين، ولكنه ظل دائمًا على مدى ما قبل الميلاد إلى قِيام الساعة دَاعِمًا للسلام العادِل، والقيم الإسلامية النبيلة فى أوقات السلم والحرب على السواء.

(انتصارات جيش مصر منذ عهد مينا)

الجيشُ المصرىُّ هو أقدمُ جيشٍ نظامىٌّ ثابتٍ فى العالم، بدأ أول حروبه المجيدة من أجل توحيد مصر على يد الملك (مينا) عام ٣٤٢٥ قبل الميلاد، وعلى مدى هذا التاريخ الطويل، اتصف الجيش المصرى بالعديد من الصفات التى ميزته عن أى جيش آخر فى العالم، وفى مقدمتها أنه لم يكن أبدًا جيش عدوانٍ، أو احتلا لٍ، أو اغتصابٍ لأرضٍ، أو حقوقِ الغيرِ، بل كان دائمًا قوةً من أجل دعم السلام وفرضه إذا تَطَلَّبَ الأمر، كما كان الجيش المصرى طوال تاريخه مدرسة للقيم الإنسانية النبيلة فى أوقات السلم والحرب على السواء، وعلى مدى تاريخه الطويل، فقد سجل جيش

(١) جريدة كفر الشيخ – ربيع الأول ١٤٣٤ هـ - فبراير ٢٠١٣م – العدد (٢٤٦) السنة الثالثة عشر.

مصر انتصاراتٍ عظيمةٍ فى المعارك الحاسمة التى خاضها والتى أُتيحت لرجاله فرصة القتال والمواجهة.

(حَرْبُ التَّوْحِيدِ)

قبل ثمانية آلاف عام تم توحيد المقاطعات المصرية فى مملكتين: (مملكة الوجه البحرى، ومملكة الوجه القبلى)، وأصبح لكل منهما جيشٌ منظمٌ، وظل هذا الأمرُ حتى عام ٣٤٢٥ قبل الميلاد عندما تم توحيد مصر نهائيًا على يد الملك (مينا)، وفى بداية الأسرة الثالثة تعرضت مصر لغارات من البدو على حدودها، فسارع الملك (زوسر) بوضع اللبنات الأولى فى بناءِ جيشٍ موحدٍ ثابتٍ لِمِصْرَ، وقد شهد تنظيم وتسليح هذا الجيش تطورات عديدة فى عصور الدولة القديمة والدولة الوسطى، أما التطور الكبير فى تنظيم الجيش المصرى فقد حدث فى عهد الدولة الحديثة (١٥٥٢-٨٥ ق.م) وعلى مدى هذه القرون خاض الجيش المصرى معارك كُبرى... معارك تحرير واستقلال وقمع للأعداء والطامعين، وفى عصر الدولة الوسطى تكالبت على مصر الهجرات العنصرية... خاصة من قِبَلِ الجماعات الآسيوية التى عُرفت بالهكسوس الذين أمكنهم الاستيلاء على السلطة لأول مرة فى تاريخ مصر، وظل هؤلاء الغزاة يحكمون مصر قرابة قرن ونصف القرن من الزمان، وقد وقع عبء تحرير مصر من هذا الوجود الأجنبى على عاتق الأسرة (١٧)، وتجلت فى هذه الحروب آيات البطولة والشجاعة من الحكام والمقاتلين، وشاركت بعض الملكات المصريات فى تلك الحروب مثل الملكة (آياح حتب) التى ساندت زوجها (سفنن رع الابن) فى كفاحه ضد الهكسوس حتى سُقط كأولِ شهيدٍ فى سبيل مصر، فاستكمل ابنه (أحمس الأول) تحرير أرض مصر، وَيُعَدُّ (أحمس الأول) بطل استقلال مصر فى العهد القديم وطارد الهكسوس من وادى النيل.

(معركة مجدو)

فى عام ١٤٦٨ ق.م تُوفيت ملكة مصر (حتشبسوت) وخلفها فى الحكم (تحتمس الثالث) فحكم مصر ٣٢ عامًا، قد خلالها (١٦) حملة عسكرية لتوطيد سلطان مصر ونفوذها فى كل أنحاء المعمورة آنذاك، ولم يعرف جيش مصر خلال حكمه طعم الهزيمة، ويُعتبر (تحتمس الثالث) من أعظم ملوك مصر القديمة وأقدر قوادها العسكريين والسياسيين، ومن أشهر المعارك التى ارتبط بها اسمه معركة (مجدو)، كانت مجدو تل المسلم) حاليًا شمال شرق (الكرمة شمال فلسطين) - منطقة ذات موقع استراتيجى، فتحرك إليها الجيش المصرى بقيادة (تحتمس الثالث) حتى انقض على أعدائه عام ١٤٦٨ ق.م واختار تحتمس الهجوم عبر ممر (مجدو) مما كان مفاجأة كُبرى لأعدائه، فاختل نظامهم وتفرقت صفوفهم، فحسم جيش مصر المعركة فى ساعات.

(معركة قادش)

(رمسيس الثانى) هو أشهر ملوك مصر على الإطلاق، ومؤسس الإمبراطورية الثانية فى مصر القديمة، ومن أعظم معارك رمسيس الثانى معركة قادش، وقد استهدفت مصر خلال هذه المعركة القضاء على تحالف الآسيويين المتربصين بأمن مصر، ووضع (رمسيس الثانى) هدفًا لجيشه، هو ضرب تجمعات الأعداء المتجمعين عند مدينة (قادش السورية) ذات الموقع الاستراتيجى، وفى بداية المعركة فى عام (١٨٢٥ ق.م) تعرض (رمسيس) لخدعةٍ من أعدائه، وفى هذا الوقت العصيب برزت مهارات (رمسيس الثانى) وكفاءته العسكرية، وأخرج جيشه من هذا المأزق، وَحَوَّلَ الهزيمة المنتظرة إلى نصرٍ مُظَفَّرٍ، وأسرع الملوك الخاتيين بتقديم فروض الولاء لفرعون مصر الذى قَبِلَ عرض الصداقة، (وتم توقيع أول معاهدة سلام فى التاريخ عام (١٢٧٠)

بين جيش مصر المنتصر، وبين ملوك الخاتيين)، لقد كانت (معركة قادش) ملحمةٌ من الشجاعةِ والصمودِ، وبطولةٌ عظيمةٌ للجيشِ المصرىِّ بكل المعاييرِ والمقاييسِ العسكريةِ.

(انتصار حطين)

منذ أن دخلت (مصر الإسلام)، أصبحت حصن المسلمين وقلعتهم، وأصبح جيش مصر دِرْعُ وَسَيْفُ الأمةِ الإسلاميةِ، وحقق لها النصر فى معارك كُبرى سجلها التاريخ فى حطين وغيرها، وَتُعَدُّ معركة حطين موقعة حاسمة فى تاريخ الشرق، بل والغرب أيضًا، فكانت هى المعركةُ الفاصلةُ بين الجيوش الإسلامية، وجيوش الصليبيين، ففى عام ١١٨٧ قاد (صلاح الدين الأيوبى) جيوشه فى اتجاه بحيرة طبرية، ونشبت المعركة العنيفة واستطاع (صلاح الدين) على رأس فرقة القلب من جيشه دحر محاولات الصليبيين اختراق جيشه والوصول إلى (طبرية)، وهكذا كان النصر العظيم فى حطين بمثابة بداية النهاية للوجود الصليبى فى الأراضى المقدسة فى فلسطين، وليعود بيت المقدس إلى أيدى المسلمين.

(معركة المنصورة)

بعد هزيمة وطرد الصليبيين من الشرق عادوا بحملة أخرى بعد نحو نصف قرن، وهى حملة قادها الملك (لويس التاسع) ملك فرنسا، واستهدف خلالها غزو مصر والاستيلاء عليها، واستغلت الحملة انشغال السلطان الصالح (نجم الدين أيوب) بإخماد بعض الاضطرابات بالشام، وجاء الأسطول الفرنسى بَحْرًا عام ١٢٤٨م مكونًا من ١٨٠٠ سفينة، تحمل ٨٠ ألف مقاتلاً بمؤنهم ومعداتهم، وفجأة مات (السلطان الصالح نجم الدين) فى نوفمبر ١٢٤٩م، وبدأ دهاء زوجته الملكة (شجرة الدر) التى أدارت البلاد والمعركة دون أن تُعلن وفاة السلطان، وبدأ المصريون يهاجمون حصون

الفرنجة، وأصابوهم بخسائر فادحة مما دفعهم إلى اتخاذ قرارٍ بالهجوم الخاطف والدخول فى معركةٍ فاصلةٍ واندفع جيش الصليبيين لاقتحام المنصورة حيث وجهوا بأروع معارك، التحم فيها المقاتلون مع أفراد الشعب وأنزلوا بالفرنجة أبلغ الخسائر.

(سحق التتار فى عين جالوت)

(جانكيز خان) طاغية وُلِدَ فى (الصين)، قتل منها الآلاف فى مذابح وحشية، وفتوحات قتالية، فبسط سلطانه فى فترةٍ وجيزةٍ من حدود الصين إلى قلب أوروبا وعواصم الشام، وبعد وفاة (جانكيز خان)، تولى الحكم حفيده (مكوفان) الذى استدعى أخيه (هولا كوخان) وكلفه بإخضاع بلاد المسلمين حتى أقصى بلاد مصر، وبالفعل اجتاح التتار (إيران، ثم بغداد، ودخل غزة، وبالتالى وصلوا إلى مشارف مصر) التى كان يتولى عرشها (سيف الدين قطز) الذى وصله إنذار من (هولاكوا)، فقبل قطز التحدى، وكان الجواب على رسالة (هولاكو) هو: القتال، ولا شىء غير القتال، وكان هذا القرار مُتفقًا عليه من الجميع قبل وصول وفد هولاكو، وقبل وصول رسالته إلى القاهرة، ولم يكن إعدام الوفد إلا حافزًا جديدًا لقطز وقواته على القتال، دون أن يتركوا الباب مفتوحًا لحل آخر غير القتال، وهذا موقفٌ يُحمد عليه قطز فى مثل تلك الظروف التى كانت تُحيط به، لأنه انتزع آخر أمل من نفوس المترددين والانهزاميين فى احتمال رضوخ قطز إلى مطالب التتار، فقال قطز قولته الحاسمة: (إن الرأى عندى هو أن نتوجه إلى القتال، فإذا ظفرنا فهو المراد، وإلا فلن نكون مسلمين أمام الخلق).

الحشد:

خرج قطز يوم الاثنين الخامس عشر من شعبان سنة ٦٥٨ هـ - ١٢٦٠م بجميع عسكر مصر، ومن انضم إليهم من عساكر الشام، ومن العرب والتركمان، وغيرهم من قلعة الجبل فى القاهرة، يُريد معسكر الصالحية، معسكر مصر الكبير فى شرق الدلتا، وقبل ذلك، وفى

اليوم نفسه، أحضر قطز (رسل هولاكو) وأعدمهم، ليضع قواته المسلحة أمام الأمر الواقع، لا مفر من القتال، ونُودى فى القاهرة، والفسطاط، وسائر أقاليم مصر بالخروج إلى الجهاد، وتقدم قطز إلى جميع الولاة يَحُثُّ الأجناد للخروج إلى القتال، وسار حتى وصل إلى الصالحية، وتكامل حشد قواته، فجمع الأمراء وكلمهم بالرحيل، فأبوا كلهم عليه وامتنعوا عن الرحيل، فقال لهم: (يا أمراء المسلمين، لكم زمان تأكلون أموال بيت المال، وأنتم للغزاة كارهون، وأنا متوجه، فمن اختار الجهاد فليصحبنى، ومن لم يختر ذلك فليرجع إلى بيته، وإن الله مطلع عليه، وخطيئة حريم المسلمين فى رقاب المتأخرين) وتكلم الأمراء الذين اختارهم وحلفهم مؤيدين له فى المسير، فلم يسع البقية غير الموافقة، وعند (عين جالوت) وقعت المعركة الكبرى، واصطف الجيشان فى المواجهة وبعد تكتيكات بارعة من الطرفين حُسِمَتْ شجاعة جيش المصريين وحكمة قادتهم المعركة، وانقشع غُبارها على جثث جيش التتار الذى ذاق طعم الهزيمة لأول مرة.

(جيش مصر فى العصر الحديث)

بعد تولى (محمد على باشا عرش مصر فى بداية القرن التاسع عشر، أعاد بناء جيش مصر فى إطار مشروعه القومى لبناء دولة حديثة قوية فى مصر، وخاض هذا الجيش حروبًا عديدةً أشهرها الحروب التى خاضها ضد تركيا فى الشام والتى أبلى فيها جيش مصر بلاءً رائعًا، وكشف عن بسالة الجندى المصرى وقدرته على استيعاب أحدث الأسلحة وخوض أعنف المعارك، وهكذا هزم جيش مصر القوات التركية فى معركة (الزراعة) فى ١٤ أبريل ١٨٣٢م، ثم معركة (عكا) فى ٢٧ مايو ١٨٣٢م، ثم معركة (حمص) فى ٦ يوليو ١٨٣٢م، ومعركة (بيلان) فى ٣٠ يوليو ١٨٣٢م.

(حروب فى إطار الصراع الإسرائيلى)

وفى القرن الماضى خاض جيش مصر حروب فى إطار الصراع العربى الصهيونى

فى ١٩٤٨م عندما اشترك الجيش المصرى فى حرب فلسطين بعد القرار الذى أصدرته هيئة الأمم المتحدة فى (١٥ محرم ١٣٦٧ هـ - ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م) بتقسيم فلسطين، وإنشاء دولتين؛ أحدهما للعرب، والأخرى لليهود، وكان لهذا القرار أثرٌ خطيرٌ فى مصر، فاجتاح الناسُ شعورٌ بالسخطِ، وانغضبِ، والثورةِ، وفى عام ١٩٥٦م اعتدت كل من فرنسا، وإسرائيل، وبريطانيا على أثر قيام (جمال عبدالناصر)، بتأميم قناة السويس، ونفذت قوات الدول الثلاث الهجوم على مصر فى يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦م، فاحتلت القوات الإنجليزية، والفرنسية مدينة بور سعيد، ولكنها عجزت عن التقدم نحو الإسماعيلية بسبب شدة المقاومة المصرية، وفشل العدوان وكان من أهم أسباب فشله هو شدة المقاومة المصرية والتحام الجيش والشعب ضد العدوان، كما خاض الجيش المصرى حربًا أُخرى مع إسرائيل عام ١٩٦٧م، عندما بدأت إسرائيل تختلق المنازعات وتشن الهجمات الانتقامية ضد الدول العربية المجاورة لها، فأثارت مشكلة بعزمها على تحويل مجرى نهر الأردن، كما اعتدت على سورية فى نوفمبر ١٩٦٦م، وقامت بعدوان آخر فى ٧ أبريل ١٩٦٧م، وهكذا ظلت الأحداث تتوالى وشبح الحرب يخيم على المنطقة، وعندما بدأت إسرائيل إجراءِ تحركاتٍ كثيرةٍ لكل الوحدات المصرية خلال تلك الفترة، ولكن نتيجة لسرعة تعبئة القوات الاحتياطية المصرية لم تكن هذه الوحدات على درجةٍ كافيةٍ فى الاستعداد والتسلح حتى تتمكن من القتال بالكفاءة المطلوبة، مما أدى إلى نكسة ١٩٦٧ م، وتركت هزيمة ٦٧ أثرًا قاسيًا فى نفوس المصريين، ورسمت الحزن على وجوههم، ولكن وسط هذا اليأس انطلقت الإرادة المصرية لتعلن رفضها للهزيمة وتصميمها على إزالة العدوان مهما كانت التضحيات، وبدأت القيادة المصرية تتبع نظام ضبط النفس حتى تُتَاحَ لها فرصة إعادة بناء القوات المسلحة تَسْلِيحاً وتدريبًا وتنظيمًا.

(حرب الاستنزاف)

بدأت مرحلة الاستنزاف ضد القوات الإسرائيلية شرق القناة فى مارس ١٩٦٩م حيث تطورت الاشتباكات وتصاعدت حدتها، كما فرضت قواتنا حرب طويلة الأمد على القوات الإسرائيلية لاستنزاف مواردها وقوتها البشرية بعد ارتفاع معدلات خسائرها، وفى يوم ٨ مارس ١٩٦٩م قصفت المدفعية المصرية قوات العدو على طول المواجهة، واستمر القصف حتى تحطم أكثر من ٨٠٪ من تحصينات وقلاع خط بارليف، وتابعت قواتنا لاستنزاف العدو، فكانت عمليات العبور، والإغارة على العدو شرقًا وغربًا، ليلاً ونهاراً، وبدأت قواتنا البحرية تدخل حلبة الصراع، حيث قامت وحداتنا البحرية يوم ٩ نوفمبر ١٩٦٩ بقصف مواقع العدو فى مناطق (رمانة، وبالوظة) على الساحل الشمالى بسيناء، كما قامت الضفادع البشرية بهجوم جرئ على ميناء إيلات الإسرائيلى يوم ١٦ نوفمبر ١٩٦٩، وتمكنت من إغراق (٣) قطع بحرية للعدو، وخلال يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٦٩ قامت قواتنا بإغارة على المنطقة القوية المعادية (١٤٦) للمرة الثانية، حيث تم تدمير عدد من الدبابات والعربات للعدو بلغت خسائره فى الأفراد ٤٠ فردًا بين قتيل وجريح، وفى ٥ فبراير ١٩٧٠ قامت قواتنا بعملِ كمينٍ لقوات العدو على طريق القنطرة - التينة - على الضفة الشرقية للقناة حيث تم تدمير ثلاث دبابات، وثلاث عربات للعدو، وكما شهد ميناء إيلات للمرة الثانية هجومًا جريئًا لمجموعة من ضفادعنا البشرية يوم السادس من فبراير ١٩٧٠، دُمِّرَ للعدو سفينتان وأصيبت سفينة ثالثة، وفى الوقت الذى كانت قواتنا تنفذ فيه مُخَطَّطًا دقيقًا لاستنزاف العدو على طول المواجهة، حاولت القوات الإسرائيلية أن تقوم بعملياتٍ خاطفةٍ على بعض مواقعنا فى الجزيرة الخضراء، وساحل خليج السويس، فتحطمت كل تلك المحاولات، ودفع خلالها العدو ثمنًا باهظًا من الأفراد والمعدات والأسلحة، ويومًا بعد يومٍ بدأت شبكة الصواريخ المصرية تُشكل حائطًا صلبًا فى

مواجهة الطائرات الإسرائيلية، بعد أن فشلت محاولاتها المحمومة لعرقلة بنائها، وبعدها بدأت معارك استنزاف الطائرات الإسرائيلية، وشهد شهر يوليو ١٩٧٠ تحطيم (٢١) طائرة إسرائيلية، بدأت القيادة الإسرائيلية تعترف بأن حرب الاستنزاف خلقت موقفًا جديدًا تمامًا، وأدركت أمريكا حجم الكارثة التى باتت تنتظر إسرائيل، فكانت مبادرة (روجرز) ووقف إطلاق النار الذى بدأ فى ٧ أغسطس ١٩٧٠م.

(حرب أكتوبر)

ثم يأتى السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣، يوم عبور الجندى المصرى لقناة السويس، ذلك الحدث المشهود فى تاريخ الشعب العظيم الذى آمن بحقه فى استرداد الأرض والكرامة، دون تفريطٍ أو تهاونٍ، وبدأت الحرب فى الساعة (٢) بعد ظهر ذلك اليوم لتبدأ ملحمة العبور العظيم، ووجه الطيران المصرى ضربات مكثفة لمواقع العدو ليفتح الأجواء لإنشاء معابر المعديات والكبارى على قناة السويس، ويتم فتح (٨١) فتحة شاطئية فى الساتر الترابى بأسلوب التجريف بمضخات المياه النفاثة محققةً إزالة (٣) مليون متر مكعب من الرمال، وتمت الفتحة الأولى فى الساعة ٥,١٥ مساءً، وتم أول إنشاء معبر معديات فى الساعة ٦,٣٠ مساءً، وأول كوبرى تم إقامته على القناة فى الساعة ٨,٣٠ مساءً، وخلال أعمال قتال اليوم الأول دمرت قواتنا أكثر من (٢٠٠) دبابة إسرائيلية، وقتلت، وأسرت، وحاصرت أكثر من (١٥٠٠) جندى وضابط إسرائيلى، وقد تجلت حُنكة القادة السياسيين، والعسكريين فى دقة التخطيط العسكرى والاستراتيجى، واستخدام الخداع الاستراتيجى، واللجوء إلى عنصر المفاجأة الذى أفقد العدو توازنه. كما تَجَلَّتْ شجاعة المقاتل المصرى، وجسارته فى أيام الحرب، وكان إيمانه بالنصر واسترداد أرضه وكرامته سلاحه الأول فى ذلك الحصون، وتحطيم الموانع وهدم الاستحكامات والخطط التى أقامها أمام العدو[1].

وفى ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ انحاز الجيش للشعب، حتى تنازل مبارك عن الحكم، ومرر

(١) شبكة الانترنت.

الفترة الانتقالية بسلام حتى استلم (مرسى) رئاسة الجمهورية فى ٣٠ يونيو ٢٠١٢، ولما رأى الجيش المصرى (مرسى) وبطانته الفاسدة أنهم أفسدوا فى الأرض، وأضروا البلاد، والعباد، والشجر، والدواب، انحاز الجيش للشعب أيضًا، لأن الجيش لم يرى من يرفق بالمصريين، فقام على الفور بالتصدى لهؤلاء الإرهابيين، وأخذ رأس الأفعى ليخضعه تحت الإقامة الجبرية فى ٣ يوليو ٢٠١٣، وأخذ على عاتقه أن يتصدى للإرهاب، فطهر سيناء من الإرهابيين، وهدم نحو ١٣٨٠ نفقًا كانت من خلالهما يتم دخول الجماعات المتطرفة إلى سيناء، ومن خلالها أيضًا يتم تهريب البضائع، والبنزين والسولار، والمواد المخدرة وغير ذلك من الأشياء التى تدمر الأمن القومى المصرى، هكذا رجال القوات المسلحة دائمًا أعينهم ساهرةً لحماية هذا الوطن، لأنهم فى رباطٍ إلى يوم القيامة، فهذه هى مصر وجيشها، إذا أتى عليهم قادم بخيرٍ أحاطوه بالعناية والرعاية، وأما إذا أتى عليهم قادم بسوءٍ إلا أكلوه، كما تأكل النار أجف الحطب، وهذه نصيحة (الحجاج بن يوسف الثقفى) الأموىُّ عندما قال (لطارق بن عمرو) عندما تولى حكم (مصر) ناصحًا إياهُ بقوله: (لو ولُّوك أميرًا للمؤمنين على (مصر) فعليك بالعدل، فهم قتلةُ الظلمةُ، وهادموا الأمم، وما أتى عليهم قادم بخيرٍ إلا التقموه كما تلتقم الأم رضيعها، وما أتى عليهم قادم بسوءٍ إلا أكلوه كما تأكل النار أجف الحطب، هم أهل قوةٍ، وصبرٍ وجلدٍ، لَا يَغُرَّنَّكَ ولا تستضعف قوتهم، فهم إن أقاموا لنُصرة رجلٍ ما تركوهُ إلا والتاج على رأسه، وإن قاموا على رجلٍ ما تركوهُ إلا وقد قطعوا رأسه، وَاتَّقِ فيهم نساءهم، فلا يقربهم أحد بسوءٍ إلا أكلوهُ كما تأكل الأسود فرائسها، راضيهم وإلا حاربتك صخور جبالهم، دينهم وإلا أحرقوا عليك دنياك) [1].

• أما عن القول، بأن مصر هى أرض الأنبياء والمرسلين، والعلماء الربانيين، فهذا صدقٌ ولا مرية فيه ولا شك، ولذلك عندما أفتح هذا الملف، وما كان يحدث فى عام (مرسى)، وزبانيته من تكفير الناس فى مصر، وكأنك أتيت بدبشةٍ كبيرةٍ ألقيتها

(١) جريدة الدستور الجمعة ٢٠ ذى الحجة ١٤٣٤هـ ٢٥ أكتوبر ٢٠١٣م – العدد (٢١٩١) الإصدار الثانى، ص: (١٢).

فوق رأسى، لِأَفْغِرَفَا هِى مَشْدُوهًا، مُتَسَائِلاً وَحُزْنُ الدنيا يقع فى قلبى، أيُكفر الناس فى مصر، وعلى أرضها عاش الأنبياء والمرسلين؟ - أيُكفر الناس فى مصر، وقد سكنها جمعٌ غفيرٌ من الصحابة الكرام، بلغ عددهم أكثر من ٣٥٠ صحابيًا؟ - أيُكفر الناس فى مصر وقد تعلم أهلها من العلماء الربانيين؟ - أيكفر الناس فى مصر، وهى بلد الأزهر الشريف الذى علم الدنيا أجمع بوسطيته انسمحة؟ = آهَ: وآه، وآه من خوارج هذا العصر، وما فعلوه فى أيامهم العجاف؟!!!!!

مَنْ دَخَلَ مِصْرَ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ؟

إن مصر قد شرفها الله بدخول عدد من الأنبياء، بل وبعضهم كان يعيش على أرضها، وعلى رأس هؤلاء الأنبياء الذين دخلوا مصر هو سيدنا (إبراهيم) - أبو الأنبياء عليه السلام - وهذا يؤيد أن مصر هى أم الدنيا، وأن مصر دولةٌ متأصلةٌ ولها دورٌ ثقافىٌّ ودينىٌّ هَامٌّ فى بناء المجتمعات، كما دخلها عدد من الأنبياء مثل (سيدنا موسى، ويوسف، وعيسى)، فجعل الله سيدنا موسى رسولاً فى مصر، ليهدى الناس فيها ويقضى على طغيان فرعون، فذلك له دلالة واضحةً على مكانة مصر الكبيرة فى إقامة الدعوة إلى الله تعالى ورفع كلمة التوحيد، لأنها لو لم تكن لها أهمية لما اهتم الله تعالى أن يُرسل إليها رسولاً ليهدى أهلها، لأن الله يعلم مدى تأثير مصر على البشرية جمعاء، فضلال أهلها يقود إلى ضلال باقى البشر، بالإضافة إلى أن الله تعالى قد جعل ثلاثة من الخمسة رسل أولو العزم أن يدخلوا مصر، وهذا أيضًا يُضيف إلى مكانتها الدينية، والأمر الآخر العظيم الخاص بمكانة مصر الدينية هو أن جميع أزواج الرسول ﷺ كانوا من الجزيرة العربية ما عدا واحدة فقط من مصر، وهى (مارية القبطية)، والأمر العجيب الآخر هو أن أبنائه الذكور الثلاث كان أحدهم من أم مصرية وهى (مارية)، والاثنين الآخرين أمهم من الجزيرة العربية، وهذا أيضًا يُضيف معنى رمزى كبير لدور

مصر الدينى، وأما من كان بمصر (إبراهيم الخليل، وإسماعيل، وإدريس، ويعقوب، ويوسف، واثنا عشر سبطا، وَوُلِدَ بها موسى، وهارون، ويوشع بن نون، ودانيال، وأرميا، ولقمان، وكان بها من الصِّدِّيقين، والصِّدِّيقات، ومؤمن آل فرعون، حيث قال تعالى عنه: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ (غافر: ٢٨ - ٣٣)، وجاء فى موضع آخر من القرآن حيث قال الله فى شأنه، عندما عزم (فرعون) على قتل (موسى عليه السلام)، فطلبه وبعثوا وراءه لِيُحْضِرُوهُ، فجاءه رجل وصفه الله بالرجولة، لأنه خالف الطريق، فسلك طريقًا أقرب من الطريق الذين بعثوا وراءه وفى طلبه ليقتصوا منه، فسبقهم وذهب إلى (موسى) لِيُحَذِّرَهُ قائلاً إِيَّاهُ: (يا موسى إن القوم يتشاورون فى أمرك ليقتلوك، فَاخْرُجْ بنفسك، واخرج من هذه البلدة التى هى مصر، حيث أنى لك من الناصحين)، حيث قال الله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (القصص: ٢٠)، وقال على بن أبى طالب - رضي الله عنه - هذا الرجل كان اسمه (حزقيل)، وكان بها (الخضر)، حيث قال تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (الكهف: ٦٥) وهذا هو (الخضر) عليه السلام، كما دلّت عليه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ بذلك، فقد جاء فى الحديث المتفق عليه من حديث سعيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قُلْتُ لابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ

نَوْفًا الْبِكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى صَاحِبَ الْخِضْرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْسَ هُوَ مُوسَى صَاحِبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟! قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَذَبَ عَدُوُّ اللهِ حَدَّثَنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ - ﷺ - أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ قَالَ أَنَا. فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ أَنَّ لِي عَبْدًا بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ. قَالَ مُوسَى: يَارَبِّ وَكَيْفَ لِي بِهِ؟ قَالَ تَأْخُذُ مَعَكَ حُوتًا فَتَجْعَلُهُ بِمَكْتَلٍ فَحَيْثُمَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ، فَأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ بِمِكْتَلٍ ثُمَّ انْطَلَقَ وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ عليه السلام حَتَّى إِذَا أَتَيَا الصَّخْرَةَ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا فَنَامَا، وَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمِكْتَلِ فَخَرَجَ مِنْهُ فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ (الكهف: ٦٣)[1].

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ (الكهف: ٦٤) قال: فرجعا يقصان أثرهما حتى انتهيا إلى الصخرة مُسَجًّى بثوب فسلم عليه موسى بنى إسرائيل؟ قال: نعم، قال: أتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾ (الكهف: ٦٧) وَلَمَّا لَمْ يَرُدَّ موسى عليه السلام الْعِلْمَ للهِ، أرسلهُ إلى (الخضر) عليه السلام لِيُعَلِّمَهُ من علم الله ما لم يَعْلَمْهُ موسى عليه السلام.

ومن مصر أيضًا (آسية امرأة فرعون)، حيث قال الله فى شأنها: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ (التحريم: ١١).

ومن مصر أيضًا (أم إسحاق، وماشطة بنت فرعون، ومريم ابنة عمران)، حيث قال الله فى شأن السيدة مريم: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ (التحريم: ١٢) قال رسول الله ﷺ: (أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ

(١) البخارى (٤٧٢٥)، ومسلم (٢٣٨٠).

عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ، امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ) (١).

وأخرج الإمام أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (لَمَّا أُسْرِيَ بِي مَرَرْتُ بِرَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ، فَقُلْتُ لِجِبْرِيلَ: مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ؟ قَالَ: هَذِهِ مَاشِطَةُ آلِ فِرْعَوْنَ، وَأَوْلَادُهَا، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهَا: قَالَ: بَيْنَمَا هِيَ تُمَشِّطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ سَقَطَتْ الْمِدْرَى مِنْ يَدِهَا، فَقَالَتْ: بِسْمِ اللهِ، فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: أَبِي، قَالَتْ: لَا، وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكِ اللهُ، قَالَتْ: أُخْبِرُهُ بِذَلِكَ، قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخْبَرَتْهُ فَدَعَاهَا، فَقَالَ: يَا فُلَانَةُ وَإِنَّ لَكِ رَبًّا غَيْرِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ. رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلَادُهَا فِيهَا، قَالَتْ لَهُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً. قَالَ: وَمَا حَاجَتُكِ؟ قَالَتْ: أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَتَدْفِنَنَا. قَالَ: ذَلِكَ لَكِ عَلَيْنَا مِنَ الْحَقِّ. قَالَ: فَأَمَرَ بِأَوْلَادِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا وَاحِدًا وَاحِدًا إِلَى أَنِ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى صَبِيٍّ لَهَا مُرْضِعٍ وَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ، قَالَ يَا أُمَّهُ اقْتَحِمِي فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ فَاقْتَحَمَتْ) (٢).

وجاء في الحديث الذي أخرجه أبو يعلى في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ فِرْعَوْنَ أَوْتَدَ لِامْرَأَتِهِ أَرْبَعَةَ أَوْتَادٍ فِي يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا، فَكَانَ إِذَا تَفَرَّقُوا عَنْهَا ظَلَّلَتْهَا الْمَلَائِكَةُ، فَقَالَتْ: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (التحريم: ١١). فَكُشِفَ لَهَا عَنْ بَيْتِهَا فِي الْجَنَّةِ) (٣).

(١) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، والطبراني في الكبير، والحاكم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وأورده الألباني في الصحيحة برقم: (١٥٠٨)، وصحيح الجامع برقم: (١١٣٥).

(٢) الحديث صحيح: أخرجه أحمد برقم: (٢٨٢٣)، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن.

(٣) الحديث صحيح: أخرجه أبو يعلى في (مسنده) برقم: (٤/ ١٥٢١-١٥٢٢)، والطبري في تفسيره، برقم: (٢٨/ ١١٠)، والحاكم برقم: (٢/ ٤٩٦)، وقال: (صحيح على شرط الشيخين)، ووافقه الذهبي، وللحديث شاهد من حديث سلمان أنه قال: (كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس، فإذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى بيتها في الجنة)، وجاء في السلسلة الصحيحة للألباني برقم: (٢٥٠٨).

ومن مصر تزوج (إبراهيم عليه السلام) من (هاجر أم إسماعيل)، وتزوج (يُوسُفُ من زُلَيْخَا)، ومنها أُهْدِيَ (المقوقس) (محمد ﷺ مارية القبطية)، فتزوجها وأنجبت له (إبراهيم) ويذكر أنه لما اجتمع الحسين بن علي، مع معاوية، قال له الحسين: (إن أهل حفن بصعيد مصر، وهي قرية مارية أم إبراهيم، فَأُسْقِطَ عنها الخراجُ إكرامًا لرسول الله ﷺ، فأسقطه).

وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ الرَّبَّانِيُّونَ، فَمِنْهُمْ :

- (العز بن عبدالسلام) وُلِدَ في (دمشق) سنة ٥٧٧ هـ - ١١٨١م، وَتُوُفِّيَ في (مصر) سنة ٦٦٠هـ - ١٢٦٢م، هو عالمٌ مسلمٌ سُنِّيٌّ على مذهب الأشاعرة، وفقيهٍ شافعيٌّ، لُقِّبَ في زمانه (بسلطان العلماء)، و(بائع الملوك)، برز في زمن الحروب الصليبية وعاصر الدول الإسلامية المنشقة عن الخلافة العباسية في آخر عهدها، ولعلّ أبرز نشاطه في دعوته القوية لمواجهة الغزو المغولي التتري وشحذه لهمم الحكام ليقودوا الحرب على الغزاة، خصوصًا (قطز) قائد جيوش السلطان (عز الدين أيبك).

أيامه في دمشق:

حكم (دمشق) في أيام (العز بن عبدالسلام) الملك (الأشرف موسى)، ومن بعده الملك الصالح (عماد الدين إسماعيل) من بني أيُّوب، فقدَّرا لِلْعِزِّ تفوقه في العلم وُوَلُّوهُ خطابة جامع بني أمية الكبير بدمشق، وبعد فترة قام الملك الصالح بقتال ابن أخيه الملك الصالح (نجم الدين أيوب)؛ حاكم مصر آنذاك، لانتزاع السلطة منه، مما أدى إلى مولاة الصليبيين، فأعطاهم حصن الصفد والثقيف وسمح لهم بدخول دمشق لشراء السلاح والتزود بالطعام وغيره؛ فاستنكر (العز بن عبدالسلام) ذلك وصعد المنبر وخطب في الناس خطبة عصماء، فأفتى بِحُرْمَةِ بيع السلاح للفرنجة، وَبِحُرْمَةِ الصُّلحْ معهم، وقال في آخر خطبته: (اللهمَّ أبرمُ أمرًا رُشْدًا لهذه الأمةِ، يَعِزُّ فيه أهل طاعتكَ، وَيَزِلُّ فيه أهل معصيتك)، ثم نزل من المنبر دون الدعاء للحاكم الصالح (كعادة خطباء

الجمعة)، فاعتبر الملك ذلك عِصْيَانًا، وَشَقًّا لِعَصَا طاعته، فغضب على (الْعِزِّ) وسجنه، فلما تأثر الناس، واضطرب أمرهم، أخرجه الملك من سجنه وأمر بإبعاده عن الخطابة فى الجوامع، فتركَ (الْعِزُّ) الشَّامَ وسافر إلى مصر.

أيامه فى مصر:

وصل (العز بن عبدالسلام) إلى مصر سنة ٦٣٩هـ، فَرَحَّبَ به الملك الصالح (نجم الدين أيوب) وأكرم مثواهُ، ثم وَلاَّهُ الخطابة والقضاء، وكان أول ما لاحظه (الْعِزُّ) بعد توليه القضاء قيام الأمراء المماليك، وهم مملوكون لغيرهم، بالبيع والشراء وقبض الأثمان والتزوج من الحرائر، وهو ما يتعارض فى نظره مع الشرع الإسلامى، إذ هم فى الأصل عبيد لا يحق لهم ما يحق للأحرار، فامتنع أن يمضى لهم بيعًا، أو شراءً، فَتَأَلَّبُوا عليه وشكوه إلى الملك الصالح الذى لم تعجبه بدوره فتوى (الْعِزِّ)، فأمره أن يَعْدِلَ عن فَتْوَاهُ، فلم يأتمر بأمره، بل طلب من الملك ألا يتدخل فى القضاء، إذ هو ليس من شأن السلطان، وَأَدَّى به إنكاره لتدخل السلطان فى القضاء أن قام فجمع أمتعته ووضعها على حماره، ثم قال: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾ (النساء: ٩٧)، فتجمع أهل مصر حوله، واستعدَّ العلماءُ والصلحاءُ للرحيل معه، فخرج الملك الصالح يَتَرَضَّاهُ، وطلب منه أن يعود وينفذ حكم الشرع، فاقترح (الْعِزُّ) على الأمراء المماليك أَنْ يَعْقِدَ لهم مَجْلِسًا وَيُنَادَى عَلَيْكُمْ بالبيع لبيت مال المسلمين، وعندما نصحه أحد أبنائه، بأن لا يتعرض للأمراء خشية بطشهم، رَدَّ عليه بقوله: (أَأَبُوكَ أَقَلَّ مِنْ أَنْ يُقْتَلَ فِى سَبِيلِ اللهِ؟)، وفى آخر دولة (الأيوبيين) تولت الحكم امرأة هى (شجرة الدر)، فى تجربة تُعَدُّ الثالثةَ فى تاريخ الإسلام، بعد تولى (رضية الدين) سلطنة (دلهى) ٦٣٤هـ - ٦٣٨هـ، و(أروى بنت أحمد المصيلحى) (باليمن) ٤٩٢هـ - ٥٣٢هـ، وكان (العز بن عبدالسلام) من الذين استنكروا الأمر وعارضوهُ جَهْرَةً، لاعتقاده مخالفة ذلك للشرع،

ولم يَدُمْ حكم (شجرة الدُّرِّ) سَوى ٨٠ يَوْمًا، إِذْ تنازلت على عرشها للأمير (عز الدين أيبك) الذى تزوجته وبقيت تحكم من خلاله، وبعد وصول (قطز) لسدة الحكم فى مصر، وظهور خطر التتار، ووصول أخبار فظائعهم، عمل (الْعِزُّ) على تحريض الحاكم واستنفاره لملاقاة التتار الزاحفين، ولما أمر (قطز) بجمع الأموال من الرَّعِيَّةِ للإعداد للحرب وقف (الْعِزُّ بن عبدالسلام) فى وجهه، وطالبُه أَلاَّ يُؤخذ شَيئًا من الناس إلا بعد إفراغ بيت المال، وبعد أن يُخرج الأمراء وكبار التجار من أموالهم وذهبهم المقادير التى تتناسب مع غِنَاهُمْ حتى يتساوى الجميع فى الإنفاق، فنزل (قطز) على حكم (الْعِزِّ بن عبدالسلام).

قَاضِى قُضَاةَ الْمُسْلِمِينَ فِى الْعَصْرِ الْمَمْلُوكِىِّ: (ابن دقيق العيد)

قال عنه (أبو الفتح بن سيد الناس اليعمرى الحافظ): (لَمْ أَرَ مثله فيمن رأيت، ولا حملت عن أجلّ منه رأيتُ ورويتُ، وكان للعلوم جامعًا، وفى فنونها بارعًا، مُقَدَّمًا فى معرفة عِلَلِ الحديثِ على أقرانه، منفردًا بهذا الفن النفيس فى زمانه، بصيرًا بذلك شديد النظر فى تلك المسالك، وكان حَسَنُ الاستنباط للأحكام والمعانى من السُّنَّةِ والكتابِ، مُبْرِزًا فى العلومِ النقليةِ والعقليةِ).

مولده ومنشأه:

نشأ (ابن دقيق العيد) فى مدينة قوص التابعة لصعيد مصر، وقد عاش فترة شبابه تقيًا نقيًا ورعًا طاهر الظاهرِ والباطنِ، يتحرى الطهارة فى كل أمر من أمور دينه ودنياه، فحفظ القرآن الكريم حفظًا تامًا، وتفقه على مذهب (الإمام مالك) على يد أبيه، ثم رجع وتفقه على مذهب (الإمام الشافعى) على يد تلميذ أبيه (البهاء القفطى) كما درس النحو وعلوم اللغة على يد الشيخ (محمد أبى الفضل المرسى)، و(شمس الدين محمود الأصفهانى)، ثم ارتحل إلى القاهرة التى كانت فى ذلك الوقت مركز إشعاع فكرى وثقافى يفوق كل

وصف، تكتظ بالعلماء والفقهاء فى كل علم وفن، فانتهز (ابن دقيق العيد) هذه النهضة العلمية الواسعة التى شهدتها القاهرة فى ذلك الوقت، وَالْتَفَّ حول العديد من العلماء، وأخذ على أيديهم فى كل علم وَفَنٍّ فى نهم بالغ، ولازم سلطان العلماء الشيخ (عز الدين بن عبدالسلام)، وأخذ عَلى يديه الأصول وفقه الإمام الشافعى، وسمع (الحافظ عبدالعظيم المنذرى، وعبدالرحمن البغدادى الْبَقَّالَ)، ثم سافر إلى دمشق وسمع بها من الشيخ (أحمد عبدالدايم) وغيره، ثم اتجه إلى الحجاز، ومنه إلى الإسكندرية، فحضر مجالس الشيوخ فيهما، وتفقه، وبلغ غايته فى شتى أنواع العلوم والمعرفة الإسلامية، وجمع بين فقهى الإمامين (مالك والشافعى)، ومكث بالقاهرة فترةً يسيرةً، ثم اتجه على أثرها إلى مسقط رأسه (قوص)، فَعُرِفَ فِي ذلك الوقت بغزارة علمه وسعة أفقه، فذاع صيته بين الناس حتى إن والى (قوص) أُسْنِدَ إليه منصب القضاء على مذهب الإمام مالك، ثم اتجه بعد ذلك إلى القاهرة، وقام فيها بالتدريس بالمدرسة الفاضلية، والكاملية، والصالحية، والناصرية، وكان ثقة فى كل ما يقول أو يشرح حتى بلغ فى النفوس مكانة سامية مرموقة، وحينما تُوُفِّىَ قاضى القضاة فى مصر، وهو التقى (عبدالرحمن بن بنت الأعز) فى ثامن عشر جمادى الأولى سنة ٦٩٥هـ وخلا بموته هذا المنصب، وذلك فى عهد السلطان (منصور بن لاجين)، أشار أحد المقربين إلى هذا السلطان قائلاً: (هل أدلك على (محمد بن إدريس الشافعى، وسفيان الثورى، وإبراهيم بن أدهم)؟ فعليك (بابن دقيق العيد» فكان أن تقلد (ابن دقيق العيد) هذا المنصب الذى ظل شاغلاً له مدة سبع سنوات، بلغت فيها شخصيتهُ مكانةً مرموقةً فى الديار المصرية، وكان رحمه الله فى قضائه وآرائه وفتواه مثلاً أعلى للصدق، والعدالة والنزاهة، لا يخشى فى الحق لومةَ لائم، أو بطش سلطانٍ، فما كان يراه حقًا يطمئنُّ عليه الشرع يُنَفِّذْهُ ولو كان فى ذلك غضبًا للحكام والسلاطين، وقد ترتب على ذلك أن أكثر أعداؤه وحاسدوه الذين كانوا يَدُسُّونَ عليه وَيَكِيدُونَ لَهُ، وبالرغم من ذلك وقف مع الحق الذى لا يخشى فيه لَوْمَةَ لاَئِمٍ.

وفاتـه :

تُوُفِّىَ بالقاهرةِ فى صبيحة يوم الجمعة لتسعة أيام بَقِيَتْ من صفر ٧٠٢ هـ بعد أن عَمَّرَ ٧٧ عَامًا قَضَاهَا فى خدمة الدين الإسلامى الحنيف فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى، وقد دُفِنَ يوم السبت، وكان يومًا مشهورًا عزيزًا فى الوجود، وقد وقف جيش مصر ينتظر الصلاة عليه.

- (سفيان بن عيينة)

وُلِدَ بالكوفة فى سنة سبع ومائة، وطلب الحديث وهو حدث، بل غلام، ولقى الكبار، وحمل عنهم علمًا جَمًّا، وأتقنَ وَجَوَّدَ، وجَمَّعَ، وَصَنَّفَ، وَعَمَّرَ دَهْرًا، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه عُلُوُّ الإسنادِ، ورحل إليه من البلاد، وألحق الأحفاد بالأجداد، واستمع من أكثر من ٦٦ عَالِمًا، وحَدَّثَ عَنْهُ أكثر من ٤٨ عَالِمًا، عاش إلى سنة اثنتين وثمانين ومائتين، ولقد كان خَلْقٌ من طلبة الحديث يتكلفون الحج، وما المحرك لهم سوى لقى (سفيان بن عيينة)، لإمامته وعلو إسناده، وجاور عنده غير واحد من الْحُفَّاظِ، ومن كبار أصحابه المكثرين عنه: (الحميدى، والشافعى، وابن المدينى، وأحمد، وإبراهيم الرمادى) قال (الإمام الشافعى): (لولا مالك، وسفيان بن عيينة، لذهب علم الحجاز، وعنه قال: وجدت أحاديث الأحكام كلها عند (ابن عيينة) سِوَى ستة أحاديث، ووجدتها كلها عند مالك سِوَى ثلاثين حديثًا، فهذا يوضح لك سعة دائرة (سفيان) فى العلم، و ذلك لأنه ضَمَّ أحاديث العراقيين إلى أحاديث الحجازيين، وارتحل ولقى خَلْقًا كثيرًا ما لقيهم مالك، وهما تطيران فى الإنفاق، ولكن (مَالِكًا) أَجَلُّ وَأَعْلَى، فعنده (نافع، وسعيد المقبرى».

قال (عبدالرحمن بن مهدى): (كان «ابن عينة» من أعلم الناس بحديث الحجاز).

وقال (أبو عيسى الترمذى): (سمعت محمدًا - يعنى البخارى - يقول: (ابن عيينة)، أحفظ من (حماد بن زيد» قال (حرملة): (سمعت الشافعى، يقول: ما رأيت أحدًا فيه من آلة العلم ما فى (سفيان بن عيينة)، وما رأيت أكَفَّ عن الْفُتْيَا منهُ، قال: وما رأيت أحدًا أحسنَ تفسيرًا للحديث منهُ).

قال (عبدالله بن وهب): (لا أعلم أحدًا أعلم بتفسير القرآن من (ابن عيينة)، وقال: (أحمد بن حنبل) أعلم بالسنن من سفيان).

قال (أحمد بن عبدالله العجلى): (كان (ابن عيينة) ثَبْتًا فى الحديث، وكان حديثه نحوًا من سبعةِ آلافٍ، ولم تكن له كتب)، ولد فى النصف من شعبان سنة ١٠٧ هـ - ومات عن عُمْرٍ يُنَاهِزُ إحدى وتسعين عامًا من العطاء فى علوم التفسير والحديث، رحم الله الشيخ، وأحسن مثواه، وجعله فى عداد الصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

- (محمد بن إدريس الشافعى)

هو عالم العصر، وناصر الحديث، وإمام قريش، والإمام المجدد، وفقيه الملة، وهو ثالث الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الشافعى فى الفقه الإسلامى، ومؤسس علم أصول الفقه، وهو أيضًا إمامٌ فى علم التفسير، وعلم الحديث، وقد عمل قاضيًا فَعُرِفَ بالعدل والذكاء، وإضافةً إلى العلوم الدينية، كان (الشافعى) فصيحًا شاعرًا، ورامِيًا ماهرًا، وَرَحَّالاً مُسَافِرًا، أكثرَ العلماءُ فى الثناء عليه، حتى قال فيه (الإمام أحمد): (كان الشافعى، كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس)، وَقِيلَ أنهُ هو إمامُ قُريش الذى ذكره النبى محمد ﷺ بقوله: (عالم قريش يملأ الأرض علمًا).

نشأ (الشافعى) فى أسرةٍ فقيرةٍ، كانت تعيش فى (فلسطين)، وكانت مقيمة بالأحياء

اليمنية منها، وقد مات أبوه وهو صغير، فانتقلت أمه به إلى (مكة) خشية أن يضيع نسبه الشريف، وقد كان عمره سنتين عندما انتقلت به إلى مكة، وذلك ليقيم بين ذويه، ويتثقف بثقافتهم، ويعيش بينهم، ويكونَ منهم.

عاش (الشافعى) فى مكة عيشة اليتامى الفقراء، مع أن نسبه كان رفيعًا شريفًا، بل هو أشرف الأنساب عند المسلمين، ولكنه عاش عيشة الفقراء إلى أن إستقام عُودُهُ، وقد كان لذلك أثرٌ عظيمٌ فى حياته وأخلاقه، فحفظ القرآن وهو فى السابعة من عمره، مما يدل على ذكائه وقوة حفظه، ثم اتجه إلى حفظ الحديث النبوى، فحفظ (موطأ الإمام مالك)، قال الشافعى: (حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر سنين).

وكان الشافعى يستمع إلى المحدثين، فيحفظ الحديث بالسمع، ثم يكتب على الخزف، أو الجلود، وكان يذهب إلى الديوان يستوعب الظهور ليكتب عليها، والظهور هى الأوراق التى كُتب فى باطنها وتُرك ظهرها أبيض، وذلك يدل على أنه أحب العلم منذ نعومة أظفاره.

قال الشافعى: (لم يكن لي مال، فكنت أطلب العلم فى الحدائة، أذهب إلى الديوان أستوهب منهم الظهور وأكتب فيها)، وَرُوِى عنه، أنه قال: (كنت يتيمًا فى حجر أمى، ولم يكن معها ما تُعطى المعلم، وكان المعلم قد رضى من أمى أن أخلفه إذا قام، فلما ختمت القرآن دخلت المسجد، وكنت أُجالس العلماء، فأحفظ الحديث، أو المسألة، وكان منزلنا بمكة فى شِعب الْخَيْف. فكنت أنظر إلى العظم فأكتب فيْه الحديث أو المسألة، وكانت لنا جِرَّةٌ عظيمةٌ، إذا امتلأ العظم طرحته فى الجرة) وقال أيضًا: (إنى خرجت عن مكة، فلازمت هذيلاً بالبادية، أتعلم كلامها، وآخذ طبعها، وكانت أفصح العرب، أرحل برحيلهم، وأنزل بنزولهم، فلما رجعت إلى مكة أنشد الأشعار، وأذكر

الآداب والأخبار)، ولما عاد (الشافعى) إلى مكة طلب العلم فيها على يد من كان فيها من الفقهاء والمحدثين، فبلغ مبلغًا عظيمًا، حتى أذن له (مسلم بن خالد الزنجى) مفتى مكة بِالْفُتْيَا، فقد رُوِىَ عن مسلم بن خالد الزنجى أنه قال للشافعى: (أفت يا أبا عبدالله، فقد والله آن لك أن تُفتى) وهو ابن خمس عشرة سنة، وبعدها قدم الشافعى بغداد للمرة الثانية فى سنة ١٩٥ هـ، ثم عاد بعد ذلك إليها سنة ١٩٨ هـ وأقام أشهرً فيها فى خلافة (عبدالله المأمون) الذى كان من الفلاسفة المتكلمين، فأدنى إليه المعتزلة، وجعل منهم كُتَّابَهُ وَحُجَّابَهُ وَجُلَسَاءَهُ، والمقربين إليه، والمحكمين فى العلم وأهله، والشافعى كان ينفر من المعتزلة ومناهج بحثهم، فما كان له أن يرضى بالمقام معهم، وتحت ظل الخليفة الذى مَكَّنَ لهم، حتى أَدَّاهُ الأمرُ بعد ذلك إلى أن أنزل بالفقهاء والمحدثين المحنة التى تسمى محنة خلق القرآن، فاعتزم السفر إلى مصر، فرحل إليها، وقد وصل سنة ١٩٩ هـ.

رحلته إلى مصر

لم يطب للشافعى المقام ببغداد، وكان لابد من الرحيل منها، ولم يجد مُهَاجَرًا، وَلاَ سَعَةً إلا فى مصر، ذلك أن واليها عباسىٌ هاشمىٌ قرشىٌ، قال ياقوت الحموى: (وكان سبب قدومه إلى مصر أن العباس بن عبدالله بن العباس، دَعَاهُ، وكان العباس هذا خليفةً لعبدالله المأمون على مصر).

وقد قدم إلى مصر سنة ١٩٩ هـ، ومات فيها سنة ٢٠٤ هـ، وقد رُوى عن الربيع بن سليمان أنه قال: وقال لى يومًا (يقصد الشافعى): (كيف تركت أهل مصر؟)، فقلتُ: (تركتهم على ضربين، فرقةٌ منهم قد مالت إلى قول مالك، وأخذت به واعتمدت عليه، وَذَبَّتْ عنه، وناضلت عنه، وفرقةٌ قد مالت إلى قول أبى حنيفة، فأخذت به، وناضلت عنه)، فقال: (أرجوا أن أقدم مصر إن شاء الله، وآتيهم بشىءٍ أشغلهم به عن القولين

جميعًا) قال الربيع: (ففعل ذلك والله حين دخل مصر).

وكان مولده بغزة فى بلاد الشام سنة ١٥٠ هـ - ٧٦٧م، وكانت وفاته فى مصر فى آخر ليلة من رجب سنة ٢٠٤ هـ - ٨٢٠م، ومما قاله فى حب مصر:

لَقَدْ أَصْبَحَتْ نَفْسِى تَتُوقُ إِلَى مِصْرَ ... وَمَنْ دُونِهَا قَطْعُ الْمَهَامَةِ وَالْفَقْرِ

فَـوَاللهِ مَا أَدْرِى الْفَوْزُ وَالْغِنَى ... أُسَـاقُ إِلَيْهَا أَمْ أُسَـاقُ إِلَى الْقَبْرِ

- (ابن حجر العسقلانى)

✍ المولد والنشأة:

وُلد المحدث (ابن حجر العسقلانى) فى مدينة القاهرة فى ٢٣ شعبان سنة ٧٧٣هـ، وهو من عائلة من قبيلة كنانة بن خزيمة من مضر كانت تسكن مدينة عسقلان وهاجرت إلى مصر قبل أن يُولد هناك. وكان والده عالمًا أديبًا ثريًّا، وأراد لابنه نشأةً علميةً أدبيةً، إلا أنه توفى ولم يزل (أحمد) طفلاً فكفله أحد أقارب والده (زكى الدين الخروبى) كبير تجار الكارم فى مصر، فرعاه الرعاية الكاملة وأدخله الكُتَّابَ فظهر نبوغه المبكر، فقد أتم حفظ القرآن وهو ابن اثنى عشر سنة وَوُصِفَ بأنه كان لا يقرأ شيئًا إلا انطبع فى ذهنه.

✍ رحلاته فى طلب العلم:

رحلة إلى مكة سنة ٧٨٥هـ وأقام بها سنة ودرس خلالها الحديث على يد الشيخ (عبدالله بن سليمان النشاورى)، وقد قرأ عليه صحيح البخارى وسمع فى مكة من الشيخ (جمال الدين بن ظهيرة)، ورحل من مكة إلى مصر عائدًا فداوم على دراسة الحديث الشريف على يد الحافظ (عبدالرحيم العراقى)، وتلقى الفقه للشافعى من الشيخ (ابن الملقن)، (والعز ابن جماعة) وعليه درس الأصول

وباقى العلوم الآلية، كالمنهاج، وجمع الجوامع، وشرح المختصر، والمطول، ثم رحل إلى بلاد الشام، والحجاز، واليمن، ومكة، وما بين هذه النواحى، ثم أقام فى فلسطين وتنقل فى مدنها يسمع من علمائها ويتعلم منهم، ففى غزة سمع من (أحمد بن محمد الخليلى)، وفى بيت المقدس سمع من (شمس الدين القلقشندى)، وفى الرملة سمع من (أحمد بن محمد الأيكى)، وفى الخليل سمع من (صالح بن خليل بن سالم)، وبالجملة قد تلقى ابن حجر مختلف العلوم عن جماعة من العلماء كل واحدٍ كان رأسًا فى فنه كالقراءات، والحديث، واللغة، والفقه، والأصول، ويُذكر عن شيخه (العز بن جماعة) أنه قال: (أقرأ فى خمسة عشر علمًا لا يعرف علماء عصرى أسماءها).

مكانته بين أهل عصره:

تفرد ابن حجر من بين أهل عصره فى علم الحديث مطالعةً، وقراءةً، وتصنيفًا، وإفتاءً حتى شهد له بالحفظ والإتقان القريب والبعيد والعدو والصديق، حتى كان إطلاق لفظ (الحافظ) عليه كلمة إجماع بين العلماء، وقد رحل إليه الطلبة من الأقطار وطارت مؤلفاته فى حياته وانتشرت فى البلاد وتكاتب الملوك من قطر إلى قطر فى شأنها وكانت له اليد الطولى فى الشعر.

من شهدوا له بالعلم:

قال (السخاوى): (شهد له شيخه العراقى بأنه أعلم أصحابه بالحديث).

وقال (السيوطى): (إمام هذا الفن للمتقدمين، ومقدم عساكر المحدثين، وعمدة الوجود فى التوهية والتصحيح، وأعظم الشهود والحكام فى بابى التعديل والتجريح).

وقال (عبدالحى العبكرى): (انتهى إليه معرفة الرجال واستحضارهم، ومعرفة

العالى والنازل، وعلل الأحاديث، وغير ذلك وصار هو المعول عليه فى هذا الشأن فى سائر الأقطار).

الوظائف التى شغلها:

شغل ابن حجر الكثير من الوظائف المهمة فى الإدارة المملوكية المصرية، مما هيأ له الوقوف على مجريات السياسة المصرية ودخائلها آنذاك، ومكّنه من الاتصال المباشر بالمصادر الأولى لأحداث عصره.

تولى ابن حجر :

- الإفتاء واشتغل فى دار العدل وكان قاضى قُضاة الشافعية.
- عَنِىَ ابن حجر عنايةً فائقةً بالتدريس، واشتغل به، ولم يكن يَصْرِفُهُ عنه شىء حتى أيام توليه القضاءُ والإفتاءُ.
- دَرَّسَ فى أشهر المدارس فى العالم الإسلامى فى عهده من مثل: المدرسة الشيخونية، والمحمودية، والحسنية، والبيبرسية، والفخرية، والصلاحية، والمؤيدية، ومدرسة جمال الدين الاستادار فى القاهرة (وجمال الدين هذا من أهالى البيرة قرب رام الله فى فلسطين).

مؤلفاته :

له مؤلفاتٌ وتصانيفَ كثيرةٌ زادت على مئة وخمسين مُصَنَّفًا فى مجموعة من العلوم المهمة، أشهرها وأهمها:

- مخطوطة من كتاب (تسديد القوس مختصر الفردوس) بخط مؤلفه ابن حجر العسقلانى.
- فتح البارى بشرح صحيح البخارى (خمسة عشر مجلدًا)، ومكث ابن حجر

فى تأليفه عشرين سنة، ولما أتم التأليف عمل مأدبة ودعا إليها أهل قلعة دمشق وكان يومًا عظيمًا، ويعتبر هذا الكتاب أفضل شرح وَأَعَمَّهُ نَفْعًا لصحيح البخارى، وتأتى أهمية كتاب ابن حجر من كونه شرحًا لأصح ما ورد عن رسول الله ﷺ من حديث.

· الإصابة فى تمييز الصحابة، وهو كتاب تراجم ترجم فيه ابن حجر للصحابة، فكان من أهم المصادر فى معرفة الصحابة، وغيرها من المؤلفات التى أثرت للمكتبة الإسلامية ثراءً نافعًا، من وقت تدوينها ونشرها إلى قيام الساعة.

وفاتـه:

تُوُفِّيَ فى أواخر ذى الحجة سنة ٥٨٢هـ، وكان له مشهد لم يُرَ مثله فيمن حضره من الشيوخ، وشهده أمير المؤمنين والسلطان، وقدم الخليفة للصلاة عليه، وكان ممن حضر الجنازة الشاعر (الشهاب المنصورى)، فلما وصلوا بالجنازة إلى الْمُصَلَّى أمطرت السماء على نعشه، وَدُفِنَ فى مقابر (الإمام الشافعى) مصر القديمة بالقرب من مقام الليث بن سعد [1].

- (الليث بن سعد)

المولد والنشأة:

أُطلق عليه: (الإمام الحافظ شيخ الإسلام، وعالم الديار المصرية، حيث كان الليث (بن سعد بن عبدالرحمن) فقيه مصر، ومحدثها، ومحتشمها، ورئيسها، ومن يفتخر بجودة الإقليم، بحيث إنه متولى مصر، وقاضيها، وناظرها من تحت أوامره، فيرجعون إلى رأيه، ومشورته، ولقد أراده المنصور على أن ينوب له على الإقليم

(١) الموسوعة الحرة، ويكيبيديا.

فاستعفى من ذلك).

وُلِدَ الإِمَامُ فى منطقة قلقشنده (تسمى منطقة طوخ حاليًا) التابعة لمحافظة (القليوبية فى مصر)، وترجع أصول أجداده إلى أصبهان ببلاد (الفرس وخراسان)، فهاجرت أصول الإمام إلى مصر فى زمن ما، فَوُلِدَ فى مِصْرَ، وعاش بها إلى أن مات وَدُفِنَ بها، فهو مصرى المولد والمنشأ والوفاة، أصبهانى الأصل.

قال ابن بكير: (سمعت الليث يقول: سمعت بمكة سنة ١١٣هـ، من الزهرى وأنا ابن عشرين).

وقال يحيى بن بكير: (سمعت الليث يقول وُلِدْتُ فى شعبان سنة أربع، أى: ٩٤هـ، وحججت سنة ١١٣هـ) الذين روى عنهم، وسمع منهم: (سمع (الليث بن سعد) أكثر من ٣٧ عالمًا من فحول العلماء) الذين رووا عنه، وسمعوا منه: (روى عنه خلقٌ كثيرٌ، ذكر منهم فى المطبوعات التى بين أيدينا أكثر من ٣٤ عالمًا من فحول العلماء، على رأسهم «ابن عجلان شيخه».

ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ :

قال (عبدالله بن أحمد بن شبوية): سمعت (سعيد بن أبى مريم): سمعت (الليث بن سعد) يقول: (بلغت لثمانين وما نازعت صاحب هوى قط).

قال الذهبى: (كانت الأهواء والبدع خاملة فى زمن (الليث، ومالك، والأوزاعى)، والسنن ظاهرة عزيزة، فأما فى زمن (أحمد بن حنبل)، و(إسحاق، وأبى عبيد)، فظهرت البدعة، وامتحن أئمة الأثر، ورفع أهل الأهواء رؤوسهم بدخول الدولة معهم، فاحتاج العلماء إلى مجادلتهم بالكتاب والسنة، ثم كَثُرَ ذلك واحتج عليهم العلماء أيضًا بالمعقول، فطال الجدالُ، واشتد النزاعُ، وتولدت الشّبَهُ).

وقال (بن بكير): (كان الليث فقيه البدن، عَرَبِيُّ اللسان يحسنُ القرآن، والنحو، ويحفظ الحديث، والشعر، حسن المذاكرة، فما زال ابن البكير يذكر خصال الليث الحميدة ويعقد بيده حتى عقد عشرة، وقال: لَمْ أَرَ مِثْلَهُ).

وقال (بن وهب): (لولا (مالك، والليث)، لضل الناس).

وقال (عثمان بن صالح): (كان أهل (مصر) ينتقصون (عثمان) حتى نشأ فيهم الليث، فحدثهم بفضائله، فَكَفُّوا، وكان أهل (حمص) ينتقصون (عَلِيًّا) حتى نشأ فيهم (إسماعيل بن عياش) فحدثهم بفضائل (عَلِيٍّ) فكفوا عن ذلك)

وقال (ابن سعد): (كان الليث قد استقل فى زمانه بالفتوى).

وقال (الأثرم): (سمعت (أبا عبدالله أحمد بن حنبل) يقول: ما فى هؤلاء المصريين أثبت من الليث).

وقال (الفضيل بن زياد): قال أحمد: (ليث كثير العلم، صحيح الحديث).

وقال (أبو داود): سمعت (أحمد) يقول: (ليس فى المصريين أصح حديثًا من (الليث بن سعد) (وعمرو بن الحارث) يُقاربه).

وقال (عبدالله بن أحمد): سمعت أبى يقول: (أصح الناس حديثًا عن سعيد المقبرى (ليث بن سعد)، يفصل ما روى عن أبى هريرة، فَهُوَ ثَبْتٌ فى حديثِهِ جدًا).

وقال (الشافعى): (الليث) أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به، أى: (لم يشتهر أمره مثل الإمام مالك، وقد ضاعت كُتب الليث، وبالتالى مذهبه، ولولا ذلك لكانت المذاهب الآن خمسة وليس أربعة منهم مذهب الليث).

وقال (أبو زرعة الرازى): سمعت يحيى بن بكير يقول: (الليث أفقه من مالك، ولكن الخطوة لمالك رحمه الله)

وقال (حرملة)، سمعت (الشافعي) يقول: (الليث أتبع للأثر من مالك).

وقال (على بن المدينى): (الليثُ ثبتٌ).

وقال بكر بن مضر: قَدِمَ علينا كتاب مروان بن محمد إلى حوثرة والى مصر، يقول فيه: (إنى قد بعثت إليكم أعرابيًّا بدويًّا فصيحًا، من حاله ومن حاله فأجمعوا له رَجُلاً يُسَدِّدَهُ فى القضاء، وَيُصَوِّبَهُ فى المنطق، فأجمع رأى الناس على الليث بن سعد، فى حال وجود معلماه، يزيد بن أبى حبيب، وعمرو بن الحارث فى الناس).

وفاتــه:

تُوُفِّىَ (الليث بن سعد)، ليلة الجمعة ١٥ شعبان سنة ١٧٥هـ، ودفن يوم الجمعة وصلى عليه (موسى بن عيسى).

قال (خالد بن عبدالسلام الصدفى) (شهدت جنازة (الليث بن سعد) مع والدى، فما رأيت جنازة قَطُّ أعظم منها، رأيت الناس كلهم عليهم الحزن وهو يعزى بعضهم بعضا ويبكون، ودفن فى مقابر مصر القديمة بجوار الشافعى، وابن حجر العسقلانى)[1].

وَعَطَفًا عَلَى مَا سَبَقَ، يضيف الشيخ (العريفى)، وَيُؤَكِّدَ على عزة المصريين، ودورهم فى النهوض بالعرب والمسلمين، فيقول: (الجامع الأزهر، الذى له الفضل المشروع، والعلم المتثور، والتقدم الكاسر، والارتفاع القاهر - العلماء فيه متكاثرون، وَالْعُبَّادُ فيه قائمون، وَالزُّوَّارُ إليه متوافدونَ، وَيُوَضِّحُ: أن مِصْرَ قادت الأمة الإسلامية أكثر من ٢٦٥ سنة كانت الخلافة فى مصر بعد انقطاع الخلافة من بغداد فى عام ٦٥٦ من الهجرة إلى انتقال الخلافة إلى العثمانيين فى تركيا عام ٩٢٤ بينهما أكثر من ٢٦٥ سنة كانت الخلافة فى مصر، وهى التى تقود بلاد الإسلام، أما أهل مصر فيكفيهم فخرًا

(1)http://forum.stop55 com/262376.html

وشرفًا أن الله تعالى اختار منهم الأنبياء وجعل الله الأنبياء يسكنون بين ضهرينهيم، فهذا (الخليل إبراهيم) شيخ الموحدين، وأفضل المرسلين، وَجَدُّ خاتم النبيين جاء إلى مصر، وتزوج (هاجر المصرية)، وهذا (يعقوب عليه السلام) دخل مع أبناؤه الأنبيا، وفيها تُوُفُّوا، وَدُفِنُوا فيها، وهذا (يوسف عليه السلام) سكن مصر، وحكم بها، وَتُوُفِّيَ وَدُفِنَ فيها، وهذان (موسى وهارون) عليهما السلام وُلِدَا فى مصر وعاشا فيها، وهذا (يوشع بن نون) وُلِدَ بمصر وعاش بها، وهذا (أرميا، والخضر، وأيوب) عليهم السلام، كلهم دخلوا مصر ومنهم من مات بها، ولقد ضرب الله تعالى بأبطال مصر أمثلة فى كتابه تعالى، (مؤمن آل فرعون)، وهو بَطَلٌ ثَابِتٌ على الحق الذى قال الله تعالى عنه: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ (غافر: ٢٨)، وهو مصرى، ومن المصريين أيضًا الرجل المؤمن الذى حَذَّرَ (موسى عليه السلام)، حيث قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (القصص: ٢٠)، ومن المصريين (السحرة)، حيث ذكر الله تعالى قصتهم، فآمنوا وَصَدَّقُوا، فأصبحوا فى أَوَّلِ النهارِ سحرةٌ فجرةٌ، وصاروا فى آخر النهار شهداء بررة، إنها بلاد الأبطال، فإذا قارنت مصر بغيرها، فَعَجِزْتَ أن تحظى لها بمثيل، وأما نساء مصر، فيكفى المصريات فخرًا وعزةً وشرفًا أن سيد الأنبياء محمد ﷺ كانت جدته هاجر مصرية، وأم ولده (مارية) مصرية، ويكفى المصريات فخرًا أن ماء زمزم تَفَجَّرَ لامرأةٍ مصريةٍ، وهى (هاجر وابنها إسماعيل)، ويكفى المصريات أن هاجر المصرية لما سعت ما بين الصفا والمروة خَلَّدَ الله تعالى فعلها وأمر الله تعالى الأنبياء، وسائر الأولياء، والحجاج، والمعتمرين، بأن يسعوا كسعيها، ويكفى المصريات فخرًا أن أم موسى عليه السلام مصرية، وأن آسيا امرأة فرعون مصرية، والتى قال الله تعالى عنها: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ

فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ ﴾ (التحريم: ١١)، ويكفى المصريات فخرًا أن المرأة الصالحة التى كانت ماشطة ابنة فرعون مصرية).

ثم يستطردُ (العريفى) قائلاً: (يا أيها الناس إن أهل مصر هم من ألين الناس تعاملاً، وأحسنهم أخلاقًا وأدبًا).

قال (تاج الدين الفزازى): (من أقام فى مصر سنةً واحدةً، وجد فى أخلاقه رِقَّةً وَحُسْنًا).

وقال (ابن ظهيرة) عن أهل مصر: (حلاوة لسانهم، وكثرة مودتهم للناس، ومحبتهم للغرباء، ولين كلامهم، وحُسن فهمهم للشريعة، مع حُسن أصواتهم، وطيب نغماتهم، وطول أنفاسهم، وأعلاها وأشجاها فى الإجابة والتطريب، ونساؤهن أرق النساء فى الدنيا، وَأَحْلاَهُنَّ صورةً ومنطقةً، وأحلاهن شمائل، وأحملهن ذات، ويقول: ومازلت أسمع قديمًا عن (الشافعى)، أنه قال: من لم يتزوج من مصرية لم يُكمل إحسانه).

وأضاف (العريفى) قائلاً: (أيها المسلمون لقد سكن مصر بعد فتحها جماعة من أصحاب الرسول الكريم محمد ﷺ، وعندما أحصوا عدد الصحابة الذين دخلوا مصر، أو سكنوا فيها، أو زاروها، أَو دُفِنُوا فى ترابها أكثر من ٣٥٠ صَحَابِيًّا منهم من جاء رسولاً إليها، أو حاكمًا لها، أَوْ مُجَاهِدًا فيها، أَوْ مُعَلِّمًا لأهلها، منهم (عمرو بن العاص، وعبدالله بن الصرح، وعبدالله بن عمر) وكلهم قد وَلِيَ إِمْرَةَ مصر، ومنهم (جابر بن عبدالله، والزبير بن العوام، وعبدالله بن الزبير، وسعد بن أبى وقاص، وعبادة بن الصامت، وعبدالله بن عباس، وعمار بن ياسر، وأيوب الأنصارى، وأبو ذر الغفارى، وأبو الدرداء، وأبو هريرة، وعبدالله بن الحارث، وفيها وُلِدَ خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبدالعزيز) رحمه الله تعالى، ثم يُكْمِلُ قائلاً: أيها المسلمون، إذا تكلمنا عن مصر، فإننا نتكلم عن بلاد العلماء

الذين وصل آثارهم إلى كل الدنيا، منهم ضحابة كرام، وتابعون أعلام، منهم (الليث بن سعد) وهو إمام المصريين، والذى قال فيه (الشافعى): (الليث بن سعد) أعلم من (مالك)، ومنه القارئ (ورش، وسعيد بن كثير) وكان عَالِمًا، حيث قال عنه (يحى بن معين) إمام الجرح والتعديل، لما سُئِلَ عن مِصْرَ، قال: رأيت فى مصر ثلاثة عَجَائِب، (النيل والأهرام وسعيد ابن كثير)، وكان عالمًا إمامًا، ومنهم (عبدالملك بن هشام) صاحب السيرة النبوية المشهورة، ومنهم (الإمام الطحاوى) الذى ألف العقيدة الطحاوية، وهى تُدَرَّسُ اليوم فى كل الدنيا، وتدرسها الجامعات فى المملكة العربية السعودية، ومنهم الإمام ابن النحاس، والقاضى عبدالوهاب المالكى، ومنهم الشيخ نابلة الحافظ عبدالحافظ المقدسى، وإذا ذكرت الحنابلة، ذكرت الفقه الحنبلى، ورجعت لزامًا إلى (عبدالغنى المقديسى)، وكان قد خرج من الشام وسكن فى مصر، والبطل الإمام (العز بن عبدالسلام)، والقارئ العظيم، والذى تحفظ منظومته طُلاَّب العلم الإمام (الشاطبى) الذى أَلَّفَ منظومته فى ألفِ بَيْتٍ فى القرآن الكريم وتلاوته) [1].

ولذلك لا يتسنى لِأَىِّ أَحَدٍ أَيًّا كَانَ على وجه الأرض، أن يُكَفِّرَ أُنَاسٍ عاشوا على أرضٍ عاش عليها الأنبياء والمرسلين، والعلماء الربانيين، إلا معصوبى الأعين، فاقدى العقل، متبلد الأحاسيس والمشاعر، ولا أجدُ أجمل مما قاله الشيخ الجليل، (محمد متولى الشعراوى) فى هذا المقام، حيث قال: (مصر الكنانة، مصر الذى قال عنها رسول الله ﷺ: (أَهْلُهَا فِى رِبَاطٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ)، من يقول عنها: إِنَّهَا أُمَّةٌ كَافِرَةٌ، إذن فمن المسلمون؟ من المؤمنون؟

مِصْرُ هى التى صَدَّرَتْ علم الإسلام إلى الدنيا كلها، صَدَّرَتْهُ حتى إلى البلد الذى نزل فيه الإسلام، هى التى صَدَّرَتْ علماء الدنيا كلها علم الإسلام، أنقولُ عنها ذلك.

(١) - جريدة كفر الشيخ - فبراير ٢٠١٣م - ربيع الأول ١٤٣٤هـ - العدد ٢٤٦ - السنة الثامنة عشر - ص: (٩).

ذلك هو تحقيق العلم فى أزهرها الشريف، وَأَمَّا دِفَاعًا عنِ الإسلامِ، فانظروا إلى التاريخ، من الذى رَدَّ همجية التتار عن الإسلام، والمسلمين، إنها مصر.

من الذى رد هجوم الصليبيين عن الإسلام والمسلمين، إنها مصر.

وَسَتَظَلُّ مِصْرُ دَائِمًا رَغْمَ أَنْفِ كُلِّ حَاقِدٍ، أَوْ حَاسِدٍ، أَوْ مُسْتَغِلٍّ، أَوْ مُسْتَغَلٍّ، أَوْ مَدْفُوعٍ مِنْ خُصُومِ الْإِسْلَامِ هُنَا، أَوْ خَارِجٍ هُنَا، إِنَّهَا مِصْرُ، سَتَظَلُّ دَائِمًا).

اللَّهُمَّ قِنَا آفَاتَ اللِّسَانِ وَذَلَّاتِهِ، وَزَيِّنْ صُدُورَنَا بِالْإِسْلَامِ، وَحُسْنَ صِفَاتِهِ

وَأَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ عَمَلِي هَذَا زَادًا إِلَى حُسْنِ الْمَصِيرِ إِلَيْهِ، وَعَتَادًا إِلَى يُمْنِ الْقُدُومِ عَلَيْهِ، إِنَّهُ بِكُلِّ جَمِيلٍ كَفِيلٌ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

كَتَبَهُ

كمال أحمد عبدالسلام

وكان الانتهاء منه يوم الاثنين

٢٣ جماد أول ١٤٣٥ هـ / ٢٤ مارس ٢٠١٤ م.